ميشال شيحا

فلسطين

ترجمة إلى العربيّة

أنطون غطاس كرم

دار النهار

المجموعة الكاملة | آثار معرّبة

أنطون غطّاس كرم

صدر هذا الكتاب بالفرنسيّة تحت عنوان:
Michel CHIHA, *Palestine*,
éd. du Trident, Beyrouth 1957

وصدرت الترجمة العربيّة تحت عنوان:
فلسطين، نقله عن الفرنسيّة أنطون غطّاس كرم،
منشورات مؤسّسة ميشال شيحا، بيروت ١٩٦٨،
وأعيد طبعها سنة ١٩٩٤.

الطبعة الثالثة، أيلول ٢٠٠٦
دار النهار: ص. ب. 226-11، بيروت، لبنان
فاكس: 961-1-561693
darannahar@darannahar.com

ISBN 9953-74-109-3

ميشال شيحا

فلسطين

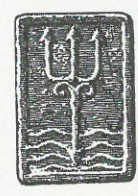
ترجمة إلى العربيّة
أنطون غطاس كرم



دار النهار

MICHEL CHIHA

PALESTINE



FONDATION CHIHA
BEYROUTH
Réimpression 1994

«إنّ قرار تقسيم فلسطين بخلق الدولة اليهوديّة
لَمِن أعظم الضلالات التي اجترحتها السياسة المعاصِرة.
فلسوف تستتبع هذا الأمر، وإن بدا يسيرًا، أعجبَ
العواقِب. ولا نكون قد امتهنّا العقل إن قلنا إنّ هذه
القضيّة الضئيلة ستعمل على زعزعة الأرض من أساسها».

ميشال شيحا
٥ كانون الاول ١٩٤٧

توطئة

طبعة سنة ١٩٦٨

هذا المجلد الأول من مجموعة نُظِّمتْ تبعَ موضوعاتها، تنطوي على ما سطّرته يراعة ميشال شيحا لا سيّما افتتاحيّاته في جريدة «لوجور»؛ وقد جعلناه وقفاً على القضية الفلسطينيّة.

ولئن وَضَعت مؤسّسة ميشال شيحا هذه القضية في رأس القضايا، فيقيناً منها بأنّها تحقّق أمنية في نفس الراحل، وتلبّي حاجة من حاجات الساعة.

فغنيٌّ عن البيان، حقّاً، ان الأحداث الخطيرة التي نزلت بالشرقين الأدنى والأوسط، والوضع الذي تكشفت عنه، انما مردّها جميعًا إلى خلق دولة اسرائيل. وهيهات ان تعود علاقات الغرب والعالم العربي إلى الوضع الذي تقتضيه طبيعة الأمور، ويقتضيه الذَوْدُ عن القيم الانسانيّة الأساسيّة، وكلاهما بها مرتهن، ما لم يُتدارك، قبل كل شيء الخطأ الذي ارتُكب في فلسطين، بموجب العدالة والعقل.

هذا المجلّد مختار من مقالات عديدة وفيرة، خصَّ بها ميشال شيحا فلسطين، ختمناها بمقال، حبّرته يده عشيّةَ اليوم الذي ألَمَّ به الداء فرماه.

وبدا لنا ان نفتتح هذا المقتطَف بمقال مؤرّخ في ١٥ حزيران ١٩٤٤.

وفي منجلى التاريخ ـ وهذه السطور ما برحت عليه شواهد ـ تنقسم المأساة الفلسطينيّة إلى ثلاثة أدوار تنضوي تحت العناوين التالية:

١٩٤٥ ـ ١٩٤٧: الأخلاق في انهيار.

١٩٤٨ ـ ١٩٥٠: التخلي عن أرض المقدس.

١٩٥١ ـ ١٩٥٤: النكبة زاحفة.

وما برحت هذه الفترة الأخيرة تنمو في اتجاه طالما بَصُر به.

في سَبيل التمهيد

١٥ حزيران ١٩٤٤

تفوتُنا أحيانًا خصائصُ هذا الجوار، ويفوتنا أن ثَمّةَ بلدًا هو، كبلدنا، من أغرب الأمصار. ما بين المتوسط والبحر الميت، ما بين الصحراء وأوّل منحدرات لبنان، فراسخ من الأرض قلائل، تتحرّك لها شهوات النصف من سكان البسيطة، على اختلاف الأسباب.

بقوة الفكر يتمّ هذا كله، ويرافقه حشد مبهم من خلجات النفس. ذلك ان فلسطين من أجلّ أماكن المعمور.

الشعوب المحوّمة حول هذه الأرض الجاحدة، لا يدفعها اليها الثراء، إذ هي تُؤتى المال من خارج على رغبة الفتح. انما هم يشرون خرائب محرّمة، وترابًا مقدّسًا؛ والأخدودُ الذي فيها يشق، يستنزف الغزير من عرق الإنسان.

في جنوب لبنان تقع فلسطين، فلسطينُ الصاخبةُ، تُوَلِّدُ العواصف، كالتي تولّدها بحيرة طبريّة الناعمة. ومن وراء التخوم التي تفصل ما بيننا يرون الينا من جانب، ونرى اليهم من جانب، منذ سنين. وليس أكيدًا اننا كنا، على الدوام، متفاهمين.

إنما نحن، ههنا، في بلد فاض سكانه، وعددهم فيه محمول على ازدياد. وإن تعادلت النسب، بدت نسبة السكان في لبنان أربى منها في فلسطين، وازديادهم لا ندحة عنه. أليس غنيًا عن البيان ان نضيف: في مراد لبنان أن يعيش، انه لا محالة مزمع على أن يعيش.

قَدَرٌ فريد هو القدر الذي يربط المرء بأرض بعيدة، بديلَ أن يربطه بمسقط رأسه، (ويضع شواسع الأرض أحيانًا في تصرّف الأمم ثم يُحظّرُها عليهن...) والذين براهم انتظار المجيء إلى فلسطين ينتمون في الغالب إلى أسعد الممالك. ومع هذا فلا أروع الطبيعة، ولا أسنى المناظر تكفي لارساخهم فيها، لا ولا الأقاليم التي لَطُفَت حرارتها، فواءمت البشَرات المتراخية، وجدّدت الأعراق الشائخة.

أما يخشى هؤلاء الذين يدافعون عن الماضي أن يفقدوا في هذه المغامرة أسمى مناقبهم، فيجيء الرعيل الثاني (ان تعذّر على الأول) أو الرعيل الثالث ان تقصّينا، شبيهًا باسرائيل العتيقة الراقدة، اسرائيل القديمة المتعَبة؟

ونشهد، نحن اللبنانيين، نموّ المأساة بمعناها الكلاسيكي، بمعناها الشكسبيريّ، وليس لأحد أن يتّهمنا باللامبالاة حيال أهميّة الأشخاص والعمل.

ولا بدّ لنا أن نُمعن إلفاتًا إلى أن فلسطين تتاخم لبنان من جهة الجنوب، وان لبنان في هذه الجهة وغيرها من الجهات، مفتقر إلى أراضيه برمّتها، مفتقر إلى آخر سنبلة من سنابله، وآخر زيتونة.

هذا الذي لا يصرفنا البتة عن فلسطين، فنَرْنُو اليها أكثر مما يرنو سوانا، بداعي جوارنا المباشر. انها لأرض مقدسنا، والموضع المختار الذي سلّمت فيه مفاتيح الملكوت.

١٩٤٥ - ١٩٤٧

الأخلاق في انهيار

أرض الميعاد

١٩ نيسان ١٩٤٥

ألا فلا يشغلنّا عن فلسطين في السياسة شاغل! في أمتّ جوارنا تنداحُ مشكلةٌ هي من أشدّ مشاكل العالم إثارةً للغَصص.

وقد يتساءل المرء إن لم يكن وُلاةُ الأمر من اسرائيل - وهم الذين يحركون، حتى السَّعَر، نزوات شعبهم نحو هذه البقعة من الأرض - لا ينتحون هم أنفسهم نحوًا يتنافى ومستقبلَ هذا الشعب.

يعدّ اليهود اليوم خمسة عشر أو ستة عشر مليونًا، ولسوف تبلغ عدّتهم عشرين مليونًا، أو ثلاثين، في المعمور، أو تزيد. فما الذي يلقاه مثل هذا العدد في فلسطين الضئيلة؟ لئن كان مسوّغ الوجود من فلسطين انها لليهوديّة المضطهدة مُعتصَم، فأي لُبانة لا تراود بعض أمصار غصّت بسكانها، لاضطهاد شعب اسرائيل؟...

ومن أوهى ما يُحتجّ له في أوضاع اليهود السياسيّة، انهم يبحثون عن جنسيّة غير التي يحملون، وقد منحتهم الأقطار التي فيها يعيشون هُويّتها. أما يكفي واحدهم انه انكليزيّ، أو فرنسيّ، أو أميركيّ، أو هولنديّ، أو سويسريّ أما يكفيه هذا حسبًا؟

أمّا إذا كان المبتغى أن تتكفّل أوروبا الشرقيّة، دون سواها، بسكنى فلسطين، فليصارحونا. إذًا يكونُ الاعتبار أوغرَ للصدر من اعتبار هذه القضيّة على نطاق أوسع.

كيف بهم يبتغون انتقال اليهود من أوروبا الشرقيّة إلى فلسطين بالألوف، ومئات الألوف، وألاّ يَهيجَ انتقالُهم إليها عربَ فلسطين، ويهيجَ معهم جوارَهم قاطبةً؟... كيف بهم يبتغون أن تتكشف عن سلام مغامرةُ جسور محفوفة بالمخاطر، كمثل هذه المغامرة؟...

في حوزة اليهود من القدرة مناح جمة. ففيم يقحمون هذه القدرة في غزوة تاريخيّة يَنْقُضُها التاريخ بأسره؟...

إنما نحن نخطّ هذه الأمور، وفي نفسنا شعور حيّ بالتعاضد الإنساني، ورأفة تثيرها نكباتٌ حلّت ببني اسرائيل. غير أن المرء يتساءل ما الجدوى من فلسطين اليهوديّة، ومن مأساة فلسطين، إذ يرى حاضرة كمدينة نيويورك تعدّ، برأسها، ثلاثة ملايين يهودي، وأنه لن ينقضي جيلان أو ثلاثة، حتى تضحي ملايين المدينة الجبارة الثلاثة ستة ملايين على ما ينتظر. ولا بدع، والحرب مؤذنة بانتهاء، أن نفكّر في السلم. ولليهود كغيرهم حق التفكير به. واسرائيل ما عسى أن يكون سلامها الآتي؟ قد يقولون ان هذا السلم الفريد مرتهن إلى حدّ بعيد، بالموقف السياسي الذي تقفه الجماعة اليهوديّة في المعمور.

إنما نحن من الذين يبتغون سعادة اليهود مخلصين، شريطةَ ألا يبتغي اليهود مباشرة أو مداورة شِقوة الآخرين.

ولكنه لا يلوح ثمّة أن المبادرات التي ما فتئت تزداد منذ حين، هي من الحكمة بحيث تُجدي لبلوغ الوئام والسلام.

قصّة يهوديّة

٢٦ أيلول ١٩٤٥

لشدّ ما يحدو اليهود الناس، فيلهجون بذكرهم في هذا الأوان. ولا غروَ إذ لا بدّ من التسليم بأن ستة عشر مليون يهودي في العالم، يحدثون أضعاف ما يحدثه المسيحيّون والمسلمون والبوذيّون من ضجّة. بمثلها وسيلةً، وغيرها من وسائل، يستلفت اليهود الانتباه. أعجب بسعيه شعبًا! منذ قرون وهو ألحّ البشر سهرًا على سيرورة الثروات وعلى القضايا الماديّة. يَجعَلُ المالَ (وهو كالمال تائه)، نقطة ارتكاز أولى لسلطانه؛ غير أنه يستخدم العلم أيضًا، والصحافة، والفنون، (وقد نَبَهَتْ من اسرائيل في العلم المعاصر اسماء كبار)؛ انه يجمع المتناقضات، فيعتصم بمنزع صوفي ليبتني ملكًا زمنيًا، قبل كل شيء، في حين أن الدين يفترض وجود عالم وراء هذا العالم.

لقد ألمَعنا إلى أن ستة عشر مليون يهودي ليس لهم في فلسطين أكثر مما للعالم المسيحي، ومما للإسلام، مجتمعين. أضف إلى هذا الواقع الصُراح، أن المسيحيّين الأوائل من اليهوديّة تحدّروا، وأن ادعاءهم فلسطين والقدس، في هذا الاعتبار، لا يقل رجحانًا عن ادعاء اليهود.

ومع هذا، فإنّا نرى أن الحجّة التاريخيّة لا ينفك وزنها يتضاءل في نظرِ أسياد العالم. فلقد تدخل الرئيس «ترومن» مؤخّرًا في الجدل تدخّلاً تكشّف عن نيّة (مجرّدة) إنسانيّة، بحيث تعجّب، بعدها، كيف تأبى الولايات المتّحدة السعادة والسلام، في أرضها بالذات، على مئة ألف يهودي، ما برحوا من المانيا، قَيْدَ الطلب، وكيف ان السلطة الأميركيّة تناصر، على نحو ما تناصر، قضيّةً لم تكن لتثيرها البتّة، لو لم يكن عدد اليهود في نيويورك وجوارها ثلاثة ملايين أو أربعة.

ولئن عدنا إلى هذه القضيّة بمعاندة المنطق والعرف السليم فذلك لأنّا، نحن اللبنانيّين، يتعذّر علينا عنها التغاضي، بداعي جوارنا المباشر لفلسطين وبداعي ما يربطنا بسائر الأقطار العربيّة. فأيّة لذة منعَمة يستشعر اليهود إذ يؤلّبون عليهم، حتى في عقر الدار التي بها يطالبون، هذا المقدار العظيم من الشعوب، شعوب هي أوفر منهم عددًا، ولها من الحقوق فوق ما لهم؟ وفيمَ تكون فلسطين الصغيرة، الضيّقة، السقيمة، القحطاء، التاعسة؛ فلسطين التي تكاد تضيق بسكانها، فيم تكون، إلى هذا الحدّ، هدفًا للمطامع والشهوات، وفي العالم الجديد، وفي غيره، شاسعات يطيب فيها العيش، ما برحت خاوية؟

فأيّ ضغن قديم هو هذا الذي يعود فيظهر عبر التاريخ داءً عضالاً، ورمزًا للتعصّب الجامح؟

ورُبَّ مثبتٍ لك بإخلاص، أنّا قد نعايش اليهوديّة عيش سلام، وعليه فأيّ معنى لهذه الحملة الصهيونيّة، المعمودة، المجتاحة، العادية، الضارية؟

وما ذريعة أميركا العادلة في ذلك، وكيف تراها تسوّغه: بأن تُكفَّ يَدٌ عن الملكيّة كفًّا غيرَ مُدافَع، وبأن يُستعاض إكراهًا بشعب عن شعب؛ ولنقلْها جهارًا، بأن يُغتصب الإرث اغتصابًا. فلو أنّا سقنا الاعتبار على هذا الغرار، دون أن نغضّ فنجنح إلى المقابلة العرقية، لصحّ القول أن (قبائل) العرق الأحمر هُنَّ أوّل من تملك التربة الأميركيّة، وأنهنّ مُلاّكها الشرعيّون، وفي وسعهنّ ان يطالبن، في واشنطن، باستعادة الكابيتول، ظافرات.

وبعدُ، فإن الحجة التي لا تُدفع (عُذرَ المؤرّخين والمشترعين) هي أن المغامرة، كما تبدو، قد تغدو دامية هائلة، وإن دور الأمم المتّحدة ـ حسب ما جاء في أحدث طبعات «المبادئ الخالدة» ـ يقضي بنوع أخصّ بأن تحول الأمم المتّحدة دون وقوع ذاك.

لم يبتهج الناس قط لمأساة كابتهاجهم لهذي المأساة، في سبيل مذهب فكريّ من هذا الطراز. أيصدُفون عن العدالة، ويتغافلون عن الحكمة، في غداة حرب رهيبة، وعصرٍ، عَصرَ النور سَمّوه؟

تمهيدٌ لتحقيق

١٥ تشرين الثاني ١٩٤٧

هوذا التحقيق بشأن فلسطين تتولاّه لجنة انكليزيّة ـ أميركيّة.

ويجوز القول ان الانكليز قد تصرّفوا بحكمة، وان الاميركيين لم يتقاعسوا عن واجب. ولا نُدحةَ عن التثبّت من إحاطتنا الوافية بمعطيات المشكلة، قبل ان تقترح الحلول لها.

سيستبين الأميركيّون رسميًا مصاعب ما يبثّون بشكل غير رسميّ؛ ولسوف يدركون ان وجهات نظر الصهاينة الذين من الولايات المتّحدة بشأن فلسطين، لا تنطبق على الحقيقة السياسيّة، ضَربَةَ لازم، ولا هي توائم العدالة الدوليّة، ولا مصالح الولايات المتّحدة.

وللولايات المتّحدة في العالم، وفي الشرق الأدنى خاصّة، وجه هو أبدًا وجه من رفَع الحيف. غير أن هذه الفكرة التي تكوّنت في الأذهان عن أعظم دولة في العالم، قد عراها التبديل على أثر القضيّة الفلسطينيّة، وغدًا يدور في روع الناس أن هذه المظنّة قد تلقي على الحق ظلامًا، وأن الشهوة قد تتسلّط على العقل، حتى في واشنطن.

وصادفت موافقةُ اميركا على العرض البريطاني ارتياحًا في الضمير العالمي. ولسوف تتبيّن أميركا الأمور وتنزلها في موضعها فينجلي لها عن كثب، أنه يضيق حقًّا على فلسطين الضئيلة أن تغدو موئل اليهود المشرّدين، ما لم يكن في هذا التدبير قسر للطبيعة.

لسوف تستبين أميركا هذا كلّه، وترى أيضًا، على غير ما ارتياب، ان المغامرة الصهيونيّة يعسُر أن تلقى مسوّغًا، سواء في الحق أو في الواقع، إمّا هي قوبلت بموقف المسيحيّين وموقف المسلمين من أرض المقدس.

لقد ألمع السيد «بيڤن» انه لم يُهتدَ حتى الآن إلى نطاق للتفاهم على ما هو منوط بشأن فلسطين، ونوّه بشدّة في مجلس العموم بعقبات «الدين، واللغة، والثقافة، والحياة الاجتماعيّة، وطريقة التفكير والتصرّف». وناقش الحجة التاريخيّة موضوعيًّا، ثم اختتم قائلاً انه لم يعد الآن بدّ من الملاءمة بين الأمور العديدة المتباينة.

فعسى أن يكون هذا التدبير مُتاحًا، وأن تكون اللجنة التي تتولّى التحقيق بشأن فلسطين قمينة بأن تؤلّف بين المتناقضات، ففيه مكسبة الوقت، ولكسبه قيمة لا تقدَّر.

وأضاف السيّد «بيڤن» أن بريطانيا العظمى ستجيب بالقوّة على كل محاولة بالقوّة لبلوغ حلّ. سواء أكان مصدرها هؤلاء، أم أولئك. انما هذا حسن جدًا، لأنّه يترك للمحققين الوقت الكافي لاجراء التحقيق في تؤدة، وان تعطى الأمم مجالاً لتتفهم الأمر وترّوزه.

سيأتي يوم تجد الولايات المتّحدة نفسها فيه أمام الحق الذي لا يداخله ريب، وجلّ الأمل أنها يومئذ، تبذل ما في طوقها بسبيل فلسطين التقليديّة، لا ضدّها. فالولايات المتّحدة قبل كونها تضمّ خمسة ملايين يهودي، هي بلد مسيحي.

لقد ذهب الرئيس «ترومن» إلى إثبات هذا في رسالة أخيرة وجّهها إلى اليابانيّين. ولربما اتّخذ من الأمر نفسه موضوعًا لرسالة يوجّهها إلى العبرانيّين.

مَا قَالَه رَئِيس أَسَاقِفَة إنكلترا

٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٥

أمّا ان الدعاوى المقامة على مجرمي الحرب، في المانيا وسواها، تجلب لليهود بعض العزاء، فهذا ما يطيب لنا تفهّمه وانما فيه بلسم لجراح ثخينة. وأما ادّعاؤهم التعويض على بني اسرائيل، وشفاء غليلهم بتسليمهم فلسطين، فهذه مسألة أخرى. ان ديونًا كهذي الديون لا تُقتضى من أراضي الغير. فتقع شريعة الثأر برمّتها على الذين اضطهدوا اليهود وغيرهم جزافًا. نحن نسلّم بذاك ولا نوارب، غير أنّا نرجو ان يتذكّروا أيضًا بأن فلسطين لم تُفرَك يداها على دم يهودي. وجلّ ما أتت انها حُضَّت، وهُدّدت، فذادت عن نفسها.

وهوذا سيادة رئيس أساقفة كنتربري «الذي أعرب غير مرّة عن ميوله إلى اليهود» ـ على حدّ ما أبلغت البرقيّات ـ يقف في الأسبوع المنصرم من الحركة الصهيونيّة وقفة عداء.

فقد أعلن سيادته أن القضيّة اليهوديّة لا يمكن أن تصفّى «كليًّا ولا جزئيًّا في فلسطين». وخليقٌ أن تعلَق في الصدر هذي الكلمات الخطيرة المحفوفة بالجلال، انما فيها آية لأضواء جديدة. فإذا القضية التي حسبها كثُر من الانكليز أمرًا منتهيًا في نظر «الأسياد الروحيّين»، تعود فتطفر، وإذا بالكنيسة الانكليزيّة تلفت الملأ إلى أنها مسؤولة عن المسيحيّة أيضًا. وتعيّن

عليها، في الوقت نفسه، أن تُنصف الإسلام، فتردّ لقيصر ما هو لقيصر، وتحتفظ للّه بما هو للّه.

فلنحيّ سيادته بإجلال، لأنّه حمل إلى الذائدين عن الحق عزاءً أكيدًا، وجاء تعبيره منسجمًا مع التاريخ، والعقل، والإيمان.

هذا ما يتيح لنا مجددًا أن نستبين بأن القرار الانكليزي الأميركي القاضي بالتحقيق في فلسطين، قد أحدث ارتياحًا نسبيًّا في كل مكان، على الرغم من بعض الضجّة التي أثارها، والجدل، وبتنا نرتقب بفارغ اصطبار أن يمسح الأميركيّون أرض فلسطين، ويقيسوا ملكها الضئيل بمقياس الرحيب من ملكهم، ويتثبّتوا بأم العين، من أن صبّ الفائض من يهود أوروبا وأميركا فيها، أمر يفوق التصوّر، إلاّ إذا قُدّد فيها البشر، كما تُكدّس أسماك «الأرض الجديدة». انما أميركا بصيرة، وموئل الاحصاء هي. وفيها ينظر إلى الأمور برحب وكبر، والحلّ العمودي لا يصادف وحده حُظوة عند أهلها. ولم يدُرْ في الروع بعدُ أن ترى أرض المقدس، وقد غشيتها ناطحات السحاب، وما برحت في العالمين الجديد والقديم، شاسعات عداد لم يشغلها الإنسان.

ولشدّ ما نخشى أن تضيق أنفاس الأميركيّين من أعضاء لجنة التحقيق ما بين تل أبيب وحيفا، بعد بضعة أسابيع.

إذًا يقتنعون بأن رأس الكنيسة الانكليزيّة مصيب في ما فكّر، مصيب في ما قال من «ان المشكلة اليهوديّة لا يمكن أن تصفّى كليًّا ولا جزئيًّا في فلسطين».

ليسَ في فلسطين جَديد

٢ أيار ١٩٤٦

أعرب المحقّقون الوافدون من أميركا وانكلترا عمّا داخلهم بشأن فلسطين والمشكلة اليهوديّة. وهم في موقفهم من عقدة «غورديوس» المرصودة، لم ينصحوا باستخدام السيف لقطعها، بل للإبقاء عليها ولو إلى حين.

فرأوا، في مجرى التحقيق، وبعده، وفي حرارة الجدل والتأمّل الذي عقبها، أن يسوّغوا المبادئ التالية (نبسطها كما تبدو لنا):

لما كانت فلسطين أرضًا مثلّثة التقديس، بالنسبة إلى المسيحيّة والإسلام واسرائيل، فهي ـ من أجل هذا الداعي ودواعٍ أخر ـ لا تقسّم. وعليه انبغى أن تُصان فيها صيغة الحكم الدولي والوصائي، بحيث لا تسيطر قوّة بعينها على القوّة الأخرى، أو على القُوى الأخر. وينبغي أن يكون الآن بمكنة مئة ألف يهودي من أوروبا أن ينزلوا فلسطين.

أما مصير الهجرة في المستقبل فليس لنا أن ننظر فيه بشكل قاطع، فالمستقبل نفسه يهدي إلى سواء السبيل...

إنما حلٌّ اصطبار وانتظار هو هذا الحلّ: ففيه، من ناحية، عبء مئة ألف من الوافدين الجدد، وليس، من الناحية الأخرى، شيء فيه، إذ لم ينوّه باستقدام عرب من خارج فلسطين، يستوطنونها.

فاحتجاج المحقّقين للهجرة الجزئيّة التي أوصوا بها، انما هو احتجاج عاطفي قبل كل شيء. ونحن، في ما يخصّنا، نجلّ الدافع النفسي الذي أوحاها، لأنّه دافع مُفعم بالمعنى الانساني، ولّدته وأثبتته النكبة الكبرى التي مني بها اليهود في أوروبا الوسطى والشرقيّة. ولكن لا بدّ من البحث عن العامل الكامن وراء هذا الشعور. إذ إن مددًا يعدّ مئة ألف رجل له شأنه في بلد كبير، وان بين الإشفاق والسياسة لأسبابًا غريبة...

إنما الذي يتعذّر وقوعه في هذا الصيف، قد لا يتعذّر وقوعه في موسم من المستقبل آخر. وقد يتهيّأ هذا المستقبل السياسي خلسةً تحت لواء الإشفاق والأخوّة في الانسانيّة.

وقيل أن المحقّقين الأميركيّين والانكليز كانوا يتوقّعون أنهم لن يفوزوا بمرضاة أحد. وذريعتهم فيه صانع الأمثال، وذريعتهم أيضًا هذا التحديد الذي به يُحدّد الإنصاف، والذي يتّخذ استياء المختصمين أساسًا، فيستقرّ له به النجاح. ويسيرٌ أن نظنَّ أيضًا بأنه لم يرضَ عن هذا التدبير أحد. فنحن لم نرضَ. ونحن حريصون كل الحرص على ألاّ نحتجّ للقول بأن العدالة قد أدركت النصر، تحت هذه الراية.

فحسبنا الإقرار بأن الوضع ربما كان يبدو مستغلقًا. وأنه من الوجهة العمليّة كأعسر ما تكون معضلات الزمان، أو هو منها أعسر. فمثلُه مَثَلُ عقدة «غورديوس» التي قلنا فيها انها سَتُصَانُ عنوة بالسيف، بديل أن تُقطع.

والحق أن القضيّة الفلسطينيّة ما برحت، بعد التحقيق، على حالها أو تكاد، فضلاً عن انتظار مئة ألف مهاجر يُرتَقبون.

نَصيبُ العقل في فلسطين

٧ تشرين الأول ١٩٤٦

التصميم الذي اختطّه العرب لحلّ المشكلة الفلسطينيّة مليء بالوعود. فإن سلّم اليهود بقيام حياة سياسيّة مشتركة، بُلغ الأرب؛ وإن لم يسلّموا كانوا على ضلال مبين. لقد أطلّ عليهم الخلاص، كما أطلّت أرض الميعاد، بعد سحابة أربعين عامًا سلخوها في الصحراء.

فالصيغة التي نجدّ في نشرها، منذ الأمد البعيد، هي الصيغة عينها التي تُقترح في لندن. انها الصواب بعينه: حكومة واحدة، ومجلس واحد، وأحوال شخصيّة تُفهم على نطاق وسيع.

وقصاراه، فهذا هو الحلّ اللبناني، مع ما يرافقه من المحاذير التي تستوجبها مشكلة فلسطين. انما يؤول حبّ التعايش المشترك إلى مجلس مشترك، في بلد يتكوّن من أقليّات مجتمعة. فمفتاح للعرب ولليهود الآن أن يتعايشوا سياسيًّا وان يعملوا معًا على إنماء بلدهم، بديل أن يضيفوا مدماكًا إلى الجدار الفاصل ما بينهم، وان يوغروا الهاوية، هذا من جانب وذاك من جانب. فمثلُ هذا أحرى، ولا ريب، من تجزئة البلد إلى شطرين، وزجّه جزافًا في حرب أهليّة.

لئن كان أولو الأمر من اسرائيل يبتغون اسعاد الشعب اليهودي في سلام، ويتبصّرون مستقبلاً له مجردًا عن الغطرسة، مُفْعمًا بالعمل، مكتنفًا

بالوئام، إذًا فقد آذنت المأساة الفلسطينيّة بانتهاء، وحلّ أوان الحصاد، وانبغى أن نحيي النظرة العربيّة الرحيبة، إذ يعود إليها الفضل بأنها أفسحت المجال لهذا الحلّ الانساني الحق، والخلاص إلى هذا المخرج اللّدُني.

فهل يرى أولو الأمر من صهيون هذا الرأي؟ أم تُرى يخونهم علمهم بالنفس الإنسانيّة مرّة ثانية، على ما فيهم من تجرّؤ وذكاء. عسى ألاّ يفوتهم ذاك، وأن ينتصر العقل فيهم على النزوات والأوهام.

بذا يعود الأمل ليجعل فلسطين بيتًا للّه آخر. وليس بامكان أحد أن يقيس ما يستطيعه الزمان من عظيم يتحقق، وجميل. وهكذا يتاح للسلام السياسي، والسلام الديني، أن يزدهرا جنبًا إلى جنب، في حيّز اسرائيل.

لا تدع الظلام، يا ربّ، يغشى بنات الأفكار في مَن بات الحرب والسلم رهنَ أيديهم!

نقصٌ في المنطق

٩ تشرين الأول ١٩٤٦

الغيرة الأميركيّة الشديدة على الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، يسيرٌ شرحها، ويسيرٌ إدراكها.

والمزاد الذي ينصرف إليه رئيس الولايات المتّحدة، وحاكم ولاية نيويورك، ينبئنا إلى أي حدّ ينبغي التنبّه إلى الجماهير خلال الفترة التي تسبق الانتخاب. فإنّ حاضرة نيويورك وولايتها، هما، من حيث العدد، موطن اليهود الأم في العالم حقًا.

غير أنّا نتساءل عمّا يَحملهم على اعتماد دويّ المدفع لإسكان مئة ألف يهودي أو تزيد، في فلسطين، بينا يعيش ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي في نيويورك آمنين.

وفيما يوعز الرئيس ترومن والحاكم ديوي على خجل، بأن تسلس القوانين الأميركيّة الجائرة حيال الهجرة، نراهما، برغم ذلك كلّه، في بيان التعليل والمنطق مرتبكين.

ففيم لا يفتحان أبواب الولايات المتّحدة على مصاريعها أمام جميع اليهود، من جميع الأقطار؟ لئن كانا على اقتناع تحتم عليهما اذًا أن يُقدما على مثله فَعلٍ. ونحن نظن أن يهود أوروبا الذين يبتغون مغادرة أوروبا،

يجدون سكنًا لهم، في أي موضع من الولايات المتّحدة، أفضل من سكناهم في فلسطين الضيقة، الهزيلة، القحطاء، والتي تغصّ، فوق ذلك، بالسكان.

ان هذه الحجّة الضخمة الصريحة الدامغة، لا تحرّك ساكنًا من السيّدين ترومن وديوي، فهما بها غير حافلين. وليس من يسلّم مقدار ما نسلّم بفضيلة هذين السيّدين، وها نحن ننحني أمامهما بما يُستوجب من إجلال. ولكنّا ما برحنا نعجب من فرط تصلّب الرجلين، أشدّ العجب.

لا بدّ للمتدخّل في شؤون الغير، على هذا النحو من التدخّل، وإلى هذا الحدّ، من إقناع الغير، ولا بدّ له أن يكون الحقّ الساطع في جانبه، كي لا يتعرّض لشك أو جدل.

ويُشبه أن تضحي المداخلات الأميركيّة في فلسطين، شيئًا بعد شيء، قضيّة أميركيّة بحت. ويؤسفنا أن يصون الشعب الأميركي - وهو اليوم أقوى شعوب العالم -، تحت لوائه، مغامرةً مثلَ هذه المغامرة. انه يقفُ، على اليقين، موقفًا مناقضًا لأقدس مبادئه الخُلُقيّة والسياسيّة.

مرتقبات فلسطينيّة

٨ شباط ١٩٤٧

إنّما جميع المقترحات الصادرة عن الجانب الانكليزي ـ الأميركي بشأن فلسطين، وجميع الحيل المدبّرة، وجميع الحلول، تقتضي، في رأس ما تقتضي، إسكان مئة ألف يهودي بأرض فلسطين، فضلاً عمّن فيها.

وخليق هذا التعزيز المسبق للوضع اليهودي بفلسطين، بأن يُجَرَّد عن كل طلاء يكتنفه. فالغرض الذي يهدفون إليه جليّ بيّن.

أما الوجه الآخر الذي يتميَّزُ به التصميم الانكليزي في صيغته الأخيرة، فإنما هي صفته الموقتة. الأمر على غاية الوضوح: في الصيغ التي يعلنون من التعقيد والرّجم ما يُبديها ذات طبيعة موقتة. ويدور في روع الذين وضعوا هذا التصميم الجديد، أنهم إذا خلقوا قضاءين اثنين، قد يمهّدون لتقسيم الأرض المقدّسة إلى دولتين، أو أنهم يجعلون احتماله ميسورًا. في حين أن تشكيل حكومة مركزيّة «ثلاثيّة» قد يستدرج، مع الزمن، إلى التسليم «بحب تعايش مشترك» في دولة موحّدة بديل أن يكون في دولة فدراليّة.

ولو أنّا استثنينا بعض الأماكن من أرض فلسطين، واستثنينا بنوع خاص مدينة تل أبيب برمتها، لبدا، من جراء التداخل الطائفي في فلسطين، ان الإقدام على تقسيم البلد باسم العقيدة، أمر عسير.

والعاقل الذي ينظر إلى الأمور من على قمة حرمون، يرى أن المسيحيّين والمسلمين واليهود لا يعجزهم البتّة أن يعيشوا معًا في فلسطين مواطنين لأمّة واحدة، ناعمين بحقوق محض متساوية، متمتعين بأحوال شخصيّة واسعة النطاق.

هذا هو الحل الطبيعي، وهذا هو الحل الإنسانيّ الذي يفضي بفلسطين إلى حدّ تنظيم ازدهار عجيب. ولكن جلّ ما فعلوا هو عين ما يحدث في الأغلب، فإن أقرب الأمور إلى المعقول ردّوه، وأوثقها بالمنطق دحضوه.

غير أن الأقليّة اليهوديّة في فلسطين (ورؤساءها الموزعين في المعمورة) علي جانب من الخطورة يكفل توجيه مصير العبريّين داخل فلسطين، وإن لم تُقسّم. ولا مرية بأن في حوزة هذه الأقليّة اليهوديّة عناصر القوّة جمعاء.

ولكن هذه الأقليّة الشاكية السلاح عينها، تُؤثر الخصومة، والحرب، والوضع الخلقي الجزاف الذي ينتاب يهود البسيطة جمعاء، على ما يصنعه الزمان الوئيد، وعلى تطوّر الأمور تطوّرًا طبيعيًّا ركينًا. (إذ إن هويّة إسرائيل المزدوجة، بفعل الادعاءات الصهيونيّة، ستتباعد شيئًا فشيئًا في كل مكان، عن مدارك الناس وعمّا به يسلّمون).

ولقد يسري مفعول التصميم البريطاني إلى زمن، إذا ما فُرض؛ أما أنْ تجزّأ فَلسطين إلى شطرين، والقدسُ إلى ثلاثة، وان يحاولوا المحال فيقحموا بعدُ في أرض المقدس ١٠٠,٠٠٠ يهودي، فإنهم يركبون في ذلك أمرًا عسير المنال، شديد الخطر.

فلا يعدو التصميم الانكليزي أن يكون حلاً جاهليًّا، حلاً يلزم اليهود بالتكتل في حيّ واحد. فإذا ساق اليهود أشد الحكومات وأكثر الأذهان اعتدالاً في العالم، إلى مثل هذه المعقدات التي يتنكّب عنها العقل، فعلى عاتقهم وحدهم يقع الخطأ.

شهادة

٢٩ آذار ١٩٤٧

منذ أيّام، في القاهرة، حظي مراسل جريدة التلغراف اللبنانيّة، التي تصدر بالعربيّة، بمقابلة مفتي فلسطين الأكبر. وقد نوّه المفتي الأكبر بأقوال شديدة الوقع، متعلقة بصلات البلاد العربيّة والڤاتيكان. قال الحاج أمين الحسيني: «أعلّل النفس بأن أرى البلدان العربيّة جمعاء مُسارعةً إلى إقامة علاقات سياسيّة بينها وبين الڤاتيكان، على نحو ما فعل لبنان، إذ إنني أعلم ما لهذا التمثيل من كبير الشأن، في تطوير القضية الفلسطينيّة تطويرًا ملائمًا».

«إن دعم قداسته لمطاليب فلسطين يعني مساندة أربعماية مليون كاثوليكي في العالم». هذا ما أعرب عنه عقل نيّر، هذا ما تفوّه به رجل دولة.

فالحاج أمين الحسيني، الذي يمحضُه لبنانُ بأسره (وقد حلّ في لبنان ضيفًا عليه) شعور المودّة والاحترام العميق، قد أظهر بذلك، مُجدّدًا، انه يعرف حقائق هذا الزمان معرفة خارقة. والذي يتمناه لفلسطين، مسقط رأسه، نتمناه. ولا نألو نبحث معه عن الوسائل، حتى ينتصر الحق في فلسطين.

وحريّ أن نضيف، بمزيد إيضاح، أنّ القضيّة الفلسطينيّة ستعرض في شهر حزيران أمام هيئة الأمم المتحدة، وأنّ عددًا كاسحًا من أعضاء هذه المنظمة، يكاد يضمّ جميع أصوات أميركا اللاتينيّة مثلاً، ينظرون جميعًا بأجلّ الاعتبار إلى سياسة الكرسي البابوي المقدّس، ويتخذون من مراعاة

أمانيه مدعاةً للاعتزاز. والحق ان لسياسة الڤاتيكان صدى بعيدًا، يمتدّ إلى ما وراء العالم الكاثوليكي. فهي أوسع سياسات المعمور، ولربما كانت أبعدهنّ إحاطة. ويعلم العرب ـ على حدّ ما أثبت الحاج أمين الحسيني وأعرب ـ أن الوفود الفلسطينيّة المنتدبة ممن يمّم روما (ومنها وفد في الصيف المنصرم) كانت تلاقي لدى الڤاتيكان أذنًا صاغية.

ثم ألمع الحاج أمين الحسيني إلى الموقف الصُّراح الذي وقفه قداسة المثلث الرحمات البابا بيوس الحادي عشر، في ما هو منوط بفلسطين، وأكّد على اقتناع بأن قداسة البابا بيوس الثاني عشر الآن، يقتفي أثر سلفه، فكرًا وعملاً.

إنه لمن دواعي الغبطة أن نرى سياسة البلدان العربيّة تتسع حتى تبلغ الأبعاد العالميّة، وتقيم علاقات تشدّ أزرها، ويكون لنا جميعًا بها، في الأيام العصيبة، مُعينًا ماضيًا.

الحاج أمين الحسيني رجل خبر الدهر، وقائد رحيب الفكر، كبير الفؤاد، يزدان بمكرُمتين اثنتين: حكمة وبصيرة تُعزّان جانبَه، وتُعزّان معه جانب الإسلام بأسره.

اسرائيل أمام الأمم

١٦ نيسان ١٩٤٧

إنما القضيّة الفلسطينيّة، بمثولها أمام هيئة الأمم المتّحدة، هي قضيّة اسرائيل ماثلة أمام الأمم. فالدعوى، ولا ريب، ضخمةٌ، ولا بدّ أن تهيج العالم.

بها تُستدرج بلدان خمسون فتتساءل: فيم يبتغي اليهود، باسم العقيدة، أن ينشئوا دولة لهم وأن ينتحلوا جنسيّة بدّالة، وقد أضحوا في كل مكان مواطنين، ينعمون بالوفْر والحريّة، وشتى فنون القوى الخفيّة؟ فأسياد المال هم، والصحافة، والسينما، وشؤون عديدة أخر.

شعبٌ هو أكثر الشعوب شتاتًا في المعمور، يعدّ ستة عشر مليونًا، وقد ذرته الرياح منذ قرون، وامتدّ له جذر تحت كل سماء، وحمل أهله هويّات هي مثار اعتزاز، ففيمَ يصرّ آلهُ على أن يتصرّفوا كمن بات وليس له وطن؟

بلدان خمسون سيدعى مندوبوها إلى النظر في هذه الأمور، وبتّ ما إذا كانت فلسطين الفائضة السكان والتي تحرّر أهلوها من ربقة الحكم اليهودي منذ عهد تيتوس على أقرب حدّ، ستُرغَم وإياهم على احتمال الاجتياح الصهيوني عبئًا، تحت ستار الدعاوات المختلفة التي تلتمسها العرقيّة الذُّريّة.

أما ان تكون حالة اليهود كلاسيكيّة، وتكون مغامرتهم الجماعيّة من أشهر المغامرات، فلسوف ينجلي لممثلي الأمم أنهم لم يُدركوا من هذه القضيّة، التي لا تعادلها قضية في التاريخ، إلاّ ظاهرها.

أعجب به ادّعاء ساخطًا يعتمده اليهود ليداعوا بزاوية من الأرض ضئيلة، أضاعوها منذ تسعة عشر قرنًا أو تنيف (وكثر هي الأمبراطوريّات التي في وسعها الآن أن تغدق عليهم أكنافًا رحيبة). بأيّ الذرائع يقتنع قضاةُ مجلس الأمن فيجعلوا فلسطين بأسرها، اعتباطًا، في حكم شريعة اسرائيل، أو يجزّئوا أرضها المقلّة تجزئةً مفجعةً، إلاّ أن تكون هذه الذرائع مائلةً عن الصواب، تدفعها نزوات جامحة؟

ولئن كانت الصهيونيّة تتخذ الحكمة حسيبًا لها والعدالة، فلسوف يكون ملَفّها في ناظريها مُريبًا. إنَّ في ما تطالب الصهيونيّة به تحدّيًا للحضارة بيّنًا، وتحديًا للمقوّمات الخلقيّة التي سوّغت الحرب الأخيرة.

لقد أيّد مفتي فلسطين الأكبر، الحاج أمين الحسيني، ما عرضه العرب: من أن يعيش سكان فلسطين جميعًا عيش إخاء، في حكم قانون واحد، وبمقتضى أحوال شخصيّة واسعة. فما الذي تعتصم به هيئة الأمم المتّحدة، في مجال المنطق والإنسانيّة، ليسفّه هذا القول؟

قضاة اسرائيل

٢٠ نيسان ١٩٤٧

بيّن أنّ القضيّة الفلسطينيّة تُعالج في حيطة، أمام هيئة الأمم المتّحدة، من جنباتها جمعاء. فالتحفظّات الخطابيّة تتعدّد، والتصريحات تكتسي جميع فنون الحرص والحذر.

لم يتّفق للقوى الغامضة يومًا أن شخصت، شخوصها هذه المرّة، في كواليس قضيّة دوليّة كبيرة. والواقع أن المعنيّ بالأمر هو شعب اسرائيل. وهو مزيجٌ نسيجُ وحده في العالم، لفرط ما اجتمع له من الصفتين الدوليّة والعرقيّة معًا.

ويبدو للناظر عن كثب أن الحالة فريدة من نوعها. وبفضل الالتباس، ركب يهودُ البسيطة مركبًا جسورًا، في غارة سياسيّة ترمي إلى خلق دولة يهوديّة، على حساب شعب آخر. يتمرّدون على انكلترا، وهي التي أحالت قضيّتهم إلى محكمة الأمم، ويعاملونها كأنها ألدّ عدوّ، وهي التي كان يظنّ أنها في طليعة من أحسن اليهم.

وشبيهٌ موقفُ اليهود من انكلترا بموقف اسرائيل من اللّه (على غير مطابقة ملتزمة في التشبيه طبعًا).

ففي سياق أخبار التوراة نرى هذا الشعب المختار يعود أبدًا إلى جحود نكير، يستجلب أصرم العقوبة.

لهيئة الأمم المتّحدة الآن أن تقول الحق في وضعٍ لم يعد فيه بدّ من الاعتصام بالعزّة الالهيّة. فإن تشريد شعب اسرائيل من الغرابة ما يحدونا على اعتباره ظاهرةً فوق ظواهر البشر. وجليّ - حتى على النطاق الإنساني - أن فلسطين قاصرة عن إلجاء معشار يهود العالم. والواقع ان عدد اليهود يبلغ الخمسة عشر مليونًا أو الستة عشر. فأيّة جدوى تُجتَنى من أن يوفد منهم مزيد إلى فلسطين، والقوم في فلسطين على ضيق مكان، والمكان في ما خلاها رحيب؟

لسوف نستغرب أن لا يقول ممثلو الأمم هذا القول، في آخر ما ينتهي بهم إليه المنطق والنظر.

ويكاد الوضع يتمثّل كما يلي:

١) ليس من المحتمل البتّة أن يكون معظم اليهود، أينما حلّوا، راغبين في التجمّع بأرض يهوديّة، وأن يكون كل فرد منهم راغبًا في التخلّي عن جنسيته ووطنه.

٢) ولئن كان هذا محتمل الوقوع، فيتعذّر أن تكون فلسطين هي تلك الأرض، نظرًا لفرط صغرها.

٣) وعليه، ففيم يُحمل العالم العربي، والعالم أجمع، على مضض، لما يطالب اليهود باستعادته من فلسطين، وفيم الإصرار على المضيّ نحو مواجهة النكبة؟

إن لم يطلب لليهود أن يكونوا انكليزًا، أو أميركيّين، أو فرنسيّين، ففيم لا يُمنحون أرضًا تكون على مقدار عددهم ومطامحهم، وجيشانهم؟

ونرى أن نُحيّي الحجى الذي يزدان به ممثلو الأمم، قبل ان نستبق العدالة التي سيتلفظ بها مجلس الأمن، ثقةً منّا بأنهم يعلمون هذا كله ويفقهون.

وَاحِدَة لا تتجزّأ

٢٠ حزيران ١٩٤٧

تُرى ينجلي للجنة تحقيق فلسطين التابعة لهيئة الأمم المتّحدة، ما لم ينجلِ لسابقاتها من لجان التحقيق؟ أتُراها تستقصي استكناه اللّغز لتحلّ ما بدا حلّه على غيرها مُغلقًا؟ ومهما يكن فالمخارج لا تعدو أن تكون ثلاثة:

- أن تُخلّى فلسطين كاملة، لسكانها الحاليين، فيعتبرون شعبًا واحدًا، أيًّا كان شكلها.

- تجزّأ فلسطين شطرين، فيعطى اليهود شطرًا والعرب شطرًا.

- أو أن تُمنح لليهود، ومعناه، بالنسبة إلى غيرهم، اغتصاب واستعباد.

أما الاحتمال الأخير ففيه من فرط الحَيَد، ما يجعل التفكير فيه مشوبًا بالجنون. وأمّا الاحتمال الثاني ففيه من الجَور، ما يجعل الساسة، في هذا القرن، أو أي قوم متمدنين، إذا ما توقفوا عنده مختارين، يسيئون إلى المنطق والعقل.

إذ كيف تشطر شطرين، أرض، كهذي الأرض، ضئيلة، فاض سكانها، وتعاظل فيها كل شيء وتعقّد؟

لقد وقف اليهود أنفسهم من هذا التقسيم موقف المناوئ، وهم، هم الحالمون بذيّاك الحلم الرحيب الذي نعلم (يتعلّل شعب اسرائيل برؤية ابن داوود يومًا على رأس امبراطوريّة تنبسط رقعتها إلى «الأور» من أرض الكلدان).

إنما تقسيم فلسطين إلى شطرين هو بمثابة تجديد لقضية «السودات» في تشيكوسلوفاكيا، أو افتعال مأساة آجلة أو عاجلة، من شأنها أن تتسع على نطاق كوني.

فبينما يحتفي المفوض السامي البريطاني في فلسطين بلجنة التحقيق التابعة لهيئة الأمم المتّحدة، على صخب فتوحات «الأرغون»، لم يعد بدّ للجنة من أن تظهر بمظهر المرتبك الحائر. لقد وكلوا إليها مهمّة تقتضيها إتيان معجزة (معجزة لا يُرى في التوراة لها مثيل).

وفيما ينبّه المفوض السامي ذكرى «أوليس»، يقول في قرارة نفسه: ليس من الراجح، حقًا، أن المحقّقين الغُرّ الذين انتدبتهم الأمم مجموعين بأسلس حيلة من الانكليز بمفردهم.

عمّا قريب يتساءل المحققون: ما الذي أقحم الأمم في وَعْر هذه المفازة؟

ومع هذا، فقد يتهيّأ لنا أن حكمة الكون لن تغيب، ولن يغيب منه روح العدالة، وان الرحلة إلى فلسطين لم يقم بها نفر غرّ أتوا من أقاصي الأرض، ليقترحوا العسف ويكرّسوا الطغيان.

فما من ريب بأن الأمم سوف ترى نهائيًا، وتعلم، أن فلسطين واحدة لا تتجزّأ.

إلى لجنة التحقيق

٢١ تموز ١٩٤٧

لا يغربُ عنّا ما خاطب به الأب دي ڤرتو ذلك الذي حمل إليه مستندًا خطيرًا بشأن تاريخ، وضعه في حصار مالطة: «شديد هو أسفي، يا سيدي، ولكنّ حصاري قد تمّ».

شريطة ألاّ تكون ذهنيّة لجنة التحقيق الوافدة علينا من فلسطين مماثلة لذهنيّة الأب «دي ڤرتو»، «وألاّ يكون حصارها قد تمّ».

تُرى تصطدم حجج الأقطار العربيّة برأي موقوف أو قرار متَّخذ؟ معاذ اللّه أن نشكك بسلامة ما ينويه زائرونا الغرّ وبموضوعيّتهم! إنّا نوقر لجنة التحقيق التابعة لهيئة الأمم المتّحدة كل الوقار، فهي رمز العدالة الكونيّة بالذات، وآيتها في الأرض، غير أن الآراء تأتينا من كل فجّ وصوب بشأن القضيّة الفلسطينيّة تثير القلق. فلطالما جاهروا في عديد الحواضر، أن الأمر مفروغ منه. فصرّحوا بأن التقسيم قد حصل، واعتبروا أن الدولة اليهوديّة قد صُنِعَت. حتى بتنا نرتقب، على ريبة واحتراز، هذه المحنة الخطابيّة والجدليّة التي يهيّأ لها في بقعة من جبل لبنان، فيتشرف بها لبنان.

لقد داروا ما حول القضيّة الفلسطينيّة مئة مداورة، وسبروا أرضها بشتى الوجوه، وبسطوا في رابعة النهار فنون الحجج. ويبين لمستجلي القضيّة أنهم يغتصبون دعوى الحق عنوةً، وبالأمر الواقع. ويستبين، كيفما تلفّت، أن الغرض إنما هو دعم الوضع اليهودي في أرض المقدس، بالعَدد، حتى تبلغ السيادة اليهوديّة كمال انطلاقها، مرحلةً اثر مرحلة.

ثم، ألَمْ تعد أرض المقدس مقدّسة إلاّ لليهود، ألَم تعد مدعاة للتجلة إلاّ بالنسبة إليهم؟ وهل يعني تقسيم أقدسِ بقعة في الأرض تقسيم ظلم وعنوة، غير رضوخ الفكر، وسبّة العقل، والاتّجار الخسيس؟

وبينما تنزع الأرض المقسّمة الجريح، في كل مكان، إلى استجماع أجزائها والتعاضد، وإلى توسيع مفهوم المدى، فالأمر في فلسطين على نقيضه: إنهم يجزّؤون، بضراوة، جسمًا حيًّا يفجرون عليه تجربة تشريح وحشيّة باطلة.

فلو خالجنا لمحةً، (بالاستناد إلى أعمال لجنة سابقة) أن التقسيم قد تمّ، وتعاظلت المناطق، وساد التداخل والتعقيد كلَّ مكان، وتفكّرنا في القدس والجليل، في السهول والهضاب والثغور البحريّة – وقد أضحت جميعًا لوحة شطرنج، وأحجية، ومتاهةً، وتحدّيًا لكل ما يعلّم العقل في هذا القرن، إذًا لهاجنا الحزن والتمرّد، وتراءى لنا سيل من الهجرة، مُتواتر، مرتكز على عرقيّة ساخطة، ستطيح بالحدود، في فترة وجيزة لا حساب لها في التاريخ.

أتلقى المشكلة حلّها عندما تستوعب الدولة اليهوديّة في فلسطين مليون يهودي، أو مليونين إن شئت، فوق من فيها؟ كلا! ثم كلا. وإذًا فما العمل؟ وما تُراهم يصنعون؟ وأيّة جنّة سوف يأتون؟ حينئذ تستغيث اسرائيل أكثر مما تستغيث اليوم من الجور والاضطهاد، وتكون أيّامٌ كأيام القيامة في الشرق والغرب.

ثم انه ليس من المحتم أن تقودنا هيئة الأمم المتّحدة إلى مثل هذه التطرفات، وهي المؤسّسة الدوليّة الهادفة، في أقصى ما تهدف، إلى إلقاء السلام في العالَم، أن تُقيم نفسها آلة للخلاف المتفاقم، والنكبات الآتية التي لا حدّ لها.

فمن لبنان يُبسط الطرف إلى البعيد، وفيه ما يُعينُ أضيافنا ممن أوفدتهم الأمم، على قياس المستقبل بعيار المنطق والعدل.

ولو أن اليهود ارتضوا فقط، إذًا لبدا طبيعيًا جدًّا أن يكون جميع سكان فلسطين الحاليين شعبًا واحدًا. فأي رجاءٍ لا يتولّد آنذاك من التعبّد الثلاثي، القرير، الأخويّ، لإله واحد!

مفكرة لمحققي الأمم المتّحدة

٢٣ تموز ١٩٤٧

نلفت في الوقت الملائم إلى أن الأعمال التي تقوم بها اللجنة المختصّة بهيئة الأمم المتّحدة حاليًا في الأرض اللبنانيّة، إنما غرضها قضية فلسطين، وهي من أهم قضايا العالَم.

وإذا ما بدا غيرها من المشاكل الدوليّة أوسع منها مجالاً، فإن المشكلة الصهيونيّة أوغلها عمقًا، إذ هي أشدُّ القضايا ارتهانًا للمستقبل؛ وهي أبدًا تسمُ أعراض السياسة اليوميّة وموادّها المتحرّكة بسمَة من أغرب سمات القدر.

هذاالأمر لا يخفى على ممثلي هيئة الأمم المتّحدة طبعًا، فهم يتحسّبون لخطورة مهمتهم، ومن السّفه أن يساءلوا فيها مزيدًا من النظر الجدّي؛ غير أننا لا نرى في الإلحاح إسرافًا كلما ذكرنا أن سلام الأمم قد يتوقف على نتائج التقرير الذي يستجمع محقّقو هيئة الأمم المتّحدة عناصره.

فلسوف يكون للقضيّة الصهيونيّة حتمًا صداها في مستقبل اليهوديّة العالميّة، تبعًا للكيفيّة التي تُعتمد في حسم الخلاف. فإن هي انتجت شقاقًا في الشرق، أنتجت في الغرب شقاقًا أيضًا. وقد تجيء العاقبة أوخمَ من أضنَى ما رأيناه حتى الآن.

ما برحت حجج البديهة، في ما يعتمده ممثلو مجلس الأمن (وفي وجه دولة يهوديّة مصطنعة طاغية) حاسمة: أيصحّ أن ترفع مَظْلَمة باقتراف

مظلمة أخرى، لها من النتائج ما لا يقع في حصر؟ وما الانتفاع من أن يُبَتَّ في المعضلة اليهوديّة بفلسطين، بتًّا جزئيًا لزامًا من جانب، وأن تبقى هذه المعضلة كما هي، فتظهر في سائر المعمور بمظهر أشدّ؟

ومن هم يهود العالم الذين لا يخالج مواطني البلدان طُرًا أن يخاطبوهم يومًا قائلين: ما أنتم صانعون ههنا عودوا إلى داركم، إلى قطاعكم السياسي. اذهبوا، واحكموا فلسطين بديل أن تَطَاوَلُوا إلى تسلّم الحكم في انكلترا، وفي الولايات المتّحدة، أو فرنسا.

وإذًا ففيم تُعنَّت المسيحيّة والإسلام معًا، وفيم تُجرح البلدان العربيّة إلى هذا الحدّ، وتُجرح العدالة والعقل، من أجل نتيجة غرّارة، عابرة؟

لم يخالجنا برهةً أن الشخصيّات الفذّة العاملة هنا لحساب هيئة الأمم المتّحدة بشأن القضيّة الفلسطينيّة، سوف تبذل جميع موارد الفكر لتقترح حلاً منطقيًا ركينًا، يجاوز الحاضر، ويتحسَّب لما في الغد من عظيم الريب.

الواقع أن المحققين الرسميين لم يعانوا يومًا قضيَّةً وجدانيّة لها من السعة ما لهذه.

من رسالة تاريخيّة

٢٣ آب ١٩٤٧

الكتاب الذي وجّهه مفتي فلسطين الأكبر إلى قداسة بيوس الثاني عشر يتحرّك له كل من تلاه مثنىً أو ثلاثًا. وكان الحاج أمين الحسيني، لثلاثة أسابيع خلتْ، يقدّم لقداسته وفد عرب فلسطين، يرئسه المونسنيور جورج حكيم متروبوليت عكا، بقوله:

«إنّا لمتيقنون من أن توثيق عرى الصداقة بين كرسيكم السامي الوقار، والعالمين العربي والإسلامي ـ توثيقًا تَمَنَّيناهُ من كل قلوبنا وصبونا إليه بكل قوانا ـ سيسفر عن خير النتائج، فنجانب معًا مخاطر المبادئ الهدامة المستفحلة التي تهدّد جميع الأديان، وجميع المعتقدات، وجميع الأخلاق، وتُنذر بفادح الخطوب».

فمَن من الذين لا يرون هذا العالم آخر حدٍّ لحياة النفس، وقدرة الفكر، لا يشاطره لهجة الإيمان والرجاء هذه؟ وبينما مسوّغات وجود الشعب برمتها تُمنى بالانحلال، وبينما تغور في هاوية الشقاء أجزاء من الإنسانيّة شاسعة، نرى العزاء في هذا الحوار الودود الذي يدور بين «العالمين العربي والإسلامي وبين الكرسي الرسولي». إذ المقصود، أوّلاً، هو الاعتراف باللّه، ثم الدفاع عن الحق. غايتان تفوقان كل شيء. فيتحد جميع المتعبدين للّه،

ويلقون على درء الإلحاد المعتدي. أمّا الحق المهدَّد، فينتظم عنه الدفاع حول أرض المقدس، حول فلسطين التي تريد السياسة الغاشمة تقطيعَها إربًا، ويُحيق بها خطر العرقيّة.

ليس في ذا الحين شيء أبرز من هذا التقارب المرتقب، والحق أنه منذ قرون يختمر. وليس في ماجريات الأحداث الكبار، حدث أبرز منه. فمن السماء، من فوق منازعاتِ هذا العالم، تصنعُ فضيلة الإحسان والمحبّة صَنيعَها.

المأساة الفلسطينيّة

٥ أيلول ١٩٤٧

يعزّ علينا أن نرى فلسطين مقصَّبة، مقطعة إرْبًا إربًا. ويعزّ أن نرى هذه الأرض المقدّسة خاضعة لعمليّة قاسية كهذه، جائرة؛ فقد جاء قرار لجنة التحقيق التابعة لهيئة الأمم المتّحدة، لصالح التقسيم، بأكثريّة أعضائه، على أن تقوم دولتان مستقلتان. لم يُلهمهم هواء الجبل السويسري الطلق، ولا هم تنبهوا إلى الرغبة العميقة التي تشغَل العالم في استجماع أجزائه. إنما اقترحت الأقليّةُ حلاً فدراليًّا، وكان حلّها أحكم.

لجمعيّة الأمم العموميّة أن تقرّر. بيد أنّا نكاد نسمع، منذ الآن، صراخ العرب وضجيج اليهود، والاحتجاجات صاعدة من كلا الطرفين. والحق أن صورة تقسيم فلسطين المرتقب النكير، بادية في حكم سليمان الذي ألمعنا إليه ما قبلَ وفود البرقيات: هذا الطفل الحيّ الذي آثرت أمه الشرعيّة أن تقدّمه هبة للمرأة المغامرة، بديل أن تراه وقد شُطر شطرين. ولكنّ القاضي ليس سليمان فيهتزّ لنداء أحشاء الأمومة. دولتان تكوّنت بما يشبه اللغزَ أرضُهما، والقدس ـ تحت سلطان الأمم ـ عنهما بمعزَل. لقد اجتُثَّ الجليل، وتجرّح وجه المسيحيّة والإسلام، فأية هفوة مستجدّة، وأيّ إثم به تستحقّ فلسطين أن تُمنى بهذه النكبة؟ كل ذا كان استجابةً لهوى عَنَّ لاسرائيل، في تهالكها على الرجوع إلى أرض غادرتها منذ عهد «تيتوس»، أرض لا تتسع لسُدس اليهود المشرّدين في المعمور.

وفي موقف لجنة التحقيق ما يعني أنه لا دليلٌ أجدى، ولا رجوعٌ إلى العقل نَجَع. لا، ولا عبرةٌ مستمدة من الجغرافية والتاريخ، أو مبنية على تقدم العصر وضروريّات الحياة. وبديل أن يمهّد للسلام، فللحرب يمهّد. لقد اشتدت شوكة اليهود أينما كان بحيث باتوا يرون لزامًا لهم وجود وطن وجنسيّة رئيسة، على أن يحتفظوا بسائر الجنسيّات، يستعيضون ويستبدلون. إنها لمغامرة تثير العجب.

أيدري الصهاينة السّاخطون، إذا التقسيم تمّ، أي شيء يرتقبهم في فلسطين، وهم هم الذين، عبر تاريخهم، أثاروا «يهوى» مرارًا عليهم، بأسماء شتى، وصُبَّت اللعنة عليهم، فتفرّقوا أيدي سبا؟ إنهم سرعان ما سينقسمون على أنفسهم، إذ ليست الصهيونيّة في أرض الميعاد غير قَتام من العصبيّات والأحزاب، ربما أربَتْ على الثلاثين. ويحدثوننا عن اليهود الأصَلاء، عن ورثة الحكمة القديمة، أنهم شرعوا في فلسطين يصطكّون خوفًا على مستقبلهم ويفكّرون بمغادرة الدولة اليهوديّة التي جُهّزت لهم. وطفقوا يبصرون فيها الشقاق والشقاء، ولغطَ اللغات، واستحالة التمازج، وسيطرة العناصر المتطرّفة، وبوادر البغضاء، والاضطهاد وهم لا يرون في مطامح اسرائيل الصاخبة غير خطب جديد.

إنما الغاية الوحيدة التي ينبغي أن يهدف اليها اليهود الاقحاح، الأتقياء، الحكماء، هي القدس والهيكل. أما الهيكلُ فنعلم ما الذي تبقى منه؛ وأما القدس، فأيسره أنها تقع في حكم جمعيّة الأمم. وعليه، فمغامرة اسرائيل ما مغزاها؟ إنها ستسير بالشعب المختار إلى مراث جديدة.

إنهم يتأهبون لاقتراف ضلال مُبين. ولئن بدا العقل عاجزًا على الرغم من الحق الصراح، فلا بدّ من أن نرى يد المدبّر الحكيم، مرّة أخرى، ولونًا من السخط والعقاب غير منتظر.

أميركا في الميزان

١٩ أيلول ١٩٤٧

أمام هيئة الأمم المتّحدة، ومن فم الجنرال مارشال، في مستهل ما عرض، على رؤوس الأشهاد، جاء قرار الولايات المتّحدة لصالح تقسيم فلسطين. دولتان اثنتان: واحدة عربيّة، وأخرى يهوديّة. ويتفق أن ليس بين الأمم التي تضمّها منظمة الأمم المتّحدة أمّة أقوى من الولايات المتّحدة (تبعًا لمقتضى الحال) لتطلب تقسيم ولاية نيويورك إلى شطرين، في صالح اليهود.

لحجة القويّ الغلبة، وستبقى الغلبة لها حتى تتجلّى العدالة الأبديّة متألقةً بين البشر. عندما تنتصر حجة القويّ نهائيًّا فتكون حجّةً، على الأقل، معقولة.

في وادي يوشافاط، سيؤدّي الأميركيّون، يومًا، حسابًا عمّا في سياستهم الفلسطينيّة من حيف وزوال. وسيستجلبون اللعنة لأنفسهم، حتى لعنة قضاة اسرائيل، لتحيّزهم، ولموقف متغافل وقفوه. والابتهاج الذي جاروا به رأي الأكثريّة من أعضاء لجنة التحقيق التابعة للأمم المتّحدة، يدلّ على مقدار رغبتهم في أن يصير الرأي إلى ما صار إليه. لقد تمّ حصارهم منذ أمد بعيد، بيد أن ندمهم، كتصلّبهم الآن، سوف يكون بعيد الشأو، إذ إنهم لا يستجلبون السعادة لليهود في ما يصنعون، وسياستهم تنساق للانتهازيّة. عملٌ لمصلحة كسائر الأعمال أتوه، وبينه وبين الخطيئة المميتة شبَه غير يسير.

أما الصهاينة، فبينما يناهض المتطرّفون منهم التقسيم، يرتقب الباقون بجزع محموم أن يغدوا ولهم دولة ذات سيادة. إنهم يرون منذ الآن أنفسهم في الأمم المتّحدة، وقد أوشكوا أن يستعيدوا مجد بيت داوود. فنتساءل حينئذ ما تراه يكون موقف اليهودي الأميركي والانكليزي أو الفرنسي من اليهودي الفلسطيني، وهل يتمالك واحدهم عن الضحك إذ يبصر الآخر، أليس بديهيًا أن تتسع الشكوك فتغشى هؤلاء جميعًا ومن عداهم قاطبةً؟

سَيرُ القَدر

٤ تشرين الأول ١٩٤٧

لا يشغلنا، في هذه الآونة، شاغل يفوق الهاجس الذي يُعقل أن يخطر لكل لبناني في حاضر فلسطين ومستقبلها. وقد ارتفع، أمس، احتجاج جماعي آخر، من أرض المقدس المسيحيّة والإسلاميّة، ومن البلدان التي تجاورها. وبينا كان يردنا أن الوكالة اليهوديّة رضيت بالتقسيم، كان العالم العربي يعاود إقفال المدن.

فلا يبدو أن أكثريّة لجنة التحقيق التابعة لهيئة الأمم المتّحدة، إذ قرّ قرارها لصالح العمليّة، قدّرت ما يستتبع قرارها من عواقب، ولا سيّما أبعدها. غير أن الوكالة اليهوديّة علّلت قبولها إيّاه، وعدّته تضحية قاسية، وأبرزت ما لضمان استقلال اليهود في أرض فلسطين، ولتربّعهم دولةً ذات سيادة بين الأمم، من شأن. وألحّت على أن جعل الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين غير محدودة، إنما هو ضرورة يقتضيها صالح اسرائيل.

وإذا تمّ التقسيم، فسراعًا ما سوف ترى الدولة اليهوديّة ـ وقد أضحت معقلاً ـ أغرب ارتفاع في نسبة السكان في المعمور. ولئن صمد الـ ٤٧٠٠ يهودي على «الاكزودس» التائه، سحابةَ ستة أسابيع، فلسوف يصمد ألف ضعف منهم ما يكفيه من الزمن ليملأ الكون ضجيجًا وصياحًا، ويجتاح ما جاوره من أرض، ويستخرج مجدّدًا من وعد بلفور، ما لم يتضمّنه هذا الوعد قطّ.

وللقرار الذي اتخذته بالأكثريّة لجنةُ التحقيق التابعة لهيئة الأمم المتّحدة، خطورة لا يُدرك مدى صداها إلاّ بانقضاء عشرين عامًا أو ثلاثين على الأقل. فإذا ما عُمل بموجب توصيات اللجنة، وخُلقَت الدولة اليهوديّة بفلسطين، لن يمضي عليها عشرون عامًا حتى يُضحي سكانها مليونين أو ثلاثة (هذا على احتمال أنه لن تحلّ كارثة ما في غضون السنوات العشرين)، إذ سوف يتزايد عدد اليهود، على نسبة هائلة، بداعي الهجرة، وبداعي ما يسعف على إكثار النسل إسعافًا، (لأن الذين يُيَمّمونَ فلسطين هم من الشبان خاصّة). فيتولد منذ اليوم الأوّل، على جميع تخوم الدولة اليهوديّة ـ بما فيها حدودنا طبعًا ـ ضغط متزايد لا يقوى أحد على تعيين مجاله ومنتهاه. وثمّ ما لليهود من سلطان مالي ودسّ مستديم في السياسة الدوليّة، يزكيهما عدد لهم، وقوّة في فلسطين، فلا تقوى دولة مجاورة على صدّ السيل الدافق.

حلم هائل، حلمته اسرائيل بإنشاء مملكة تبلغ الفرات، وتصل «الأور» من أرض الكلدان ببيت المقدس. إنها تهدف، في مراميها، إلى إقامة امبراطوريّة. فهذا هو حلمها، وإن صحّ أنها سوف تقتحم المخاطر الجلال، وتجزى على تجاسرها بأفجع الجزاء.

فعلى كل لبناني، وكل سوريّ، أن يتذكّر بأننا من هذا المطمح، وهذا السلطان، في أمتّ جوار، وأن المغامرة اليهوديّة لن تؤتى توسّعْها المنشود إلاّ بمشيها على أجسامنا... ولربما انبغى ـ والحال ما هي ـ أن نستعيد تلاوة ما جاء في التوراة وأن نفكّر على غير ما مبالاة، بنهاية العالم.

فلسطين والجغرافية

١٠ تشرين الأول ١٩٤٧

كتب السيّد سيريل فوللز، النقادة العسكري الشهير، ومدرّس تاريخ الحرب بأكسفورد، في إحدى مقالاته الأسبوعيّة الحديثة بـ «الألّستر ايتد لندن نيوز» يقول: لتكن الخرائط أدوات الرجل السياسي في ما يصنع، ولا سيّما خرائط الكرة الأرضيّة. هذا هو الحق المبين، إذ لن يُستطاع اهتمام بمكان من الأرض ما لم تُعرف بالضبط ماهيّةُ طبيعة الأرض فيه، وكيفيّةُ موقعها من العالم. وغنيّ عن البيان أنه لا بدّ من اضافة الجغرافية الإنسانيّة إلى الجغرافية بمعناها الحصريّ.

ولو أن رجال الدولة والساسة البارزين العاملين في هيئة الأمم المتّحدة لإسعاد النوع البشري تقبلوا هذا النظام، بأحسن ما تقبلوه، ولو أنهم حدبوا على الخريطة، وعلى خريطة البسيطة، أكثر مما حدبوا، بديلَ أن يتفلسفوا في المجرّد ويقتصروا على تصوّرات العقل، إذًا لتكوّنت لديهم عن الحقائق الأرضيّة، فكرة أدقّ، ولكان أحرى بالذين يبترون فلسطين إلى اثنتين أو ثلاث، قبل أن يراودهم صُنع التاريخ، أن يبذلوا الجُهد، ليتضح لهم أخيرًا أن هذا البلد الصغير لا يُجزّأ إلاّ بضرب من الجنون، وأن يقتنعوا بأن التوصيات التي أوعزت بها غالبيّة لجنة التحقيق، على حسن نيّة، إنما هي سبّة بوجه المنطق والنظام الخُلُقي. غير أنه لم يكن لهم بدّ من مرضاة الصهاينة، مهما كلّف الأمر. لأنّ الصهاينة قوّة، ولأنهم يعرقلون الأرض قاطبةً بدسائسهم وتصرّفهم،

وصرخاتهم؛ فجاء الحلّ الذي وضعوه فاسدًا، موحىً به، وما حفلوا بالعواقب. وإذا ما عُمل بمقتضى توصيات لجنة التحقيق، صارت فلسطين رُقَعًا، على نحو ما صارت إليه تشيكوسلوفاكيا، في الزمن الغابر. ولكنّ الأوضاع في فلسطين ما برحت أضرى وأفجع. إذ إن المعضلة «التشيكيّة» كانت ـ إن صحّ القول ـ مبدئيًا على الأقل، أمرًا يسيرَ الشأن بالنسبة إلى المعضلة التي يعالجها العلم السياسي بضراوة (أو باستخفاف) في هذا الأوان.

ومن أقرب ما سمع في مجلس الأمن إلى المعقول، خلال الأيام الأخيرة، أنه من الأولى أن يتشاور العرب واليهود في ما بينهم، ليقرَّ قرارُهم على إقامة نظام مشترك. وعليهم أن يتحادثوا ـ أكثريّة حيال أقليّة ـ حتى ينتهوا إلى التهدئة، فالسلام. ومن شرع المنطق أن يتعايش سكان فلسطين الحاليين، نظرًا للتداخل الذي هم عليه، ونظرًا لطبيعة الأرض. فقد يجدون سياسيًا، لتجاورهم، بتوسيع الأحوال الشخصيّة، مخارجَ لقضاياهم المطروحة على بساط البحث. وجاز العرب في هذا المنحى شأوًا بعيدًا، فكانت عروضهم أسخى العروض، وتفادوا أن يرفعوا حاجزًا بوجه «الفرع الآخر من الأسرة الساميّة»، على نحو ما أعرب السيّد مازاريك، أمام هيئة الأمم المتّحدة، أول أمس. بيد أن اليهود صمّوا الآذان، وبعد أن انتحلوا الجنسيّات جمعاء، وتسلّلوا إلى الحكومات جمعاء، انبروا يضاعفون ما لديهم من كبير سلطان، فيداعون، بكل قوّتهم، بدولة مستقلة يكون ثمنها تجزئة فلسطين تَجنّيًا. ولو لم يكن ثمّة داعٍ لتفادي هذه التجزئة غير الداعي الجغرافي، لكفى. من مثل هذي الأضاليل مُنيت بالحروب معظم الأمم، وبالخطوب.

سيناهض ممثّلو البلدان العربيّة التقسيم بشكل حاسم، خلال الدورة التي يعقدونها حاليًا في لبنان. وهم ماضون في هذي المناهضة حتى النهاية، ولا ريب.

فما في العالم مثلهم من هو في حال دفاعٍ شرعيّ عن النفس.

الأمم المتّحدة وفلسطين موضوعنا الدّائم

١٧ تشرين الأول ١٩٤٧

إن أشدّ ما تفتقر إليه هيئة الأمم المتّحدة هو التجرّد.

ومن القحة أن نضع أيضًا حسن نيتها موضع الشك، ولكن حيثما تغيب الموضوعيّة، وحيثما تزكّي المصالح الشهوات، يُضحي من العسير أن يظل حسن النية مستقيمًا حتى النهاية.

فللأمم من مواطن الضعف ما للأفراد، بل هنَّ يتحرّكن لمستلزمات الضمير دون ما يتحرّك الأفراد. ولمنطق الدولة المتصلّب خدامه في جميع الدول.

فلئن فات منظمة الأمم المتّحدة أن تظهر بمظهر التجرّد، وفاتها أن تحكم بالإنصاف، تكون إذًا قد قضت على نفسها، وزال أوّل ما يبرّر وجودها، ألا وهو صدّ التجنّي على الحق. وإن كان هيئة الأمم المتّحدة تأبى «أن تقول الحق»، فما الجدوى من وجودها، وماذا يكون ميدان عملها؟ أبغي وتمنّع عن إحقاق الحقّ، فأي مستقبل يكون مستقبلها؟

منذ أيّام، صرّح ممثّل الدولة السوفياتيّة أمام جمعيّة الأمم أن الولايات المتّحدة تسيّر ثلث الأصوات. أمساومة غامضة في الأمر، أم مشروع يستخدم فيه وسيط فيصوّت للأسهم مالكها؟ الحق أن النهج الذي تعتمده يوغوسلافيا، وبولونيا، وأوكرانيا لتصوّت في جانب الدولة السوفياتيّة، «كأنهنّ رجل فرد»، هو أيضًا نهج أعمى مثير للقلق، ولا بدع إن نحن أبْدَيْنا بشأنه استغرابًا.

عدالة غريبة هي العدالة التي تجتمع فيها الأصوات عينُها دائمًا من الجانب نفسه. عدالة غريبة تتضاءل لديها شخصيّةُ الحاكمين إلى هذا الحدّ ويُطعن فيها! ولو أنّا بلغنا غاية التفاؤل، فهل يبيت في مقدورنا أن نرتقب غير الذي حصل، والخُلق الدولي على ما هو من نسبيّة، والقوى الماديّة على ما هي من تفاوت؟ وأين يكون مصدر العقاب المستحقّ أن تجاذبه هذا المقدار من المواقف التي تنافي أمل الإنسانيّة الأساسيّ؟

أما بعد، وفوق كل شيء، فالمُرَاءاة هي الخطيئة التي تجتاح العالم.

ولا يسعنا التسليم بأن الأمم اللواتي قضينَ بتقسيم فلسطين قد فعلنه باقتناع عميق. وإذا ما اعتبرنا تصلّبهنّ جهلاً، بعد ما أتينه من أعمال، كان ذاك أشدّ بأسًا عليهنّ.

إن ثمّةَ بلدانًا بها إلى اليهود حاجة، أو هي لارتهانهم خاضعة؛ وبلدانًا أخَر تبتغي التخلّص منهم. وعليه بدا يسيرًا جدًّا أن يجعلوا من فلسطين ما وكَدوا أن يجعلوا: جسمًا قُطِّع إربًا، وبؤرة الخصومة بالذات، وأرضًا فقيرة، ضيقة، سقيمة، محرومة رمت فيها الدول المستولية على المدى وغلاته، شعبًا راسخ التعصّب، رميةً تنافي مصالح هذا الشعب الخفيّة، و لم يخالجها ندم.

إنما «الأرغون» على صواب في ما رأت، هذه المرّة، إذ إن تقسيم فلسطين بمثل هذا التقسيم العابث، لشيء أقسى من القسوة في نظر «عرق» يبتغي إنشاء امبراطوريّة، ويحلم بأن يحلّ مكان المسيحيّة والإسلام الماثلين ههنا، ويطرحهما أيضًا على دروب العالم الكبرى.

أمّا الولايات المتّحدة فالدليل الساطع، والبرهانُ بالمحال على ضلالها، إنما هو موافقة روسيا، لأوّل مرّة، على القرار الذي اتّخذته.

لقد أظهرت موسكو أنها أبصر من واشنطون، ولو أنّا مكان الأميركيين، إذًا، لتروّينا في الوضع بعض رويّة بعدُ.

ليست فلسطين بأرض خلاء

١٢ تشرين الثاني ١٩٤٧

تنظر الولايات المتحدة وروسيا السوفياتيّة في مستقبل فلسطين كما لو كانت فلسطين أرضًا من السكان خلاء. أما مشيئة معظم أصحابها الشرعيّين، فلا يقام وزن لها. فإذا بنا نرى أرحب بلدين في المعمور، وهما المستوليان على أفسح الأراضي الخلاء، يركبان خطرًا بتقطيع أرض صغيرة جدًّا مثلثة التقديس، تقطيع بلد ضئيل جدًّا، فاضَ بالسكان.

وإذا أقوى دولتين في العالم (وكلتاهما تبشران بالديموقراطيّة ويشتد بينهما التناقض في تطبيقها أحيانًا) تعارضان بعنف المتصلب المعاند فلسطينَ المطالبةَ بحقها، المناشدةَ السلام.

فإن كان لهؤلاء الستة عشر مليون يهودي في العالم هذا الوزن لدى حكومتي واشنطن وموسكو، فأي شيء لا يُتوقّع من أساليب اسرائيل ومشاريعها؟ وما هي ديموقراطيّة موسكو وواشنطن (المتناقضة) هذه، إن كان في شرعها ان ينجم عنها مثل هذا الإكراه؟

لا يغب عنّا ان فلسطين لم تُجزّأ بعد، وان اميركا نفسها، وروسيا، تأتيان ضلالاً، إن جازفتا ببيع جلد الدبّ قبل قتله، على نحو ما هما تتكرمان، وتفعلان، جاهدتَين.

ولا يبدو ـ حتى الآن ـ ان هاتين الدولتين قد رأتا ما للمغامرة التي تمدان اليها يدًا من مدى. وهيهات! فإن انشاء دولة يهوديّة بفلسطين لمن أخطر أحداث التاريخ (في رأينا لسوء طالع الجميع).

لسوف يكون تقرير مصير السلام مُرتَهَنًا بعيش اليهود والعرب بفلسطين معًا، فإما يتكثران بأمان وإما ينفصلان مغاضبَين.

ولا ندحة، إن تمّ التقسيم، من ان تلد في فلسطين ـ دسيسة دائمة تمد خيوط عناكبها إلى جميع المواطن الحيويّة في العالم.

يميل الأميركيّون الى الاعتقاد بأن القضيّة الفلسطينيّة مسألة اقتصاد سياسي، وليس الأمر كذلك. ويرون في موسكو، بشيء من السخر، على ما يبدو، انها مسألة انتهاز وليس الأمر كذلك أيضًا. انها لمن أكثر المهالك في الكون. فلا سمح اللّه ان يريناها الزمان حقيقةً راهنة.

ومن المحتّم ان الدولة اليهوديّة ـ كما شاءتها واشنطن وموسكو ـ ستكون مدعاة لخلاف أبدي داخل حدود الشرق الأوسط جمعاء، وخارجها. أهذا، تُرى، ما يلائم واشنطن حقًّا، أم تراه يلائم موسكو؟

النّكبة زاحفة

٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٧

الأدلة التي توفّرت إقامتها دفعًا لتقسيم فلسطين، قد قُلّبت كلها على وجوهها جمعاء. وإن كان ثمّة من برهان قاطع، فهذا هو البرهان. وبالرغم من ذلك، رأينا في قلب اللجنة الخاصة لهيئة الأمم المتّحدة، منذ أمد قريب، خمسة وعشرين صوتًا توافق على التقسيم، وسبعة عشر تمتنع. وكان في الدول الخمس والعشرين، اثنتا عشرة دولة أميركيّة. وفي عدد اللواتي امتنعن بلدان كبيرة جدًّا. وكان من المرتقب أن تخرج عن لا أو نعم. إذ لا يجوز لمن هو أقصى مرجع للحق في العالم أن يمتنع عن البتّ بالحق. وجدُّ يسير هو غسل اليدين من قضيّة كمثل هذي القضيّة.

لم يعد الآن مفرّ لهيئة الأمم المتّحدة من إصدار حكمها. فإن كان لصالح التقسيم، استوجب أكثريّة الثلثين، واقتضى تبديلاً في موقف بعض الذين امتنعوا. إلاّ أنه قد يؤتى بالأمر العجاب، وسنرى، عمّا قريب، كيف تسطّر هذه الصفحة التاريخيّة الخالدة.

فإذا بارت حكمة الإنسان (كما يبدو) وُلدت دولة يهوديّة تضمّ أربعماية ألف عربي بإزاء ستماية ألف يهودي، في أوضاع جغرافيّة لا يُسيغها العقل. وإن تمّ هذا، وظلّت الأمم تبع منطقها، رأى عرب الدولة اليهوديّة أيضًا ذرائع سديدة ليناشدوا هم أيضًا عدالة تكون أكثر إنصافًا. وإجراء تقسيم جديد بحجج كذلك المنطق راهنة.

لم نرَ البتة شيئًا أشدّ تكلّفًا، وأبعد عن السياق الطبيعي من الذي يُستحضر في هذا الأوان بشأن فلسطين. ولا رأينا التعسّف والتحيّز يتحدّيان الحق بهذا المقدار.

والحق يقال أنه لا بدّ، في هذه القضيّة، من تدخّل القدر، أو مشيئة فوق إرادات البشر، كمثل ما تمّ منذ تسعة عشر قرنًا، إذ حلّ الدمار ببيت المقدس.

ذريعتُهم أنهم ينشدون للمعضلة حلاًّ، فيجعلون خطرها أشدّ، وحلّها أعسر.

وأنّى يُرتجى في العالم السلام، بذهنيّةٍ هذه حالها؟

النّكبة زاحفة (تابع)

٢ كانون الأول ١٩٤٧

عمىً أشدُّ، حدا غالبيّة الأمم، فاقترعت لصالح قيام الدولة اليهوديّة بفلسطين، وغالبيّة اليهود، فابتهجت على صوت المزهر والصنوج.

يشهد اللّه أننا، عبر الجدل الطويل، لم تستهدف غير سعادة الجميع، والنظام، والعدل والسلام، ولربما أحطنا بالقضيّة أكثر مما أحاط غيرنا. وكان للبنان حقّ، وكان عليه واجب، وهو من فلسطين في أمتّ الجوار، بأن يُسمع في هذه القضيّة صوته حتى النهاية.

ولكن هوذا الضلال الفكري يُضحي ضلالاً تاريخيًّا، وآخر ما أعرب عنه العرب باقتراح دولة فدراليّة لم يلقَ صدى. وهوذا الصياح يرتفع من كلّ صوب.

فمن إذاعتها اعترفت لندن بأن تصويت البعض قد جرى في أوضاع لا يعرف تفسير لها. إذ بعد أن جاهرت «الهايتي» و«الفيليبين»، مثلاً، بأنهما ستقترعان ضدّ التقسيم، عادتا في الآونة الأخيرة، فصوّتتا لصالحه. وشاع في الجمعيّة العموميّة جوّ من الامتعاض والإكراه. ومن التناقض أنه، بينما كان الانكليز يمتنعون عن التصويت، كانت جميع ممتلكات انكلترا السابقة، أي: كندا، واوستراليا، وزيلندة الجديدة، وافريقيا الجنوبيّة، تصوّت لصالح التقسيم. ثم رأينا فرنسا أخيرًا تصوّت له، وبلجيكا له، واللوكسمبورغ. ولربما ارتعشت في القبر أرواح غودفروا وبودوان وفيليب اوغست وريكاردوس.

لسوف يُظهر المستقبل، المستقبل الذي لا ينفعل بشيء، عواقب هذا الضلال الفادح. ولسوف يطلع الجميع عليها؛ يطلع اليهود أوّلاً، وقد كتبنا في هذا الأمر غير مرّة. ثم إن اليهود الذين يهدفون إلى بيت المقدس في أسمى ما يهدفون، سيبكون بيت المقدس، سيبكونه في النكبة، وفي الصخب، لأنهم قَسَروا طبيعة الأشياء.

كيما نتعزّى عن الزمني بالروحي، لنفتح التوراة فنقع اتفاقًا على الإصحاح التاسع والعشرين من نبوءة اشعيا:

«توانوا، وابهتوا. تعاموا واعموا (العدد ٩) ـ يا لعوجكم، أيحسب الجابل كالطين، حتى يقول المصنوع عن صانعه: لم يصنعني، ويقول المجبول عن جابله: لا عقل له». (العدد ١٦).

هذا ما سوف نراه. وبهذا الكلام سوف يخاطب الإناء جابله.

لقد وهمت أميركا بأنها تسيّر هذي القضيّة كما تُنشأ احدى الصناعات. فوا أسفا! ستفتح الحقيقة الحيّة عينها. وستندم روسيا، ولا ريب، بدواعي السياسة العالميّة، على المغامرة الهائلة، آجلاً أو عاجلاً.

وإن صحّ قلنا: لقد أكلت الأمم من الثمرة المحرّمة مرّة ثانية. والغربيُّ الذي طال ما نكّل باليهودي، راح يردع اليهود عن عقد السلام مع العربيّ أخيه، والعربيّ لم يتجنَّ مرّة عليه. أعجب بالغرب يغدو اليوم معوانَ اسرائيل، ويبتغي من أجل اسرائيل، أن يستعيد، معكوسًا، عهد صلاح الدين.

فلو وحّدت فلسطين لكان بوسع اليهود، في قضيّتهم، أن يفرضوا احترام ما ينبغي احترامه وإن باتوا أقليّة. ولكان عليهم يتوقّف ـ في المجالس، وفي قلب حكومة فلسطينيّة عربيّة يهوديّة ـ تعاون فيه من السكينة والقوّة ما يجعله حاسمًا في وقت وشيك. إنهم تأبّوه. هكذا شاء القدر.

ولكن ما الذي يخبّئ الغد؟

سياسة ضالّة

٥ كانون الأول ١٩٤٧

ما برح الاحتجاج الجماعي على ما أملته الأمم المتّحدة يزداد تعاظمًا. ويبدو القرار القاضي بخلق الدولة اليهوديّة في فلسطين زائفًا، مذ أن علم أن بعض الأمم لم تكن حرّة في ما اقترعت. فسيذكر التاريخ دموع ممثل «هايتي». وباطلاً تحاول الدعاوة اليهوديّة، مهما اكتست من الافتنان، أن تنصرف إلى مرافعات متهوّسة.

ويزيد في الطين بلّة أن يقال اليوم بأن البلدان العربيّة قد أعوزتها المرونة وروح المسالمة بسبب تعنّتها العرقي. وكان أن تجرّأ أمس أحدُ محرّري وكالة الصحافة الفرنسيّة، فأبلغ وكالته ما يلي: «يعسر التهرّب من الشعور ـ لدى أميل الآراء الدوليّة لمصلحة العرب ـ بأن الممثلين العرب قد أسرفوا في إلحاحهم على العرقيّة، ففاتتهم الفرص التي أتاحها النّقاش للحمل على اعتماد حلّ يكون أشدّ ملاءمة للمصالح التي عنها يذودون».

لو كان محرّر وكالة الصحافة الفرنسيّة هذا من أرهف أبناء اسرائيل لما اعتمد تعبيرًا غير هذا، ولما تجاسر على أكثر من هذا، فإنه يعزو إلى الخصوم، نصًّا، ما يُعزى إلى اليهود، من أنهم غُلاة في تمثيل أشدّ عرقيات الأرض اجتياحًا وتزمّتًا.

لقد غلا فجاوز مَن تجاسر على كتابة هذا. وإن موقف فرنسا في هذا النقاش، فرنسا «الدولة الإسلاميّة أيضًا» على حدّ ما ألفتَ محرّر وكالة الصحافة الفرنسيّة، لا يساند بمثل هذا الدفاع.

فقرار تقسيم فلسطين بخلق الدولة اليهوديّة من أعظم الضلالات التي اجترحتها السياسة المعاصرة. فلسوف تستتبع هذا الأمر، وإن بدا يسيرًا، أعجب العواقب. ولا نكون قد امتهنّا العقل إن قلنا إن هذه القضيّة الضئيلة ستعمل على زعزعة الأرض من آساسها. إن صوت البلدان العربيّة سيسترسخ منذ اليوم، وعملها سيتّسع.

وسيشتد إلحاح الشكوى الصاعدة نحو عدالة الإنسان الكسيحة. يتذرّعون بأنهم يوفّرون المأوى لشعب تائه، لن تتسع له فلسطين، أيًّا كانت، فتهتزّ بيوتات شعوب أخر، وتنذر، وتمنى بالدمار، وتستوي السيّادة اليهوديّة على وجه البسيطة حدثًا شرعيًّا كان ثمنَهُ تقسيم جغرافي، واستبداد ليس له مثيل.

ثم ينبئنا الغد بما سيتكشف عنه ضغط إسرائيل، وضغط المليون ونصف المليون من المهاجرين الذين أعلن اليهود أنهم قادمون إلى اليابسة الفلسطينيّة خلال الأعوام المقبلة.

ليس في مزاجنا أن ننعي النكبة نعي أرميا، ولكنه من باب التبصّر أن نتوقع – في منتهى طفرات الجنون التي نشاهد – أيّامًا مفجعة وتشريدًا جديدًا.

لكان اليهود في غنىً عن هذا كله، ليثبتوا في السلم وفي الوئام، أن لهم شخصيّة جماعيّة.

«عمل إنساني» قاتل

١٢ كانون الأول ١٩٤٧

من رأى قط دولة تلد كما وُلدت دولة فلسطين اليهوديّة؟ فلسنا نعرف في جميع الولادات الشاذة أعجب منها واحدة.

في حال من الفوضى، بعد ألف تلاعب، تركوا في الدولة اليهوديّة أربعماية ألف عربي وستماية ألف يهودي. فخلفوا إخوانًا ألدّاء، وجعلوا لهذه الدولة حدودًا تحدّوا بها المنطق. وأثبتوا نقائض الصواب شرعًا، وتجاسروا فبسطوها على أنها عمل إنساني، ثم صمدوا يكرزون بحرب مقدّسة، حبًّا بهذا المسخ، دفعوا إلى الكرز بها طوائف من أعرق شعوب المعمور. هذا ما لم تسمع أذن، وقرّرته، أو حفّزت إليه، غالبيّةُ الأمم، مختارةً أو مُكرهة.

بيد أنه كان في وسع العرب واليهود أن يتعايشوا بفلسطين في سلام. وحسب ازدهار اليهود في أرض المقدس دليلاً عليه. ولكن شهوة السلطة الإسرائيليّة لم تُبق ولم تَذَر. ويشيع الآن أن فرقة من المتطوعين الغربيّين قامت بردّة، تناضل في سبيل العرب، حفاظًا على شرف أوروبا، والعالم الجديد. فهذي حرب متربّصة، هي بالنسبة إلى الأمم أشأم من حرب الترانزفال.

مغامرة أجملْ بعقباها! لم يرغم شيء عليها، والعقل يأباها.

فبأعظم ما نكنُّ للجلال الأميركي من الاحترام، نتساءل حقًا: ما الذي راحت الولايات المتّحدة تنشدُه في هذه المتاهة؟ كيف تراها أقحمت في مثل هذا المأزق، حيث تنظر إليها روسيا عابثة؟

لقد أعجبهم أن يروا مرّة روسيا والولايات المتّحدة على وفاق. ولم يعد الآن بخاف أن روسيا كانت تُماري وتُراهنُ، وكان على الولايات المتّحدة إما أن تهيج استياء اليهود في أرضها، فتتعرض لاثّارهم، وإما أن تسترضيهم في فلسطين فتقلبَ الشرق رأسًا على عقب. إنها هي التي زجّتنا في ما نعاني من صعاب، لتنتهي إلى حيثما انتهت. ولو أنها شاءت، لاستطاعت بعد أن تبدّل مجرى الأحداث، وقوّتُها قمينة به. وقد يكون الحينُ سانحًا بعدُ لنستغيثها على تبديل سياسة قاتلة.

أفقٌ لا شمس فيه

١٨ كانون الأول ١٩٤٧

ليس في موقف البلدان العربيّة في فلسطين، مجال لالتباس. ولسوف يذاد عن فلسطين، ضدّ الصهيونيّة، ذودًا مباشرًا أو غير مباشر. وأيًّا كان، فالدولة اليهوديّة سوف تحارب. وينجلي للعرب أنهم في حال دفاع عن النفس شرعي، فما من امرئ ملمّ بالأمور أو عادل، يقول إنهم على ضلال. وليس من يرتضي التسليم بأن احتفاء فلسطين المضياف، سيُفضي إلى ممارسة السيّادة اليهوديّة في أرضها، لأن مقدارًا من اليهود وفيرًا قد تركز في الأرض الفلسطينيّة سحابة ثلاثين عامًا.

أما بعد فالأحداث كفيلة بأن تكشف عمّا في المغامرة من مصاعب. وكان لفلسطين على هيئة الأمم المتّحدة إطلالة لم تولّد الارتياح فيها، منذ خمسة عشر يومًا. أما البلدان التي قدّمت النظر الفكريّ على الواقعيّات، وقدَّمت صداقة الولايات المتّحدة على الحق، فقد شرعت تندم على المأثرة (التي أتت).

سيزداد ندمها يومًا بعد يوم، إذ ما من شيء أقسى وأضنى، على كرور الزمن، من معاندة الحق. ولسوف تهتدي الولايات المتّحدة هي أيضًا، إلى سبيل الحق، بعد أن استدرجتها الدعاوة اليهوديّة إلى الضلال، وفعلت فيها قوّة اليهود الانتخابيّة والماليّة.

جُعلت فلسطين طُعمة النار والدم، لتكون جمهوريّة لليهود. والذي نراه اليوم، نبأ فاجع بما هو آتٍ. ففي كل صوب قتل وضغينة، وفي المدن، بين حيّ وحيّ، أكمُن ومعارك، وعلى الأرياف تبدو بوادر الخراب.

فأيّة سياسة بنّاءة، وأي مفهوم للعدل، وأي فكر عملي، استطاع، فأراد هذا؟

لئن ظلّت الدول مزمعةً على قرارها، فأرجح ما يقدَّر لفلسطين، حرب كحرب الأعوام المئة (تكون لها أصداء عديدة، وقد تنداح في الغرب بعيدًا)، أو ثمّة افتراض أسوأ ألا وهو نشوب حرب عالميّة تجد في هذا المركز اللاهب (هو الآن أشدّ خطرًا من البلقان) نقطة انطلاقها.

ولا نزيد الوضع تفاقمًا إن نحن نظرنا إليه من هذا القبيل. فجَيشان اسرائيل لا يُحدّ. ونعلم مذ أجمع الروس والأميركيّون على تقسيم فلسطين، مدى ما تستطيعه الدسيسة اليهوديّة مدعومةً بسلطان المال.

لم يفت بعد أوان العمل، وما تنقضي أشهر قلائل حتى تغدو الحياة المشتركة في فلسطين مستحيلة إلى الأبد.

١٩٤٨ - ١٩٥٠

التخلّي عن أرض المقدس

خطر واسع النطاق

١٥ كانون الثاني ١٩٤٨

لتحذر الوكالة اليهوديّة حذرًا، فلا تخلع على المجازفة الجنوبيّة التي تأتيها في فلسطين، مزيدًا من سمات حرب دينيّة.

لقد طفق يستجيز موسى شرتوك ـ وهو الذي عُيِّن ممثّلاً للوكالة لدى لجنة هيئة الامم المتّحدة التابعة لفلسطين، (في حين عين السيّد الكسندر كادوغن ممثّلاً لانكلترا) ـ أن يكتنف بالهاغانا جيشًا تراوح عدّته بين خمسة آلاف وعشرين ألف مقاتل، جميعهم من اليهود، طبعًا. أجمل بها بدايةً يحاولون بها إنشاء دولة ثلاثة أثمان السكان فيها، من مسلمين ومسيحيّين، يناوئون السياسة اليهوديّة مناوأة معمودة.

لم تنجل فكرة بعدُ عمّا سيصير الوضع إليه: في بلد يعدّ تسعماية ألف، ويكاد اليهود فيه يُربون على الخمسماية ألف، ويناهز العرب أربعماية ألف، وما زعموه جيشًا وطنيًّا يكون يهوديًّا برمّته! فما اتّخذت الحروب الدينيّة شكلاً غير هذا الشكل، ولا هي بدأت بغيره شكلاً.

و لم يرضَ الأربعماية ألف عربي، الذين قد يصبحون من صميم الدولة اليهوديّة (في المرتبة الثانية) بأن يستعبدهم اليهود ـ وهو أمر مردود ـ فإنهم سيحاربونهم بجميع الوسائل، وجميع الأساليب، وستنجدهم في الوقت نفسه القوى الخارجيّة المزمعة على عونهم. وإذًا نرى (ما أتيح لنا أن نراه حتى الآن) اليهود وحدهم من جانب، والمسلمين والمسيحيّين من جانب.

بئس ما صارت إليه، في هذا العصر، سياسة كبرياء وطموح، يسوّغ المال فيها كل شيء وتُيسّر فيها الدسيسة والدعاوة كل شيء.

لم تدرك أوروبا ولا أميركا أدركت، حتى الآن، مصير هذي الحرب التي ستبلغ مفاعيلها بقاعًا من المعمور عديدة، قبل أن ينقضي زمان يسير. ولا يخطر لهما المرجّح ببال، من أن الدول التي تخوض القضيّة اليهوديّة، قسرًا، سينتابها السأم، وستأتي ساعة يحتّم على اليهود بعدها، في كل مكان، أن يدفعوا وحدهم جزاء ما تهوّروا فيه.

ونشفق أن تعالج قضيّة خطيرة كهذه، بمثل الاستخفاف الذي به تُعالج، وألاّ تقوى فلسفة المسكونة كلّها على شيء:

فمحاولة انشاء دولة يهوديّة في فلسطين، ستفضي إلى حرب دينيّة، ولسوف تتوالى النكبات سجالاً على إسرائيل، وعلى الذين استبسلوا لصدّها.

وسيسمع صوت اللعنة الدهريّة مجدّدًا، وتكون من نتائجها كارثة جديدة.

إنما يتصرّف اليهود الآن، على فطنتهم وأرهافهم، كما يتصرّف أشدّ الشعوب تقهقرًا وأقلّها دربة في السياسة. هذا ما يؤسفنا عليهم، وعلى من عداهم. وإن كان من قبيل التناقض، أن تكون أوروبا التي تساندهم اليوم، هي التي غالبًا ما اضطهدتهم، فإنّ جيرانهم في الشرق لم يَتَجنّوا يومًا عليهم بأذيّة. والثأر الذي يحاولون ههنا، لا يعدّ جريمة فحسب، بل يعدّ خطيئة. تُراهم يدركون ذلك عندما يكون قد فات الأوان؟

ليكون جديد في فلسطين

٢ آذار ١٩٤٨

مهما ألححْنا على أن تعيد هيئة الأمم المتّحدة النظر في مستقبل فلسطين فإنّا لا نغالي. وبالضرورة العاجلة ينبغي أن يتمّ ذلك.

كلّما تعجّلوا إعادة النظر كان ذلك آثر. ومهما تعاظمت الصعوبة اليوم، فإنّها تبدو أيسر مما تكون عليه غدًا.

لقد ثبت بالدليل أن التقسيم، على النحو الذي تراه هيئة الامم المتّحدة، محال. وأن ما ارتضوه في تجزئة الأرض في هنيهة نزق وحلم، يناقض طبيعة الأشياء. والحق المبين يجعل نكبة فلسطين وضعًا من أفجع أوضاع الساعة.

فبينا ينبغي أن تَسهر الأمم لتُدرأ النار عن التهام الأرض جمعاء بداعي تشاحن العقائد الذي يزعزع أركانها، راحوا هم يُصلون النار، ويجعلون لها مركزًا جديدًا، ويتذرّعون بأن سعادة اليهود تقتضي هذا السَرف.

لقد تقضّى زمن الأوهام. وها نحن في الحقيقة التي لا ترحم، والهول والدم. والحرب الدينيّة التي نزعت إليها هذه الحرب العرقيّة، تزداد توعّدًا. فكيف تراهم لم يدركوا، قبل وقوع الأزمة، أن قيام منظمة صهيونيّة مسلّحة، في فلسطين، مقصورة على اليهود، لن تفضي إلاّ إلى حيث أفضت؟ وكيف أنّ اليهود أنفسهم لم يخشوا المضيّ في هذا الاستفزاز، ليخلقوا أخيرًا دولة نصف يهوديّة وحسب. ولكن إسرائيل جشعة، وهي

على الدوام كانت كذلك. وصغيرُ مشاريعها وأوسعها، ناجم عن المبتغى الكبير. تجمع إلى الدسيسة الجسارة لتبلغ الفلاح، وهكذا تشيد ثروتها الزمنيّة. غير أن المبتغى قد جاوز الوسائل في هذه النوبة، كما جاوز الذكاء فقدُ الرأي.

أما الآن فلم يعد مندوحة عن تصفية القضيّة الفلسطينيّة. وفي ما اقترحناه أمس أن يبادر اليهود لمحادثة العرب، مبادرة تكون دليلاً على النية الحسنة. فلنعد إلى هذا الاقتراح بهدوء جنان. وليس بدعًا أن يجري بواشنطن هذا الاتصال، بل ينبغي أن يكون، وأن تُيسّره حكومة الولايات المتّحدة بما لها من لطيف الحكمة.

لم يفرض العرب البتة غير شرطين اثنين فيهما أبين الحق، وفيهما من طابع الاعتدال أنبله. فالأوّل أن يسلم اليهود ببقائهم في فلسطين، على ما هم عليه، أي أن يظلّوا أقليّة ثابتة. وثانيهما أن تتوقّف الهجرة اليهوديّة (هذه الوسيلة الخبيثة التي تريد الأقليّة أكثريّة تحت ستار الدافع الإنساني، وباجتياح من خارج).

فانطلاقًا من هذين الحدّين، قد ينجم عملٌ مسماح يكون عمل سياسة سامية. ونرى آنئذ، وما أروع ما نرى، العرب واليهود، والمسلمين، والمسيحيّين واليهود، يتعاونون بفلسطين في قلب حكومة واحدة.

وعلى ربّانيّي (حاخاميي) العالم أن يكرزوا بذاك، بديل أن يستشيطوا في سبيل حرب زؤام.

وبعد، أما حان، في هذا الصعيد القاتم، خروج من الظلمة؟

في سَبيل الخروج

١٢ آذار ١٩٤٨

لم يَعُد «كبار الأرض»، ما خلا روسيا، على تقسيم فلسطين، فيا لارتياح «صغارها»!

لقد نوّه السيّد پارودي، الموفد الفرنسي لدى مجلس الأمن، بأن الولايات المتّحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا قد نبذن تصميم التقسيم، نبذًا ضمنيًا على الأقل. والصين وهي أيضًا في عداد «الكبار»، لم ترتضِه البتة.

فالبناء الذي شيد بالجصّ والكرتون (هذا البناء السينمائي، ينهار إلى الحضيض، قبل أن تحيل انكلترا لغيرها امتياز القتال من أجل الصهيونيّة، والموت في فلسطين، وينتهي الأمر بهم إلى حيثما وجب المبتدأ. غير أن الدعاوى اليهوديّة استدرجت الولايات المتّحدة إلى الضلال. ونفثت السمّ في الكون.

ودرت الوكالة اليهوديّة كيف يكون الإيهام باليقين والقوّة. وزيّنت لهم أن الصمود العربي سوف ينهار أمام سلطان إسرائيل. ودار في روعها أن المال في حوزتها، والرقابة على الصحافة الأميركيّة أيضًا، وهما كفيلان بفرض شريعتها.

اليومَ تبدَّد الوهم الباطل، وثبت أن الذي حسبته الصهيونيّة مغنمها، قَسرَ حقائق الجغرافية والتاريخ، وأن الحلم الجسور الذي توّهمت تحقيقه

بكل قوّتها، محال، لا يتحقّق. ونرى للوهلة الأولى إلى أي حدّ كان من الأحكم أن يُنتصَر لهذا الحلّ الاتّحادي الذي اعتبره العرب وسيلة للوئام والسلام.

لم يعد الآن بدّ من تعجّل الأمور، فكلّما أرجئت عسر الاتفاق على المخرج. إن بين العرب واليهود لطودًا من القتلى، والأضغان المكدّسة تبلغ في تفجّرها السماء. ولا ندحة عن وجود دراية سياسيّة، وحكمة أوفر من ذي قبل، للتملّك من هذا الهيجان الجامح. والواقع أن النزوات لا تستجلب نسيانًا ولا تضمّد جراحًا.

إنّه بوسع الاحتكام الدولي، إن جرى على الصعيد الاتّحادي بفلسطين، أن يُنقذ الموقف. دولة واحدة، وحياة داخليّة تحدّد على أساس الأقضية، ونهاية الهجرة، وحكومة فدراليّة، ومؤسّسات سياسيّة، يتمثّل فيها العرب واليهود، كلٌّ تبعًا لعدده، وجهد مشترك في خدمة حياة وطنيّة مشتركة. وبعدُ، فنظام، وعقل، يعملان على المصالحة بحسن طويّة.

إن مَن توفّر له هذا، وآثر الخصومة والحرب، حاد عن معنى الحقائق، وفقد الرشاد.

مَسعى غريب

٢٠ نيسان ١٩٤٨

عندما نرى أعضاء البرلمان البريطاني اليهود متكتّلين، يستوسطون حكومة جلالته، رسميًّا، لصالح الصهيونيّة في فلسطين (والهاغانا خاصّة)، نتساءل: فيمَ لا يستوسط البرلمانيّون المسيحيّون والمسلمون أيضًا، من الأقطار جمعاء ـ ولشدَّ ما يُربون عليهم عددًا ـ لصالح فلسطين العربيّة، لصالح المسيحيّة والاسلام؟

ثم إن اليهود أعضاء مجلس العموم، أيهودٌ هم فوق كل شيء، أم انكليز؟ فالذي يطلبونه، مباشرة أو مداورة، دولة يهوديّة، وجنسيّة يهوديّة. فإن كانوا انكليزًا قبل أن يكونوا يهودًا، أعيانا أن نتصوّر موقفهم من الموقف اليهودي الحالي تجاه انكلترا؛ وإن كانوا يهودًا قبل أن يكونوا انكليزًا، فما شأنهم في مجلس العموم، يحقّ لهم التصويت، فيه، ولا تقلق المملكة المتّحدة؟

ولربما حان الأوان لطرح مسائل من هذا القبيل، بشأن قضيّة يُساء فيها إلى المنطق السليم في كل غدوة. فلو أن العرب هم الذين جعلوا قضيّة فلسطين على صعيد طائفي بحت، لصالح الناس أجمع منددين بالتعصّب والفضيحة. أمّا وقد جعلها أشراف اليهود في برلمان لندن على هذا الصعيد، فلا يَهيْج مسعاهم أحدًا.

ألا يرون عسيرًا أن يظلّ المرء يهوديًا صالحًا، وإنكليزيًّا صالحًا، في آن واحد؟ وإنّه حيال نزاع كالذي يمزّق فلسطين، لم يعد مفرّ لليهودي المتجنّس بجنسيّة المملكة المتّحدة من أن يتغلّب اليهودي فيه على الانكليزي، أو يتغلّب الانكليزي على اليهودي؟

ناهيك أنّ الذي تقوله في إنكلترا يرى مصداقه في جميع الأمم. ونتساءل عمّا إذا كان لا يُستنتج من هذا أن اليهودي عاجز عن الانصهار حتى النهاية. فلو لم يكن كذلك لوجب أن نرى اليهود والإنكليز ناقمين على ما أتى الصهاينة وما يأتون، منذ مصرع اللورد موين، مثلاً. ولكننا نراهم، بخلافه، يذودون عن الصهيونيّة الجامحة.

كلّما تبدّى وضع الصهيونيّة طائفيًّا وعرقيًّا غدا لا يطاق. وهكذا نعثر على بضع من الحقائق لم ترَ، منذ أمد بعيد جدًا، إلاّ بينَ بينَ. غير أنّا كلّما اقتفينا الأحداث، وأحفينا المسألة، تكشّف لنا مزيد من الغرابة، ومزيد من تعاظم المخاطر التي تستجرّها.

إنما حاز التضامن اليهودي في العالم شأوًا يفوق الحد، حتى تطاول جهارًا على حق الأمم الشرعي في الدفاع عن نفسها.

أمام الواقع

٢٠ نيسان ١٩٤٨

للسيّد سيريل فولز مقالات متألّقة طالما تسترعي الانتباه، تنشرها «ذي اللّستريتد لندن نيوز»، بعنوان «تبعات الحرب». وقد عرض في العدد الصادر بتاريخ ١٠ نيسان من المجلّة الأسبوعيّة اللندنيّة «للرئيس ترومن والهدنة في فلسطين». وبدا السيّد سيريل فولز، منذ غرّة نيسان، أنه يرى قريبًا تاريخ ١٥ أيّار المحتوم، وهو التاريخ الذي عيّنته انكلترا للتنازل عن الانتداب، والتخلّي عن ممارسة الحكم في فلسطين، فكتب ما مؤدّاه: «غير مستحسن أن يقضي القضاء، مدّة قرن كامل، وبجميع أشكال الرأي (أدبًا، وصحافة، ومدرسة) بضياع الفرصة لتسوية القضيّة الفلسطينيّة بطريقة أقلّ نكيرًا، لمجرّد أن الحكومة البريطانيّة وقد استقرّت في فلسطين طيلة ثلاثين سنة، ترفض أن تمدّد إقامتها فيها خمسة عشر يومًا بعد».

هذا ما يخالج كلّ إنسان حقًّا أيًّا كانت الظروف. ولكن ما الذي تُرى كان يكتبه السيّد «سيريل فولز» لو تكشّف له أن التخلّي عن حيفا قبل نهاية نيسان، سيعقبه للفور نشوب العداوات، بين يافا وعكا، حربًا عوانًا.

إنّما بتنا ندرك الموقف البريطاني يحدونا عليه وهمٌ زال، ورنّ صداه. ولا مُشاحة بأن انسحاب السلطة البريطانيّة، المنتدبة، المسؤولة قبل ١٥ أيّار بثلاثة أسابيع، لا تبرّره ضرورة، ولا يسوّغه سابق إنذار.

هوذا السيد بيفن يصرّح أمام مجلس العموم: «ان انكلترا لا تستطيع، في هذه الساعة المتأخرة، أن تعود عن قرارها بالانسحاب من فلسطين». فما هذا المقدار طلبنا، وإنّما جلّ ما تعلّلنا به، هو أن لا يترك السكان الفلسطينيّون ومصيرَهم قبل ١٥ أيّار.

إن ملاحظة السيّد «سيريل فولز» تضحي أخاذة ههنا، اذ يتّسع لمن صمد ثلاثين عامًا، أن يصمد خمسة عشر يومًا بعد، تفاديًا لمجزرة، غبّ عراك لم يتساوَ فيه الفريقان.

ونحن، في الشرق الأدنى، ممن أظهروا مكانة انكلترا الأوّلية في هذه الحملة الجماعيّة التي تشدّ أزر الغرب، وتخلّص العالم. ولطالما أبرزناه بالقول الصراح. بيد أننا هذه المرّة لا نخفي خيبتنا. فنقرّ بأنّ مناقضات السياسة البريطانيّة في جوارنا تثير شديد الاستغراب. تقلّبات في المزاج، وارتحالات مفاجئة، وترجيعات أردنيّة نراها تغلق الفهم علينا (أو أنّنا نخشى أن نفهم فوق ما ينبغي أن يُفهم).

ورأى السيّد بيفن نفسه لزامًا أن ينبّه مجلس العموم، أوّل أمس، في ٢٨ نيسان، بقوله: «يترتّب على الحكومة البريطانيّة. بموجب نصّ المعاهدة الانكليزيّة الأردنيّة، أن تدفع للأردن مساعدة تتعّهد بها الجيش العربي، وتوفّر الموظفين البريطانيّين العسكريّين لتوجّه قيادة هذا الجيش». ومهما حسُن القصد، فإننا لا نعود نميّز في هذا كلّه، ما بين الأردن وإنكلترا، بيد أنّا نرى انكلترا والأردن يعملان ظاهرًا في اتّجاه معاكس.

إنّ في ذلك لغزًا يُعيينا حلّه. وسواء أعيانا أو لم، فخليق أن نأسف لما أسف له السيّد «سيريل فولز»، على رؤوس الأشهاد، في نهاية مقاله الجوهري. ناهيك بوجود شرعي، كمثل وجود انكلترا (وقضيّة العالم الغربي من ورائها) في هذه الناحية من الشرق، أثقلته أساليب مستغربة، مثل هذي الأساليب، تجعله عرضةً للمخاطر على غير ما جدوى.

ليسَ هذا حلمًا

١١ أيار ١٩٤٨

سرعان ما سوف تبدو الدولة اليهوديّة المتكوّنة ـ إن هي تكوّنت ـ وكأنّها أغرب مغامرة سياسيّة في العالم.

فسيعترف جميع اليهود المشرّدين، المتجنّسين في كل مكان، بوجود وطن لهم، في السرّ أو في العلانية. وتتمثّل الدولة الجديدة، في أقطار عديدة، بجوال قويّة الشوكة، ويغلب أن تتمثّل بنوّاب، وبرجال دولة. فتمتدّ من الماليّة الدوليّة شبكة الدسائس المحتبكة، تدرك حواضر المعمور كبيرها وصغيرها. ودبلوماسيّة إسرائيل (وهي أثرى الدبلوماسيّات ولا ريب)، ستضمّ أعيانًا بارزين وأربابَ تداول المال ممّن ينتمون إلى جميع الجنسيّات.

فإن صادفت المغامرة نجاحًا، اتّخذت وشيكًا شكل دولة عليا، تكونُ فلسطين الضيفة لها منطَلقًا. ويكون في رأس ما تستهدف المؤامرة، أن يتكثّر عدد اليهود في أرض المقدس، فترهق منه الحدود، وتُصدع، ريثما يتحقّق حُلم (على نطاق عالمي) من السيطرة والسلطان. ويمكننا التأكيد بأن المطامح اليهوديّة في اليابسة تُدرك الفرات، وبأنّ الأناة اليهوديّة بعيدًا ما تجاوزه.

ليس وهمًا ما نحن ماضون فيه. ولسنا نزعُم أن هذا كلّه سوف يُصنع. غير أنّهم سيحاولون صُنعه. فإذا ما أصاب التصميم اليهودي تقدّمًا ـ على

ما ترسمه قوم يعلمون ما يبتغون، ويعلمون إلى أين يسيرون ــ فما أوشك ما تضحي الحياةُ على أحرّ من الجمر، لدى من جاوروا الدولة اليهوديّة أو قاربوها. وقد ألغموا جميعًا في الداخل، وهددتهُم شتّى الأساليب الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

أمّا من الناحية اليهوديّة، فالمغامرة لا تخلو من المخاطر أيضًا؛ إذ إن في المعمور بأسره ردّات محتملة الوقوع قد تكون رهيبة. فمنهنّ ظاهرة تاريخيّة كان ما أتاه هتلر من أتمّ ما تفاقمت به وأقسى. ومنهنّ الشقاق الداخلي، وفي أصله دواع يهوديّة تقع في باب الاجتماع والدين والسياسة، إذ إنّ العقائديّة اليهوديّة توغّل في كل صوب، فكان كارل ماركس يهوديًّا، كما كان جورج مندل يهوديًّا. اليهودي محافظ، واليهودي شيوعي. ولليهود من أرهاف الذهن، والموارد الفكريّة، والماديّة، ما لا يغيب عنا ولا ريب، وما لسنا ننتقصه.

ونرى أن المعضلة اليهوديّة لم تحلّل ولم توزن باستيفاء، قبل الغرب وأميركا. إذ قد تَنجُم عنها فنون من واسع البلبلات وفادحات العَطب.

فعلينا، نحن اللبنانيّين، أن نتذكّر بأنّ هذه الدولة تتولّد على تخومنا، وأننا بلد صغير، وأننا قد نضحي بعد الآن في ناظر اليهود الزاحمينا من الجنوب، أرضَ الميعاد، وهجرتهم تفوق الحصر.

فلتعتبر الحكومات العربيّة التي لم تَنظر بعد في هذا كلّه، إن لم يفُتها الأوان. إنّما نحن نتحدّث عن هذي الأمور، على غير ما ريبة، أو ضغينة؛ وما تعلّلنا، لهؤلاء وأولئك، إلاّ بسلام في اتزان، وأخوّة، لا نذير ولا طغيان.

المفرق الحاسم

١٥ أيار ١٩٤٨

ينبغي أن يُنظر الآن إلى الوضع في فلسطين على رويّة. فبعد أن بارحَتها انكلترا رسميًا، غدت هيئة الأمم المتّحدة مسؤولة، والولايات المتّحدة، بالتالي، وانكلترا. فباطلاً يحاولون التنصّل من مشكلة كهذه؛ إنّهم لن يتمكّنوا من إيهام الناس بأنّ مصالح الأمبراطوريّة البريطانيّة، بغتةً، ومصالح الولايات المتّحدة، لم تعد أوّليّةً في هذي الزاوية من العالم.

فقد أعلنت وزارة الخارجيّة الإنكليزيّة ووزارة المستعمرات في وثيقة مشتركة، «أن الحكومة البريطانيّة أخفقت، في ما سعت إليه، طَوال ٢٧ عامًا، من مصالحة اليهود والعرب وتحضير شعب فلسطين للاستقلال الذاتي.» فكأنّما قد أعلنتاه تنصّلاً. وفي هذا القول من مظهر السماح والإنسانيّة ما يجعله خليقًا بشرح مسهب. وحسبنا أن نردّ الشرح إلى أبسط تعبيره. فنحن نرى أن الإنكليز قد واربوا، واستُميلوا واستُدرجوا إلى الضلال، فبذلوا الجهد مدّة سبعة وعشرين عامًا ليتكثّر، ما أمكن، عددُ اليهود في فلسطين. فما أعدّوا البتة شعب فلسطين للاستقلال الذاتي، وإنّما أعدّوا الشعب اليهودي للسيادة المطلقة. ورأى رجال الدولة البريطانيّة أن الدولة اليهوديّة الممكنة الوجود، عماد لهم ثابت. وإنّما الأرقام شاهدة عليه، والواقع، وتاريخ فلسطين، سحابة سبعة وعشرين عامًا.

يحصد المرء ما زرع. إنّهم يعلّلون بيان بلفور تعليلاً تحكّميًّا مضللاً، فآتى ثمارًا مسمومة. وها قد فعل الآن سمّها في الخلق أجمعين.

غير أن مصالح الأنكلوسكسونيّين اليوم في فلسطين وجوارها، ما برحت أعظم منها بالأمس. فلا بدّ إذًا من اعتماد سياسة تفضي إلى النظام عَبر هيئة الأمم المتّحدة أو خارجها. ولن يكون لهذه السياسة ظاهرة مجدية إلاّ بضغط منها على اليهود حاسم. فإن فعلت ذلك الولايات المتّحدة وإنكلترا، ألهمَتا خيرًا. وإن تلكأتا، أرغمتا، في كل حال، على التدخّل بشرائط أكره من تلك، وحُملتا على السعي توًّا لتفادي أحداث أشد خطرًا.

في الخطوب يفوهُ المرء بالحكم: وإذا استخرج الخمر انبغى أن يُشرب. فعلى الدول التي تدّعي أنّها عالميّة، ويُعترف بها أنها كذلك، والتي أفسدت كل شيء، عليها أن تحلّ العقدة الآن في فلسطين، الاّ أنها منقسمة إلى معسكرين، والمعسكران ما بينهما على أسوأ حال...

ثبات جنَان ومنطق: هذا ما يحتاجه لبنان خاصّة. وبديهي أن الحكومة لا تستطيع التصريح بكل ما تصنع. غير أنّنا نأمل أنّها لن تأتي ضلالاً. ولا بدّ من أن نلفت إلى أنّ المأزق في غاية الحرج، وأن الساعة ما برحت، على رغم كل شيء، ولصالح الأقطار العربيّة جمعاء، ساعة سياسة ودبلوماسيّة بصيرتين، ولسنا نحاشي اللجوء إلى القوّة.

للمقاومة أسبابٌ جلّى

١٨ أيار ١٩٤٨

على الأقطار العربيّة أن تتذاكر أنّها تجابه منظمة يهوديّة عالميّة.

وأن هذه المنظّمة العالميّة تضمّ اليهود على جميع جنسياتهم. فتبسط شباكها على المعمور قاطبة، ولها في الحكومات، من النفوذ، ما تستطيع. ثم أن لديها من الدعاوة وأساليب الدسائس أرهب الفنون.

فما دامت الدولة اليهوديّة على حدّ ما أعلنتها الصهيونيّة، وما دامت دولة اسرائيل مائلةً في جميع الأمصار متفرّعة، فيسير أن نتمثّل الضغط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني (من حيث العدد) الذي قد تُمنى به البلدان العربيّة. فإن قوّة إسرائيل العالميّة التي تمثّلها في تل أبيب حكومة دولة ذات سيادة، تجتمع كلّها على البلدان العربيّة وعلى استعبادِها الاقتصادي، من أجل سيطرة سياسيّة آتية. إنَّ من يأبى النظر في هذي الأمور يُنكر من الأمور أرجحها بل إنّه يُنكر اليقين والحق الذي لا مرية فيه. وما من ريب في أن الصهيونيّة قد تعترضها الأحداث. ولكن هذا هو تصميمها. فإن كتب لهذا التصميم أن يتحقّق، كان فيه للأقطار العربيّة بدء هجرة شاملة، تكاد لا تخفى، أو بدء عبوديّة حقيقيّة. ويُفجِعنا أن نحلّ محلّ اليهود، على دروب البسيطة. فوجود دولة يهوديّة ذات سيادة على تخومنا، كمثل انتقال ثلاثة ملايين يهودي من نيويورك تنزل ههنا، وستة ملايين أخر تفد من لندن، وباريس، ومن كل ناحية.

ليست المقاومة العربيّة أمرًا لزامًا فحسب، إنّها لأمر حيويّ. ولسوف تضحي مع الزمن، بالنسبة إلى الشرق الأدنى، من اليابسة الأسيويّة إلى مصر، قضيّة حياة وموت، حقًا، وواقعًا.

فللدول الكبرى أن تصمد في لعبتها المزدوجة، أو المثلثة، أو أن تعمه في عماها. ولها أن تتجاهل صميم المشكلة حتى يقضي اللّه أمرًا، وأن تنقاد للانتهازيّة أو هوى يذكيه المال اليهودي.

نحن نعي أنّنا في دفاعنا ههنا عن نفسنا، إنّما ندافع عن الدول الكبرى بالذات (تُشغل من داخل وتُلغَم) وأنّنا، فوق كل شيء، نذود عن العدالة التي لا تبور، بلْهَ عن السلام العالمي وقد أتاه النذير.

دور الدّول خيبة أمل

١٩ أيار ١٩٤٨

غير خافٍ أن معظم النزاع في فلسطين يتطوّر بضغط من الدول. أمّا أن تبلغ الدول الكبرى المعنيّة غاياتها أو لا، فهذي مسألة أخرى.

وكما وقفت روسيا والولايات المتّحدة في جانب واحد لاتّخاذ القرار القاضي بتقسيم فلسطين، كذلك نلقاها جنبًا إلى جنب للاعتراف بدولة إسرائيل. وإذًا فلا بدّ أن تكون إحداهما واقعة في حبال الخِداع. وأما ما تبقى فله حكاية غير هذه.

وتعليل الظاهرة أن اليهود (وملكوتهم حقًا من هذا العالم) ينعمون برأس المال وقوّته، حيثما كان، وعلى رؤوس الأشهاد، وليسوا، من أجل ذلك، غرباء عن الشيوعيّة التي أنجبوها. فلهم في كل معسكر قدم.

ليس أفضل من إسرائيل معين على الثورة حيثما كان، وهذا ما يعلمونه جيدًا في موسكو. وليس أفضل من اليهود للجود بالمنن الانتخابيّة والدعامات السياسيّة، عن طريق المال، وجواذبه، وما يتفتّق عنه. وهذا ما يعلمونه جيدًا في واشنطن.

لم نساوم اليهود الثناء يومًا في ما لهم من موارد عقليّة، فنحن نعلم ما يمثل عرقُهم في هذا الباب. ومعاذَ اللّه أن نحارب العقل، اينما كان، إلاّ مع الشيطان. ان ما نستنكره، وما نحاربه، هي فوضى العقل، اذ بها يُفسد

التكبُر الرأي، ويقصّر العلم بالنفس عن روح المغامرَة والإقدام. فهذا على الدَّوام هو مصدر الكوارث التاريخيّة.

نقول: بينما يتهيّأ للولايات المتّحدة، ولإنكلترا، أنّهما تصفّيان في هذي الآونة، مسألة الدولة اليهوديّة، بجميع مداورات الحيلة والمكر، فالواقع أن اليهود هم الذين يصفّون قضاياهم، على حساب البلدان الكبرى، وعلى حساب السلام العالمي.

لسنا نغالي البتّة، وإنّما ننظر إلى الأمور بقدر ما يُستطاع من الموضوعيّة، بينما تكثّرت المنازعاتُ، والأحقاد، والآلام. إنّما نحن ههنا من الدولة اليهوديّة بأمتّ الجوار، وعلمُنا بمناخها السياسي والاجتماعي يفوق علم الغربيين من أوروبا وأميركا. والوقوف على تصميم المستقبل لدينا، أيسر من وقوف ربابنة الساعة.

أمّا أسفنا فمزدوج: إذ تهيّأ لنا أن اليهود يتدبّرون بلاءهم بأيديهم، وبلاء العرب، وهيئة الأمم المتّحدة هي أصلِ هذا البلاء؛ ثم لا نرى أمامنا، بدل التعاون المثمر، إلاّ خطرًا دائمًا، وضِغْنًا لا يزول.

أساليب في القول والكتابة

٢١ أيار ١٩٤٨

الأسلوب الذي تعتمده البرقيات تمهيدًا لاعتراف بريطانيا العظمى، وفرنسا، بدولة إسرائيل على أنّها أمر واقع، خليق بأن يتابَع في اهتمام. من هذا القبيل ما «كتبه» مراسل وكالة الصحافة الفرنسيّة من إنكلترا، بتاريخ ١٩ أيّار يقول: «الواقع أن المراقبين الدبلوماسيّين لا يرون تمامًا كيف تستطيع الحكومة البريطانيّة أن تنكفئ في سياسة مناوئة أبدًا لحكومة بن غوريون، في حين اعترفت الولايات المتّحدة وروسيا، ودولٌ أخرى تدور في فلكها، بدولة إسرائيل الجديدة، وبدا شَرعًا أن يُرتقب اعتراف فرنسا بها على أنّها أمر واقع.» أعجبْ به نمطًا يُعتمد للتعبير عن الأمور، والأنباء بما يعقبها!

وبينما جيوش الأقطار العربيّة في فلسطين تحارب على التربة الفلسطينيّة، تُستعرض الأخبار الموائمة للصهيونيّة، الخادمة لدعاوتها، مدبّرة بكل فنّ لطيف. ففيه دلالة أخرى، يقينًا (إن لم يكن بداهةً)، أن النفوذ اليهودي في العالم قد بلغ حدًّا هائلاً، وأن مجاملة الغرب في تيسير هذه المغامرة التي يناهضها التقليد، والتاريخ، والجغرافية، والاقتصاد السياسي، والفطرة السليمة، وطبيعة الأشياء، لتُثير العجب. فوجود اليهود، يُلمس لمس اليد، في كل مكان، ومثله مركزهم في الصحافة، ووكالات الأنباء، ودور الإذاعة. كما يلمس في الماليّة العالميّة، ومعالجة البورصة والأسواق.

خيوط العنكبوت هي تمتدّ إلى الأرض بأسرها، والأقطارُ العربيّة ما برحت مستجدَّةً في هذه الصناعة، قليلةَ الدراية والاختبار، تسقط في أشراك شتّى.

وعجبًا يبدو لنا التناقض بين الوضع العسكري والسياسي في فلسطين، وبين موقف الحكومات الأوروبيّة حيال دولة إسرائيل. فالحكومات تُلحّ من جهة على الاعتراف، شرعًا أو واقعًا، بالدولة اليهوديّة، وتدور المعركة، من جهة أخرى تلابسها ظروف يُعقل أن تحمل على التفكير والانتظار. فإذا كانت مكايد أوروبا قد قطعت شأوًا بعيدًا فإنّها لا تفوق مدى إدراكنا.

نكتبها آسفين: ما دامت أمثال هذي المآسي الهزلية أمرًا مباحًا، فلم يعد بدٌّ لنا من أن نضع سياسة الدول الكبرى ودبلوماسيّتها موضعَ الريب. هذا إذا شئنا أن تُسيّرَ العالمَ خلقيّةٌ دوليّة.

مراحل إسرائيل

٢٨ أيار ١٩٤٨

يتهيّأ لنا أنّ عودنا، بمثل هذا التواتر، على قضيّة فلسطين لا يثير العجب. هذا ما نرجوه، على الأقل. إذ ليس في المشاكل التي قد تثير اهتمام الشعب اللبناني المتاخم لفلسطين اليهوديّة، مشكلة أعظم منها. ووجود إسرائيل على أبوابنا، يُرغِمُنا على النظر في جميع مظاهر هذا الجوار، ومغبّاته. وما لَعِبٌ أن يستشعر البلد الصغير خطرًا مثل هذا الخطر، يُرهق منه الحدود. منذ حين، ووراء الجدار المشترك، مطامع كبيرة تنمو، والجدار لم يُدعم. الآمال كبار. ولنشيد داود الذي يرتّله العبريّون، أصداء تَغشى الشرق بأسره. ووطأة اسرائيل، وطأتها التي تقاس بالنقد والقوّة، تبدو لناظر الأمم التي لا تملك إلاّ موارد محدودة، في جميع المرافق، مرهقةً مُفعمَة بالمخاطر.

ويجوز القول، من جهة أخرى، بأن الغرب قد عدا على واجباته تجاه العالم العربي، وتجاه نفسه، لأنّه يتدبّر نكبة أرض مكرّسة، في ناظره، مقدّسة. وها هو (جذلاً او غيرَ جذل) يسلّم الحضارة التي يُعتصم بها ويذود عنها، إذ إن ضغط أميركا الأعمى قد جعل أوروبا القديمة المتألّقة تبَعًا لا صوت له.

وقديمًا تغلغلت، فأوغلت، أسباطُ اسرائيل الاثنا عشر على يد نفتالي، ومنسّى، وجاد، وروبين، في ما هي سوريا اليوم والأردن.

فإن كانت مملكة إسرائيل، في عهد سليمان، من على الشاطئ مبدأُها، من الكرمل، فلقد كان نفوذها ينبسط حتى الفرات، إلى صعيد الرقّة. وابراهيم كان مقدمه من «الأور» في أرض الكلدان، الواقعة جنوبي بغداد. كل هذا يتراءى لشعب إسرائيل أحلامًا من الفتح متعاقبة. ولكن قبل أن يتمّ الفتح بزمن، تكون الدسيسة والمكيدة قد أضنتا الناس، فأسأمتهم. وإن نحنِ لم نسهر على المكيدة التي حفروها تحت طلاء من ذهب، أضحت التربةُ ملغومةً في كل مكان.

لو لم تكن المطامح اليهودية ما هي، لما أتت تقديراتنا قاتمة، ولا هواجسنا واسعة بهذا المقدار. غير أن لبنان هو أوّل من يبتغي الدفاع عن نفسه. وفي ما تتوخّاه مملكة إسرائيل الجديدة، هو أن تُربي على إسرائيل القديمة.

أورد «جيمس ف. بيرنز» في مذكّراته ملاحظةً لاذعة بشأن توسّع الأمم الإقليمي، والأمن المزعوم، قال: «وفيما أنا أحْفي هذ المسألة، لا يسعني إلا التفكير في أناس يبتغون شراء دار أو مزرعة مجاورة ليذودوا، بالشراء، عن مزرعة لهم أو دار. وليس ثمّة من يجهل هذا الضرب من البشر. وسرّ الصعوبة أنّه لا بدّ من وجود دار أو مزرعة مجاورة على الدوام...». فنحن الدار، ونحن المزرعة المجاورة، ولسوف نظلّ دارًا ومزرعة، مباشرةً أو مداورة. فلنتيقّن من ذلك، وليعلم رفاقنا السوريّون، ومَن عداهم، ممن يجهلون قسمًا من تاريخنا، مدى تعرّضهم (للخطر المُداهِم).

في الهُدنَة

١١ حزيران ١٩٤٨

لو أنّ الحكمة هي التي أملتْ مقرّرات هيئة الأمم المتّحدة حتى الآن، إذًا لشاطرنا، راضين، البهجة العارمة التي أعرب عنها السيّد تريغفلي بصدد الهدنة. ولكن، عفوَ السيّد تريغفلي، فهيئة الأمم المتّحدة هي التي خلقت الصعاب في فلسطين وفاقَمَتها، قبل أن تحاول حلّها. وهذا الحدث محفوظ للتاريخ.

إن المسؤوليّة الواقعة على عاتق الولايات المتّحدة في القضيّة الفلسطينيّة لا تدانيها مسؤوليّة. إذ إن ولادة دولة إسرائيل قد دبّرت حقًّا بفرمان أميركي. فتنصهر بذا مسؤوليّة انكلترا السابقة بمسؤوليّة الولايات المتّحدة الحالية. ولسوف يكشف المستقبل عمّا لهذا الضلال المزدوج من أثر في سلام العالم، وأن سياسة هذا الزمان تصنعها كبار الدول باستخفاف، لتثير القلق. يتذرَّعون بأنّهم يعيدون السلام إلى نصابه، فيهدمون السلام الطويل الأمد وما يفقهون. وكلّما كرَّت السنون، ازداد الأمر اتّضاحًا.

لقد وفَّى الكونت برنادوت مهمّة الوسيط فلمع نجمه. وهو يتّصف، حقًّا، بقدرة على الجدل الطبيعي تعدّدت مواردها. ولكن لا يفُتْنا أنّ إنكلترا هي التي بادرت، فاقترحت مهادنة الأربعة أسابيع. فمعناه أن إنكلترا ساندَتْ هذه الهدنة بكل قوّتها، فكُتب لها بالتالي كل نجاح.

ثم أعلن السيّد بيفن نفسه: «أن الحكومة البريطانيّة قد اتّخذت قرارًا بتوقيف تسليم السلاح للأردن، ريثما تنتهي الهدنة». فيم تراك تحارب وأنت بالسلاح تزوَّد، ولا مريَّة بأن من يزوّدك به يكنْ سيّد الموقف.

ربّ متسائلٍ يقول: والأمر، أين ترى منتهاه؟ والهدنة، أين مفضاها؟ إن كان الهدف دعمَ دولة إسرائيل، فمن حقّنا أن نعتبر الهدنة أمكر ما يخطر ببال. ونمضي في حسباننا من أن دولة إسرائيل، بعد البلايا المديدة، ستسفر عن خطوب تنزل باليهود أنفسهم. وهذا حقًّا ما يخشاه المنشقّون من يهود الولايات المتّحدة، على حدّ ما ألفت إليه السيّد بيارد دودج مؤخّرًا. غير أن العرقيّة اليهوديّة ستوقّع الفتنة في الشرق الأوسط، وما وراءه، قبل أن يتثبّت العالم من الأمر.

وقصاراه، فإن كانت الهدنة في فلسطين على الصعيد الإنساني توحي الرضى، فهي، على الصعيد السياسي، لا تُنبئ بشيء من الخير.

مُذكّرة بَعدَ الهُدنَة

١٢ حزيران ١٩٤٨

مهما يكن، فإن الأمر بوقف النار في فلسطين لا يعني قط بداية السيطرة الإسرائيليّة. ويجب أن نضع نصب أعيننا أن إسرائيل أضحت دولة عالميّة، وليست تلك الحفنة من المبعدين والمضطهدين الباحثين عن ملجأ تحت السماء، كما شاؤوا أن يصوّروها لنا.

وإسرائيل أيضًا هي رأس القوّة الماليّة في العالم؛ وما واصلت نحيبها إلاّ لتضحي السيّد الحاكم، ولتلقي أرضًا وعاصمة تراقب منها جميع الطوابير اليهوديّة الخامسة في المعمور.

هذا ما يُدبَّر حقًّا، وهذا ما ارتضاه الرئيس ترومن وشاءه، بضغط من الخمسة ملايين يهودي أميركي، وهم أيضًا أعوانٌ ليهود المعمورة قاطبةً. وهذا ما يهيج في شتى بقاع الأرض فائض المقاومة، فينقضّ البَشر مجددًا على البشر.

إذ ليس من يهوديّ على هذا الكوكب إلاّ يتوق، بعد الآن، ليضحي، في سرّه على الأقل، مواطنًا في الدولة اليهوديّة، على كونه مواطنًا في بلد آخر. فيحمل كل يهودي جوازي سفر، أو يتاحان له، فينعم بامتيازات جزلة أُبيَت على سائر البشر. وهل من يَرتاب بأنّ اليهودي، حيثما كان، يؤثر، على شريكه في الوطن، شريكه في الدين، إلاّ في النُّدرة، ظاهرًا، مُكرَهًا؟ الواقع أنّ هذه الحالة تختلف عمّا سواها لدواع تاريخيّة ونفسيّة.

ولما كانت المغامرة اليهوديّة برمّتها، عرقيّة قائمة على الدين نجم أنّ المأثرة التي أتتها الحكومة الأميركيّة وكرّستها بالهدنة، جاءت لتساند مطمحًا، وقوّةً مهدّمة ليس لها مثيل، بأشدّ المساندة والتعامي.

ثم إنّنا لا ننكر شيئًا مما فُطر اليهود عليه من مزايا واكتسبوه. بل نأخذ بالواقع كما هو. ونجهد مُظهرين التقدّم المطرّد الذي أصابته جمعيّة سريّة هي أرهب جمعيّة في العالم.

فإذا كان السيّد ترومن جاهلاً بهذه الأمور فلا عذر له، وإن كان عالمًا بها، فلا عذر له أيضًا. وباتت أميركا الحاليّة، لفرط نفعيتها، تهدّد مجتمع المستقبل من جذوره بالصميم، وتضحّي المستقبل من أجل الحاضر، ولا تبالي.

منذ أعوام مئة لم يكن لوجود اليهود في ولاية نيويورك مغزًى. ولا يخفى على أحد ما أمسى الآن عليه. وليس ثمّة من لا يتحسّب لما سيكون عليه، في فلسطين والشرق الأدنى يومَ تغدو تل أبيب موئلاً اجتماعيًّا للغزوة، وتغدو لإسرائيل وطنًا أُمًّا ذا سيادة.

فإذا أبَتِ البلدان العربيّة بالتالي أن تسقط في شراك العنكبوت هذي سقوطًا مفجعًا، فإن نضالها ما يبرح مشروعًا لها، وعليها محتّمًا. وعلى كل قطر أن يتنبّه إلى أنه سيكون لإسرائيل جالية في أرضه، ولسوف تشتدّ شوكة هذي المستعمرة في بعض العواصم.

لو تبقّى للصهيونيّة باقٍ من الحكمة، لنظرت إلى الويلات التي تتعرّض لها إنْ هي راحت تحارب جميع البلدان المحيطة بها. وكانت الأقطار العربيّة، قد اقترحت، ما قبل الهدنة، هذا النظام الاتّحادي الذي بدا، زمانَ بيان بلفور، أكرم عمل في العالم. وفي وَجَل نتساءل، ترى كيف يكون الوضع، اذا انقضى عقد من السنين أو عقدان، واستمرّت إسرائيل في جماحِها؟

المؤقّت الذي يَدُوم

٥ تموز ١٩٤٨

سيماطلون في قضيّة فلسطين، وكأنّما قد تمّ تمديد الهدنة ضمنًا. لقد ردّ العرب مقترحات الكونت برنادوت وردّها اليهود: ردّها اليهود لأنّهم يريدون الاستئثار بكل شيء، وردّها العرب لأن اليهود يأبون الاكتفاء بالمعقول. وسينشر الرفض في الملأ، غدًا أو نهارَ الثلاثاء، في ما يزعُمون.

غير أن الهدنة لن تدوم إلى ما لا نهاية، إذ هي تفترض التوقّف أو التجمّد في كل شيء، ورقابة ضيّقة لا تأذن إلاّ بإحلال فريق محلّ فريق، أو ما ماثله.

وبديهيّ أن لا ينظر العرب إلى تمديد الهدنة كما ينظر اليهود. فاليهود لا ينتقلون من مناطقهم ومنازلهم، وينظرون إلى أبناء مذهبهم ينزلون فلسطين باستمرار، في شروط خارقة من التسامح والمنّة. وليس استمرار الهدنة، في إبّان هواجر الصيف، بملائم للجند، ولا للحكومات. لكنّه ما من شيء إلاّ وهو آثر من الإذعان لتكريس استقلال هذه الدولة اليهوديّة التي يشتدّ تمركزها، بلطائف الإجراءات، يومًا بعد يوم.

لقد انقضت شهور، والأقطار العربيّة تفكّر؛ وبرغم ما وَعَته من هذا الخَتَل السياسي الماثل في الدولة اليهوديّة، وبرغم المخاطر التي تنجم عنه، فالبلدان العربيّة لم تُدرك بعدُ أن خطر الدولة اليهوديّة أعظم ما يهدّدها من مخاطر. والواقع أن هدف إسرائيل هو استلاب العرب ملكَهم، من بحر

الروم حتى الفرات، آجلاً أو عاجلاً، أو هو، على أي حال، سيطرة سيشترك فيها، على اطراد، يهود العالم أجمع.

فإن سلَّم العرب، كانوا كمن أقحم نفسه في الظلمة مختارًا، وكان تسليمهم انتحارًا. وحريّ بالبيان، للمرّة المئة، أن الصهيونيّة، في قوامها، ليست يهودًا تعساء يبحثون عن مُعتصَم، وإنّما هي قوّة عالميّة متفرّعة على كوكبنا بأسره، لها من المطامح الصريحة والمُضرّة ما يفوق كل شيء.

فعلى العرب، كيفما تطوّرت وساطة الكونت برنادوت، أن يستفيقوا من شبه الغفوة التي يستسلمون لها، فيشتدَّ تمالُكهم لأنفسهم، ويناضلوا بجميع الوسائل المشروعة، وجميع قواهم. إنّما الذي يتكوّن في هذي الآونة مغامرة من أشدّ مغامرات تاريخهم هولاً. وعليهم أن يُدركوا ذاك على الأقل وأن يقتنعوا، إذ إن خصمهم قد اتّخذ أهم حكومات المعمورة عونًا له، يتمتّع بقوة لا تحدّ.

الوَسيط في ارتباك

٧ تموز ١٩٤٨

كان الكونت برنادوت ينتظر، ولا شك، أن يرى مقترحاته، وقد ردّها كِلا الطرفين. وكان جليًّا، في ناظره، أن دولة إسرائيل ذات السيادة، ما برحت، في اعتبار العرب، أمرًا محالاً. وكان جليًّا لديه أيضًا، أن اليهود غير مستعدّين للعزوف عن دولة إسرائيل. وههنا حقًّا تتجلّى ساحقةً مسؤوليّةُ الولايات المتّحدة، وروسيا. إذ سارعتا إلى الاعتراف بالدولة اليهوديّة، فشجّعتا نضال إسرائيل، تشجيعًا حاسمًا. وإنّما سعى البلدان الكبيران في ذاك إلى الحرب، لا إلى السلم. ولا ريب في أن الدواعي لديهما لم تكن واحدة. ولكن الواقع العصيَّ ماثل ههنا. ولسوف يسجّل التاريخ على الولايات المتّحدة، أنّها تعمّدت التضحية بالأماكن المقدّسة، لدواعٍ سياسيّة داخليّة، وبأسباب طهاية انتخابيّة. على كون الولايات المتّحدة بلدَ حضارة مسيحيَّة، تفصلها عن هذي الأماكن شقة ستة آلاف أو سبعة آلاف كيلومتر. هذا ما سيقوله التاريخ، الذي لا يحابي. ولربما وافق أيضًا، على أن روسيا لم تكن معتدَّة، في هذه المناسبة، بأصول الأخلاق الدوليّة عينها.

يتوخّى الكونت برنادوت الآن، أن يصفّي مصير القدس، على حدة. وهو يقترح، في الوقت نفسه، وضعًا موقّتًا لـ «حيفا». لا شك في أنَّ جعلَ القدس بمعصمٍ هو تدبير موفّق. ولكن من الإنصاف أن نثبت بأن وضع

العرب في القدس آثر من وضع اليهود فيها، يستعيضون به عمّا لليهود على الساحل. إذن يضحي من الإنصاف أن ينال العرب، مبدئيًّا، ما يعادل هذا الامتياز، في موضع آخر، فتُنتزعَ الرقابة عن منطقة حيفا ومرفأها، على الأقل، من يد اليهود، ما دام النزاع قائمًا.

ومهما يكن فالمفروغ منه، هو أنّه لم يُهتد بعد إلى حلّ نهائي أوتي نضجه، إذ ليس ثمّة حلّ ممكن. ولم يتبقَّ، لحل عقدة غورديوس، غير السلاح، والزمن. ولم يتبقَّ للعرب مورد إلاّ الحرب الدفاعيّة التي فرضت عليهم فحسب، بل ثمّة مورد لا ينتهي، صمود لا بدّ أن يتجلّى، وأن يشتدّ يومًا على يوم.

هي جنّة من إسرائيل حقًّا، أن تناشدَ في فلسطين للعنف سلمًا يدوم. ينبغي أن يعلم اليهود، إنْ هم مَضَوا في عنادهم، واستطاعوا الصمود، أنّهم سائرون لا محالة نحو حرب «المئة عام».

هذا ما رأيناه مقبلاً علينا منذ الزمن البعيد. ولكن المنطق لم يعد من هذه الأرض.

من مرحلة إلى مرحلة

١٠ تموز ١٩٤٨

سُراعًا ما انقضى الشهر، وأسابيع الهدنة الأربعة في فلسطين قد انتهت، كما ابتدأت، إلى وضع قليل الوضوح. واعتمدت الأقطار العربيّة، مرّة أخرى، لهجة كثيرة الاعتدال غير أن المشكلة لن تؤتى بالألفاظ حلّها، بل بالوقائع. أبهدنة أم بغير هدنة، فالأمر سواء إذ لا يبدو الآن مخرج للعين المجرّدة. تراه يتّضح بالعدسة المكبّرة؟

لنقل الأمور كما هي: ما فتئ التأثير الأميركي شديد الوطأة لما هو في صالح دولة إسرائيل، والمقرّرات الوافدة من «لايك سكس» تنضح به كلّها. ومنذ أمد قريب سمعنا في مجلس الأمن ممثّل الولايات المتّحدة يصرّح قائلاً: إذا ما رضي أحد الطرفين مواصلة الهدنة ورفضها الآخر، تعرّض الطرف الرافض للعقوبات. فينجم عنه أن الهدنة قسريَّة. إنّه لعسيرٌ علينا فهم هذا التعليل الذي لا يشرّف روح القضاء الأميركي.

يرتضي اليهود تمديد الهدنة كما هي، لأنّها في صالحهم كيفما دارت الحال. إذ في غضون الهدنة تستمرّ الهجرة فعلاً، ولا ينفكّ يأتيهم كل فنّ من المدد في السرّ أو في الخفاء.

أما بالنسبة إلى العرب، فالأمر على خلاف ذلك: إذا مدّدت الهدنة، بالشروط نفسها، تعيَّن عليهم أن يُذعنوا ليروا، بعين اليقين، أن وضعهم في نحوس، ووضع خصمهم في سعُود.

ثم كيف لا نلفت، عرضًا، إلى اجتماع روسيا والولايات المتّحدة تلقائيًا على مساندة دولة إسرائيل (كما بدا من موقف ممثل أوكرانيا الذي يرئس مجلس الأمن)؟

كلّما تباعد الأميركيّون والروس في سائر ميادين النزاع، تدانوا في شأن إسرائيل. حَدَثٌ هو من أعجب الأحداث السياسيّة في الدهر قاطبةً.

ثم نعود إلى الهدنة، فنقول: لقد صرّح العرب بجلاء بأنّهم لم يوصدوا للمحادثات بابًا، ولذا يُفترَض أن الكونت برنادوت سيعثُر، بالتالي، على شيء يقوله، فيأتي باقتراح أو تمويه، ليخفّف من حدّة الفريقين.

غير أنّا، على رؤوس الأشهاد، نقول إن قضيّة فلسطين لن تصفّى والقوم في سُبات. ولن يُجدي سباتٌ ما دامت النار تحت الرماد؛ وأشقى منه يقظةٌ تعقبه.

لقد أضحت قضيّة فلسطين، للأسف، ورطة للأمم، فهنَّ يبتغين التخلّص منها، مهما كلّف الأمر، ولم تَعُدْ ظلامةً صارخة تستلزم رفع المحايف، ويرقى صياحها حتى السماء.

مَواعِظ الأحَد

١١ تموز ١٩٤٨

ما زال الكونت برنادوت يلوّح بغصنِ الزيتون. ولا بدعَ أن يلقى جزاء جهوده، فيرى الهدنة تعود إلى فلسطين. تُرى نكون بذاك هُدينا إلى طريق السلام؟ إنما السلام الذي يتوق الوسيط إليه، ويحمل الحرب في حناياه، لخليق بأن يكون موضوعًا لتأملٍ روحي.

تريد الولايات المتّحدة دولة إسرائيل، والسلام معًا. وتريد روسيا دولة إسرائيل، إلاّ أنّها تريدها وسيلةً للحرب.

فالدولتان الكبيرتان على اتفاق التناقض في هذا البند، ويحتدم بينهما النزاع في ما عداها من البنود أجمع. ولا مرية بأنّهما لا تعيران دولة إسرائيل مدلولاً معنويًا واحدًا.

إن ما تعنيه دولة إسرائيل للولايات المتّحدة سياسةٌ انتخابيّة، ووجودٌ أميركي، غير مباشر، في شرق المتوسط. وفي اعتبار روسيا، أن دولة إسرائيل علّة أبديّة للبلبلة والتنازع. تريدها أميركا دولة يهوديّة، رأسماليّة، محافظة؛ وتتمثّلها روسيا، ماركسيّةً ثائرة. أما اليهود فمرادهم أن يحتفظوا لدولة إسرائيل بالوجهين معًا. ويوازنوا، بمقتضى الأحوال، ما بين مذهب أوروبا الشرقيّة في السياسة، ومذهب أوروبا الغربيّة. وبديهي أن ما يهدفون حقًا إليه هو أن تؤتى سياستهم نجحَها، فتعود إسرائيل في الكون «شعبَه المختار»؛ وهم يسخّرون لها روسيا والولايات المتّحدة معًا، أو على التداول.

أما موقف إنكلترا، فقد تجلّى على تمامه من فرط الغموض. إنّها تصفّي حسابات قديمة بآسيا الغربيّة، فما تكتفي بتدبير بقائها، بل تريد تثبيت وجودها. وعاصمة الأردن الآن هي عاصمة لهذي السياسة. وما بين الأردن وانكلترا عهود وثيقة نعرفها.

أما نحن فنقول: إننا ندرك تمام الإدراك أن تُدافع انكلترا، حيثما كان، بما تبقى لها من القوّة، عن الحضارة التي تمثلها، وعن «الكمنولث» الذي هي عليه. ولكننا نقول أيضًا: إن السياسة التي تتدبّرها بجوارنا خطرة، نُشفق منها؛ وإنّها لسترتدُّ عليها. فالأحداث التي تمهّد لها بريطانيا في الشرق الأدنى (وإن نفَت الظواهر)، قد تشبه الأحداث التي جعلت حياتها عسيرة في آسيا الشرقيّة.

على مثل هذا يكاد يكون وضع الكونت برنادوت، يجتازه عاديًا، حاملاً غصن الزيتون. أما نحن، فيتهيأ لنا، على ما نكنّ من واجب الاحترام لهيئة الأمم، ولمجلس الأمن، والسيّد تريغفلي، والوسيط أخيرًا، أن كل ما في لبنان من شجر الزيتون لن يفي بالغرض.

ليستتبّ الأمن في فلسطين، لا بدَّ للعقول أن تُجَرّد من سلاحها، وللقلوب. ليس ما نثبته كلامًا وحسب.

العام المقبل نكون في القُدس

١٤ تموز ١٩٤٨

لئن كان غُلاةُ الصهيونيّة يطالبون بالقدس عاصمةً لهم، فإن اليهود جميعًا يضمرون في قرارة الخاطر والفؤاد أن تصبح القدس الموطنَ الأم لإسرائيل.

ليست القدس موطنَ إسرائيل هذي التي ليس لها تخوم، والتي اسمها واحد من الأسماء العبريّة التقليديّة، وإنّما هي موطن دولة إسرائيل التي تتمخّض بها الولايات المتّحدة، ويُعاني غيرُها أَلَمَ المخاض.

في رأس أغراض اليهود أن يجعلوا المدينة المقدّسة عاصمة سياسيّة لهم، كأنّه لم يتبقَّ في العالم مسيحيّة ولا إسلام!

ويبدو أن هذا المدّعَى الغالي لم يغب إلاّ عن حكومة الولايات المتّحدة. إلاّ أننا لا نحسب في نية السيد ترومن، أن ينقل جبلَ الزيتون إلى واشنطن، والقبرَ المقدس.

غير أن يهود الأرض قاطبة يتباشرون بالفصح، في السرّ أو في العلانية، قائلين: «العامَ المقبل نكون في القدس». إنَّ في هذا الحلم الكونيّ لَتوقًا إلى الفتح لا يُحدّ. وتزعم أميركا أنّها تبتغي إقامة دولة اسرائيل، ونضال اليهود من أجل القدس هو أول ما تُدبّر. نضال خفّي هو، ستسخَّر له جميع الوسائل: المال والمكر، الدسيسة والإغراء، وإذا اقتضى الأمر، فشرّ من ذلك.

هذا ما سوف يقودنا إليه عمى الأمم، أو، على الأصوب، عمى بعضها وغدر البعض، والحق أن ثمّة مجالاً للتساؤل عما إذا كان سياق الأحداث المحتّم، لا يسير بنا إلى هذا الانهيار الشامل الذي يُدعى نهاية العالم.

ولو أن اليهود اعتمدوا الوسائل المألوفة، لأعياهم فعل ما يفعلون، غير أن لهم من تفرّع سلطانهم ما يحدو الولايات المتّحدة وروسيا، فتعملان معًا، على دفع العجلة لما فيه صلاح اليهود. ولو لم يكن هذا صحيحًا لقلناه غيرَ معقول، أو لم يكن صفحةً من التاريخ لعددناه محضَ جنون.

سواء قصُر المدى أو طال، فخطر إسرائيل محيق بالقدس. وبات ضئيلاً أن يُفرض الآن نظام خاص على المدينة المقدّسة في حين يسلّم لليهود بكل ما تبقّى.

إنّما التوقّف عند تدابيرَ دوليّة موقتة بشأن فلسطين، نزاعٌ أبدي يُجتلب. ولا يليق بالغَرب كافة، ولا بالشرق كافة موقفٌ مثلُ هذا الموقف.

مَواعِظ الأحَد

١٨ تموز ١٩٤٨

لم يعد الآن بدّ لنا من اختيار أحد الخطرين: خطر الحاضر وخطر المستقبل. ولا يسع الشرق العربي الأدنى أن لا يتحرّك للزلل الفادح الذي تقترفه الولايات المتّحدة في فلسطين.

أينبغي اليوم أن نستسلم للقوّة، ونتعرّض للأسوأ، فيُترك لسلطان اليهود أن يستقرّ ويستمكن؟ أم تُرى ينبغي، على النقيض، أن ننتفض قائلين: ما من شيء يهدّد البلدان العربيّة بأشدّ هولاً من دولة إسرائيل؟ أما نحن، فالموقف الثاني هو الذي نراه.

كل شيء، في عرفنا، آثر من الرضوخ، صراحةً أو ضمنًا، للأمر الواقع. ولو خالجنا أن التسليم بتمديد الهدنة يُسفر عن حسن العُقبى، لَكُنّا لتمديدها. لكن حصار الأمم قد تمّ (والولايات المتّحدة هي التي وضعته).

فسلطان اليهود العالمي، ومنطلقه واشنطن، كان شديد الوطأة على العواصم جمعاء. والمساعي التي يُنهض لها في كل مكان، لا تُحصى، والذين أغرتهم إسرائيل من أميركيين أو أوروبيّين يضيق عنهم الحصر.

لقد غلا العرب في ميلهم إلى الانعزال ببرجهم العاجي عن العالم والحياة، فأفسحوا المجال للدعاوات المعادية. اليهود، لا العرب، هم الذين تيسّر لهم أن يختلقوا سوابق رأي يلائمهم في بلدان تقرير المصير، رغم

أنف كلّ عدالة. فملأوا الكون بالتوسّل والصراخ، وعمدوا إلى شتّى أساليب الضغط، وسخّروا جميع الحيل، وحالوا، على سبيل التمثّل، أن يضيّقوا على انكلترا الخناق في سياستها الاقتصاديّة والماليّة (إذ الحملات الآتية من كلّ صوب، على الليرة الاسترلينيّة، منذ أمد، والتي دُوزنت، فحملت صداها كلّ صحيفة ذات اختصاص، إنّما هي صادرة، ولا ريب، عن منظمة يهوديّة تغشى شباكها الحالكة كوكبنا بأسره. من المحيط الهادئ الى الأطلسي، عبر الأسواق السوداء، والرسميّة، والمتوازى منها والمتفارق).

هذا هو الوضع اليوم. ولنجاهر قائلين: إننا لا نرى كيف يمكن دولة إسرائيل، وقد أضحت على تخومنا مرفأ ارتباط لجميع يهود العالم، أن تدع الأقطار العربيّة، وفي المقدّمة لبنان، تعيش وتزدهر بسلام.

إنّما الخطر الطّامي بجيراننا وبنا لا يحدّ. فهو مشروع وقاح، جسور، من الاستيلاء الاقتصادي، والمالي، والصناعي، والتجاري، ومغبّته تجاوزات إقليميّة وسياسيّة، وارتهانُ أعناقنا بمثل نير أرزح، بلْهَ، واستعباد. وبذا تسير نحو تحقيقها غزوة استعمار واستيلاء لا تُطاق، غزوة في الشرق الأدنى من آسيا، تشنّها إسرائيل علانية أو في الخفاء، وترعاها أميركا، ويشترك فيها جميع اليهود، مستجمحين مَن أدرك سنّ الرشاد منهم (أو من زاغ عنه).

إذ لا يلوح وراء هذي القضيّة شيء غير يقظة من التعصّب وسخط هائل من التزمّت، ودمار ودم ودموع كثيرة في أمصار كثيرة.

أما أن تكون هيئة الأمم شاءت هذا الفَند لأن أميركا شاءته بدافع من اليهود الأميركيّين، فهذا هو البوار عينه وهذا هو إفلاس الحضارة بالصميم. اتفق أن تكون أحاديثنا يوم الأحد أوفر ضَفاء من هذا الحديث، ولكن الساعة خطيرة، والزمن يزحمنا.

نحن نجهل ما في حوزة البلدان العربيّة مجتمعة، من زُخْر قُوى مسلّحة. فإن كان لا يتّسع لهذي القوى إلا الصمود، فلتصمد إلى أن يصبح الهجوم أمرًا ممكنًا، سواء أطاب الأمر لفلاسفة هيئة الأمم أم لم يطب.

والحق أن الأماكن التي ولدت فيها المسيحيّة، وإلى حدّ، ولد فيها الإسلام، واستوت آياتٍ لإيمان مليار من البشر، وكاد ينضوي فيها العرق الأبيض برمته، وأسلوب تفكيره، ومعاشه، لا يجوز أن تُضحي مختبرًا لإسرائيل، ومركزًا لحيَلها، ودسائسها، ومؤامراتها.

فبلاد الحضارة المسيحيّة، في ما هي سالكة، تُخلّ بأسمى رسالة لديها، وبلاد الإسلام، إن لانت قناتُها، ضلّت السبيل، وتعرّضت للدخول في الظلام.

هذا أوان الخروج من السراب والحلم، وما دامت بعد في داخل الأقطار العربيّة مطامحُ خاصّة، واعية أو غيرُ واعية، وجب أن تفتضح، وأن يُتّقى جانبها، وإنّما في هذه المفازة بعدُ غيرُ مستقيمات النيات.

الغربُ وفلسطين

٢٠ آب ١٩٤٨

تبيّن أنّه لولا الولايات المتّحدة الأميركيّة، لاختلف ولا ريب موقف الغرب جملةً، من مسألة فلسطين عما هو عليه.

ويجوز القول نفسه بصدد بلدان أميركا اللاتينيّة، غير أن ضغط الولايات المتّحدة قد أطاح بكل شيء، وكان لولاية نيويورك، داخلَ الولايات المتّحدة، وزن حاسم.

ثمّ انّ لليهود في المعمور أساليب يكاد لا يخلو منها مكان. فسلطانهم فيها لم يعد خافيًا، إذ نراهم وقد تمركّزوا في المنظّمات الدوليّة، والعواصم، والحكومات، والإدارات، والمجتمعات كلّها، وفي وكالات الأنباء والصّحافة وغيرها، وتسلّلوا شعبات خفية ونزعات متلمّسة. غير أنّهم يملكون سعيدًا في نيويورك خاصّة، وحول البيت الأبيض يتألّق سلطانهم. والواقع أن هذا الشعب مشترك بالحكم في أعظم البلدان، فيسيرٌ عليه أن يستخدم سياستها لأغراضه الخاصّة.

ناهيك أن أوروبا الغربيّة، مذ دمّرتها الحرب ماديًّا والخلافات العقائديّة، وزعزعتها معنويًا، لم يعد في مستطاعها الاستغناء عن معونة الولايات المتّحدة دون أن يقضى عليها. بل إن الولايات المتّحدة، مقابل ذلك، تُلزم أوروبا هذه تبنّي وجهات نظرها في قضايا رئيسيّة، على نحو ما حصل بشأن فلسطين. وعلى هذا الغرار حالُ أميركا اللاتينيّة، وإن تفاوتَت الأسباب. فبيّنٌ إذًا أن أوروبا الغربيّة في حال إكراه معنوي، على تفاوت في الحال. (لولا الولايات المتّحدة، مثلاً، لشعر البلجيكيّون أنّهم أكثر انعتاقًا من الفرنسيّين إزاء إسرائيل، ولو تساوت النسب كان لوجود اليهود في السياسة الفرنسيّة أثر أبعد من أثره في بلجيكا).

لقد وافق غير بلد من بلدان أوروبا الغربيّة على تقسيم فلسطين، بمضض صريح، أما أوروبا الشرقيّة ففرَتْ فري روسيا (التي تنحو سياسة الأسوأ، وتناقض نفسها، فتتّخذ في هذا الظرف أسرفَ موقف عرقي في العالم) ودعمت إسرائيل كتلة واحدة. حسنٌ أن تحارَب العرقيّة والفاشيّة بالكلام والعنف الأشد، ثم أن يناقض التصرّف الكلام في السانحة الأولى، ويُقبَلَ عليه باستخفاف معدوم النظير! والواقع أن اليهود قد أسهموا إلى أبعد الحدود في إشعال الثورة التي أوقعت روسيا في الماركسيّة عام ١٩١٧، وما برحت وطأتهم شديدة في المصير الروسي، من قريب أو بعيد. ولا مرية بأنّه حيثما كانت الثورة فهي في صالحهم، وأينما وقع خراب الحضارة المسيحيّة فهو في صالحهم.

أما أن لا تكون بلدان الحضارة المسيحيّة (وما يقابلها من كبار الأقطار الإسلامية) قد وقفت من الصهيونيّة المجتاحة موقفًا أصمد، فهذا ما لا نرى له تعليلاً إلاّ في زيغان السياسة التي اعتمدتها الولايات المتّحدة، والضعف المفرط في بلدان مُنيت بالحرب والخصام، والإعراض البيّن عن الحقائق، وعن أغراض إسرائيل ومطامحها.

أضف أن البلدان العربيّة قد أتاها النذير من زمن بعيد، غير أنّها لم تُعر لألحّ الأدلة أذنًا والتوصيات، فإذا النّذير، على تعاقب الشهور والسنين، كرز في صحراء.

أما الآن، فبات من الطبيعي أن يتكثر اللوم والندم، بعد أن حلّ اللاجئون العرب محلّ اليهود التائهين على طوال الدروب، وكشف اليهودُ القناع عن

غرائز فتح من نوع غرائز الألمان، واستندوا إلى قوّة عسكريّة جهّزتها يد طولى، وداخلتها في الإجرام أعجب المُشرَكات، وبعد أن غدا سلطان اليهود عالميًّا يفعل فعله في جميع المرافق.

غير أن أوان العمل لم يفت بعد، إذا نحن شئناه، ولنردّد قائلين: إنّه لمن صالح اليهود أنفسهم أن تعتدل غارة اليهود. ومهما بدت الساعة الحاضرة ساعة شؤم، فإن في الآتي، من النقمة والتهديد، فوق ما فيها بما لا يحدّ.

تُرى، أتسعى الولايات المتّحدة (وانكلترا التي تشاء أن تظلّ حاضرة في هذا كلّه غائبة، كمثل شخص اللّه في رواية أتالي) فتستبين بمزيد من الوضوح، وتتذكّر أخيرًا، ما يلتزمها، بأرض المقدس، من دفاع عن حضارتها بالذات؟

القُدس في خطر

٤ أيلول ١٩٤٨

لتعلم المسيحيّة بأسرها والإسلام، أن دولة إسرائيل ستهدّد القدس إلى الأبد.

لا صهيونيّة بلا صهيون، ودولة إسرائيل لن تغنى أبدًا عن القدس.

فالإسرائيليّون أنفسهم يعترفون بأنّهم من يعقوب يتحدّرون أو من إسرائيل، وهم، هم الذين نسمّيهم يهودًا وعبريّين، وكل ماضيهم يدور حول المدينة المقدّسة.

إنما تاريخ إسرائيل هو تاريخ الشعب اليهودي، فإذا ما أسقطنا منه القدس، كاد لا يتبقّى شيء منه. وعليه فالقدس عرضة لتهديد من اليهود، دائم، ولذا لم يرعَ اليهود حرمةً للهدنة في القدس.

الحلم اليهودي في تماديه، والعَنجهيّة اليهوديّة في تزايدها. وجليٌّ أن مطمح اليهود يصبو إلى الاستيلاء على القدس ليجعلها، مرحلة إثر مرحلة، وطن اليهود الأم. غير أن المسيحيّة العالميّة لن ترتضيه، ولا الإسلام، فتصميم اليهود، على متّسعه، لا يجوز أن يفوتنّ أحدًا، حتى أقلّ الناس إلمامًا بالأمور.

إنّها الدولة اليهوديّة، على نحو ما تصوّرتها هيئة الأمم إذ صمّمت التقسيم، رأس جسر، ونقطة انطلاق، وبداية، ولقد بيّنّا ذلك غير مرّة. إنّها

سبيل لاستملاك فلسطين برمّتها، وأرض ما وراء الأردن شاسعة، وأصقاع بسوريا أخَر، أي ما كان في حوزة الأسباط الاثني عشر. وإن عَنّت السانحاتُ، من بعدُ، فامتلاك ما كان قديمًا لإسرائيل، وفوقَه. ما كان عليه وطنُ ابراهيم.

لقد جعل اليهود الشرق الأوسط والأدنى منطلقًا لحلمهم بالاستيلاء الذي نعلمه، والذي زعموا أنّهم، على خلالهم المركوزة، ينشئونه، وعلى ما لديهم من غنى وسلطان، ثم على التوراة.

وعرقيّة اليهود الشاملة توّاقة إلى فرض رقابتها على الكون، بأساليب خفيّة. لقد جازت حتى الآن من الطريق شأوًا. وفي بغية سلطان اليهود المادي أن يستولي على عالم تزَعزَعَ معنويًّا. أما الموسيقى، والفلسفة، والعلم، فأعلام ترفرف فوق بضائعه متألّقة. ولنذكر مرّة بعد، على سبيل التلميح، آنشتين، ويهودي منوهين، ولا حاجة إلى أن نرقى الى سبينوزا، مع ما نكنّه لهم من إجلال.

فنحن اللبنانيّين، مدعوّون إلى رؤية هذا السلطان على حدودنا يتّسع، واحتمال العبء الساحق بوجوده، ومحاولاته، وإلى الاشتراك في تحبير المراثي. أما سوريا، وشرقي الأردن، ومصر فإنّها شرعت ترتاب، بعد سُبات طويل، في ما ينوبُها. إنّها تُشغَل من خارج، ومن داخل سوف تُشغل، كأنّها طينة رخيّة، وتُدرك الخطر في أن يضحي بعضها «إسرائيليًّا» بدوره، على حدّ ما يقال في ألفاظنا المولَّدة اليوم. إذ إن السيّد موسى شرتوك، والحاخام سلفر، وغيرهما، قد ميّزوا بإحكام ما بين «إسرائيلي» و«من هواه إسرائيل».

وحسبنا الآن أن نلتفت شطرَ القدس لنقول في نفوسنا: لا شك أن القدس باتت في خطر خطير، ولشدّ ما سوف يلجُّ بها الخطر يومَ يُضحي اليهود مليونًا ونصفًا، أو مليونين، في دولة إسرائيل «المزعومة».

نهاية الوَسيط المفجعَة

٢٠ أيلول ١٩٤٨

بعد هذا المقدار من أعمال العنف التي أتاها اليهود، وهذا المقدار من الأوهام، سيكون في مصرع الكونت برنادوت عبرةٌ للعالم. إنّه لمصير الوسطاء، بأنّهم غالبًا ما يصبحون هم أيضًا ضحايا ويدفعون دمهم لخدمة العدالة والمحبّة. لقد أبدينا، في بادئ الأمر، حيال الكونت برنادوت ـ على ثقتنا به ـ تحفّظًا طبيعيًّا يُعزَى إلى ما لحكومة ستوكهولم، في الظاهر، من ميول يهوديّة.

غير أن هذا الظن ما عتَّم ان انجلى، شيئًا بعد شيء، واتضح أن الكونت برنادوت كان يستوفي رسالته، وبه رغبة عظيمة في إقامة التوازن والسلام، ونيّة طيّبة لا تحدّ.

وبصوت أمينها العام، السيّد تريغفلي، تباهت منظمة الأمم المتّحدة بالنتائج التمهيديّة التي أفضى إليها عمل الكونت برنادوت، وهو أوّل نجاح ملموس أحرزتْه المنظّمة.

فإذا الهدنة تطول لأجل غير مسمّى، وإذا الوسيط أبدًا يُعرب عن تفاؤله (وان تفاوتت درجاته). لم يعمد أحد إلى استخدام هذا اللفظ المريح، في مدى الوقت الوجيز، وإنْ على ضآلة متناهية، بقدر ما استخدمه الكونت برنادوت. إلاّ أنّه تراءى إلينا أن نفرًا قفلوا من أرض المقدس، منذ أيام ـ وهم

اشدّ إحاطة بشؤون فلسطين ـ، يستشعرون وطأة التهديد اليهودي على الكونت برنادوت، ويخشون محاولة اغتياله. لقد تحقّق الإيجاس، والتخوُّف الغامض، للأسف! وسقط الوسيط والضابط الفرنسي الأعلى الذي كان يرافقه، في مكيدة ما بعد ظهر الجمعة.

تُرى يستفيق العالم الآن، فيسعى إلى معرفة المحاولة اليهوديّة في حقيقتها العميقة؟ ترى نخرج من الدعاوة الكاذبة، والشعوريّة المزيّفة، والأقوال الخاوية، فيُسعى لإدراك مدى الخطر؟

لئن كان يسيرًا أن تُلقى على «عاتق العصاة والمارقين» جريمةُ قتلٍ مشينة، وجب أن يقال إن عقبى المشاركات والوقائع في سياق الأحداث بإسرائيل، تظهر أنّها لم تكن تمرّدًا، ولا هي حصلت اتفاقًا. فلتستعرض سلسلةٌ متعاقبةٌ من المؤامرات والاغتصابات، فإنَّ فيها ما يحدو الأمم المتّحدة على التفكير حقًّا.

لننحنِ خاشعين أمام جثمان الكونت برنادوت ومرافقه، قضيا في وفاء واجب دولي، هو آثر ما ينطبق على الواجب الإنساني.

السيّد رياض الصلح والدبلوماسيّة اللبنانيّة في باريس

٢٢ تشرين الأول ١٩٤٨

إن حضور السيّد رياض الصُّلح مأدبة الغداء الأسبوعيّة الأخيرة التي أقامتها الصحافة الانكليزيّة ـ الأميركيّة في باريس وخطابه فيها، ليبعثان في النفس ارتياحًا طيّبًا. وكان يحيط برئيس مجلس الوزراء، نفر من أبرز ديبلوماسيينا وأغلاهم علينا. وفي هذ المناسبة تجلّى لبنان بأحقّ مظاهرة وأحياها. لقد أدّى السيّد ريَاض الصُّلح ومن صَحبه من مواطنينا المدعوّين إلى مأدبة الغداء دليلاً محسوسًا على ما يستطيعه مَن تفهّم هذا الزمان، ومستحدثات العالم، في السياسة وفي الاجتماع، اذا ما تمّ العمل بروح التعاون الأخوي.

وبعد أن ألحّ السيّد رياض الصُّلح على إظهار ما يكون في تقسيم فلسطين، والحلّ الفلسطيني، من كُلفة، وتحكّم، ووهم، ومنافاة للعرف السليم ولطبيعة الأمور، إن هما أتيا «ضد العرب أو دونهم»، طاب له أن يصوّر لبنان اليوم، ويستجليَه، وأن يُبرز ما فيه من مثال الحياة السياسيّة، وقد تلاءمت الطوائف فيه والجوالي، على نحو ما ينبغي أن يكون، وعلى ما هي كائنة. وعلى لسانِ السيّد ريَاض الصُّلح قد اتضح ما «للأقليات المشتركة» التي بها نحدّد لبنان، منذ الزمن البعيد، من عمق، وصلابة، وأخوّة وتماسك، و«مشيئة حياة» مشتركة وتسامح بعيد، واحترام كلّي لحريّة الضمير التي جعلناها طابعًا لبلدنا الصغير، والتي يجوز، بل يجب حقًّا، أن

تُطرح على تفكير العالم، وإن لم يكن طرحها إلاّ في سبيل حلّ إنساني للقضيّة اليهوديّة في فلسطين.

وجاءت أحاديثُ السيّد رياض الصُّلح في باريس أقربَ ما يكون إلى العقل، وأشدّها ولاءً وإقناعًا. وليس إلاّ من الإنصاف أن نُناصر هذي الأحاديث مناصرة لا مساومة فيها عندما يُذاد عن المبادئ الأساسيّة التي يناضل من أجلها بلدنا، والتي بها يحيا.

ويلوح أنّه كان لخطاب السيّد رياض الصُّلح وقعٌ عظيم في نفوس الباريسيّين، ممّن مثّلوا الصّحافة الإنكليزيّة ـ الأميركيّة. علّهم يستخدمون ما فيه لصالح سياستهم، وسياستنا، ولصالح الأقطار العربيّة جمعاء، والشرق الأوسط!

فلربما آن حقًا أن نسعى إلى وضع حدٍّ لجميع العرقيّات، وجميع التعصُّبات، في الغرب، وعندنا، وأن نجهد قبل كل شيء، ومن أعلى المنابر التي في المَنال، فنواجه الحلّ الوحشي الذي يقضي بتقسيم الأرض المقدّسة، بحلّ قوامه حياة سياسيّة مشتركة تكون غنًى للفكر ونصرًا، بيد يكون نقيضها نكوصًا وبليّة.

عَدْوَى الاقتِدَاء

٢٥ تشرين الأول ١٩٤٨

لشدّ ما يتناسَون أن دولة «إسرائيل» قضيّة عرقيّة وطائفيّة، وإن كان من اليقين أننا لم نكشف في قولنا هذا جديدًا. فإنّما ينبغي أن نُظهر، فوق ما أظهرنا، إلى أي حدّ تُناقض نفسها الأمم المسمّاة ديموقراطيّة، في هيئة الأمم، عندما تدعم الدولة اليهوديّة.

فمن جانب، تزعم الأمم أنّها تبتغي حياة دوليّة، وتعاونًا، وتسامحًا، وحماية للأقليّات، ومساواة مدنيّة، وتسعى إليها؛ وهي، من جانب آخر، تفعل ما يناقض ذلك عينًا.

إنّ الذي يقاوم العرقيّة السياسيّة والاجتماعيّة، كمثل ما قاومتها الأمم في غضون الحرب الأخيرة، لا يحقّ له اليوم أن يكرّسها لصالح اليهود بمثل هذا الضرب من العنف. ناهيك أن مساندة العرقيّة اليهوديّة، في ما نظنّ، ستكون مع الزمن، أسوأ ما تأدّى لليهود أنفسهم. فإذا ما تمادت أميركا والدول الأخرى في لجاجتها، رأينا اليهود، وقد اشتدَّ اضطهاد الناس لهم، يرتدُّون إلى وطن العرقيّة الأم، الذي يسعَون إلى خلقه، فيضيق بهم هذا الوطن. إنّها لردّة طبيعيّة هذا مفضاها. فلسوف تستتبع إسرائيل وتعسّفاتها الإقليميّة بليَّةٌ تنصبّ على الشعب المختار، بين فينة وفينة، وبلبلة في المعمور.

غير أن ما يعنينا تبيانه ههنا، إنّما هو خلل المنطق الذي ينوب الديموقراطيّين المحترفين، المجاهدين الآن في سبيل إسرائيل. وفي وسعهم أن

يؤمنوا بأنّا، على صعيد المبادئ، ديموقراطيّون، بقدر ما هم ديموقراطيّون. إذ الديموقراطيّة الآثينيّة، مثلاً، حيّة في ذهننا. ولكننا لا ندرك كيف أن مفهومًا صلبًا كمفهوم الديموقراطيّة، قد طوّرهم نحو العرقيّة اليهوديّة، ونحو دولة اليهود الطائفيّة وكأنّها حُسنَى.

إنّهم لا ينظرون في هذي الأمور كما ينبغي النظر، أو هم يَجبنُون عن مواجهة الحقيقة وعن خدمتها وإسعافها لتدارُكِ النصر.

أمّا الذي لا يجوز التغافل عنه، بعد الآن، فهو أن الأمم التي وافقت على تقسيم فلسطين، قد صوّتت لأشدّ الدول عرقيّة وطائفيّة في المعمور، وكان تصويتها خزْيًا. هذا ما يتغافل عنه «الأحرار» وما يوصي به «الديموقراطيّون».

لم نقع على أمرٍ ينافي المنطق إلى هذا الحدّ، ويناقض من منظمة الأمم المتّحدة مذهَبها الرسمي الأوّل. والذي لم يُلتفَت إليه في قلب هيئة الأمم، التفاتًا وافيًا، هو أن تُرَّهات كهذه تجرّ العدوى، وأن الذي يستفزّ إنما هي عرقيّة مبرّحة، وهو تفجّر التعصّب لدى هؤلاء الذين يكرزون لهم برحابة التفكير وبالتسامح لصالح اليهود.

فإن أُذن لبني إسرائيل، قَسْرَ العقل نفسه، وقسرَ وجود اليهود البيّن في جميع البلدان والحواضر، بأن يضعوا دولة يهوديّة عرقيّة وطائفيّة، ففيم لا يؤذن أيضًا بذاك لغيرهم؟ ونسائل: فيمَ المراءاة؟ وفيم يوزن بوزنين، ويكال بكيلين؟ وبِمَ يُرَدّ على ما نقول؟

عَواقب مكيدة وَضلال

٢٧ تشرين الأول ١٩٤٨

سينقضي زمان مديد ولا يُنتسى الدور الذي قام به شرقي الأردن طيلةَ القضيّة الفلسطينيّة. وليس رائدُنا ههنا، أن نعدّد الأمور باطلاً، ولا في ما نحن نكتبه، أن نزيد العواقب سوءًا، أنّى كان موقف الملك عبدالله، وأنّى يكون. ولكن من الطبيعي أن نستمدّ منه أمثولة للعرب.

وغنيّ عن البيان أنه لم يكن من الممكن منذ سبعة أشهر أو ثمانية، وعلى أي حال قبل ١٥ أيّار (تاريخ جلاء الإنكليز)، أن تُترك فلسطين بلا حكومة، بينما كان اليهود، منذ أمد بعيد، قد جهَّزوا حكومة متجانسة، متماسكة يقابلها من الجانب العربي، فراغ، ما برح قائمًا إلى أيامنا هذه، حتى حكومة غزة. والوضع ما زال غامضًا حتى الآن، والفساد متماديًا، وشرقي الأردن هو السبب.

فلو أنّه كانت لفلسطين حكومة عند أواسط أيّار، لتضاءلت نكبة اللاجئين، واجتُنبت صروف أُخَر، وهذا أقلّ ما يُقال. إلاّ أنّهم أبوا حينئذ أن يُقيموا على فلسطين حكومةً تحكمها، فأفجعوها إذ جعلوها بلدًا محتَلاًّ، بديل أن يجعلوها بلدًا يذود عن نفسه. إنّها لمسؤوليّة مرهقة سيسجّلها التاريخ. وتقاسمت دول الجامعة العربيّة ما بينها إدارة فلسطين، فباتت وكأنّها عمليًّا لم تكن. إنّما هذي أمور ينبغي حقًّا أن يتذكّروها في عمّان.

لقد تمّ هذا كلّه لأن النيّات لم تكن صافية. والذين زعموا أنّهم يبتغون لفلسطين الخلاص، كانوا يطمعون ببعضها على الأقلّ.

فالمغبّة نصب أعيننا والقلب ينقبض حقًّا لها. وقديمًا تحدّثوا عن «سوريا الكبرى» فهل كان صنعها يكلّف مقدار هذا الثمن؟ ونرى خليقًا حقًّا أن يُهاب بجميع العرب، ليتوفّروا على تذكّر ما مضى.

ما بمثل هذي الأساليب تُحلّ المصاعب التي تعارضنا الآن...

هذا العام الجديد

٤ كانون الثاني ١٩٤٩

تحت راية «الهدنة الموهومة» يطلُّ هذا العام الجَديد. هي هدنة لا تنطوي على حسن نيّة، ولا تُرعى لها حرمة، هدنة سُخّرت لنيل امتيازات على الخصم عاتية، أو خفيّة. بذا تُحدّد آونة قد اشتد على الشرق الأدنى غموضها، وهو في أزمة مبرّحة، بَلْهَ على المسكونة قاطبةً.

وتحاول منظّمة الأمم أن تستر خلف الطلاء انحلالَ هيئة الأمم، بحيث يموّه أخطر الأحداث ويصغّر، ويتغافل عنه. ونقول على سبيل التمثيل: أن نكبة الصين الهائلة ليست في عين المتفائل غير حدث من الأحداث. أما سنة ١٩٤٩ فتطلّ علينا، في شرقنا الأدنى، وقد وَسَمَت هذا الشرق بأغرب الأحداث التي أثارتها الحياة الدوليّة في الغرب منذ قرون، وأغلقها على البيان: إنّما عنينا تركز دولة إسرائيل الهمجي، ودعم كبريات الأمم، على رؤوس الأشهاد، للعرقيّة اليهوديّة، وانصياع الأمم الصغرى لها، ـ وقد طما الغمر بها ـ، انصياعًا يثير القلق. ولسوف يكون لما يُصنع في هذا القبيل أثر بعيد ليس لغير الصين، ولسوف يكون تحسّسه أطوَل منها أمدًا. إذ اندمج بالشرق عاملُ بلبلة عالميُّ الأبعاد؛ وعلى مفصل الباب، ما بين آسيا وأفريقيا، تُضفي اليهوديّة العالميّة مزيدًا مطّردًا من شغبها، ومطامحها، ونفاياتها. فهذا أشأم ما كان يمكن أن يرمينا به الغرب، وقد لغمه عصيان عقلي دائم هو عصيان إسرائيل الوراثي، أما نحن، فإنّنا نُشفق مما حصل.

نُشفق على أنفسنا، نحن اللبنانيّين، أوّلاً، وعلى سائر العرب، ثمّ على اليهود أنفسهم والعالم. وأما السلام المخصاب الذي كانت الحياة السياسيّة المشتركة وحدها قمينةً بضمانته، فقد جعلوه محالاً، لأجلٍ لم يسمّ، وآثروا عليه بليّة لا تنتهي.

ولكن وراء هذي «الهدنة الموهومة» أمرًا نشتكيه في غرّة عام ١٩٤٩، ألا وهو تكاثُر الاعتداءات على الأمور الروحيّة، واضطهاد الإيمان في شطر كبير من العالم، فيزعزع الإنسانيّة من أساسها. ونتساءل أين يكون منتهى العنف المعمود الذي يُنزلونه بالمدافعين عن الشؤون الإلهيّة. لقد تعاظم التداخل في المجموع، وتعقّدت الأمور حتى لم يعد بوسعنا أن نعترف بأنّ للبشر، إن خُلّوا وشأنهم، قوّةً تنتشل الإنسانيّة من الهاوية. ليست الحرب على الأبواب، فلسوف تدوم الهدنة الموهومة زمنًا. ولربما استمرّت المحنة على هذه الحال زهاء سنتين أو ثلاث. أما بعد، فعندما يُعجز الحريّة أن تذود عن نفسها، ويُعجز العدالة، ولا يتبقّى غيرُ اللجوء إلى القوة، وإلى ما فوق وسائل البشر، عندها نقف جميعًا بين يدي اللّه.

خواطر في الدّولة اليهوديّة

٦ كانون الثاني ١٩٤٩

ما زال الدعم المعيّ، وغير المشروط، الذي به دعمت الولايات المتّحدة وروسيا دولة إسرائيل، وعليه من اللغز مسحة. فمنذ نهاية الحرب لم نرَ روسيا والولايات المتّحدة، تُجمِعان على أمر له شأنه، غير هذا الأمر. ويتبادر للذهن أن في المسألة مخدوعًا. إلاّ أنّه لا بدّ من أن نحسب حسابًا لتأثير اليهود في الولايات المتّحدة وروسيا، وما لإسرائيل من وسائل الضغط.

فيهوديٌّ هو أصل الماركسيّة، وصراع الطبقات؛ وثمّة أربعة ملايين يهودي قد اتّخذوا ولاية نيويورك لهم موطنًا. ولذا نرى قضيّة فلسطين تتطوّر على خلاف ما يقتضيه العرف السليم.

منذ ستة أشهر تسلّم اليهود ما تعلّلوا به من جنود وعتاد؛ والطيّارون الأميركيّون والأوروبيّون هم الذين يقذفون غزّة بالقنابل. إنّه لوجه مُدهش من وجوه التناقض الذي زجّ فيه الغرب نفسه.

ثم أن أصل المعونة التي تُمنحها إسرائيل هو شعور إنساني بالإحسان تجاه اليهود المضطهدين. فكان أن أسفر عن هذا التقتيل، وهذي الضغينة، وهذا الجنون في أن تُبذل كل قوّة، لتُعطَى لعرق مشرّد أرضٌ وتخوم، عرق مشرّد بطبيعته، وهو أشدّ شعوب الأرض استمساكًا بالعرقيّة، على كونه

نال، في جميع الأمصار، حقّ المواطن. ولكن لا بدّ من التساؤل، للمرّة الألف، كيف تُحلّ المعضلة، يوم يتمركز في دولة إسرائيل مليونا يهوديّ، أو ثلاثة، إن شئت. عندها يظلّ في العالم أيضًا خمسة عشر مليون يهودي، ويتفوّقُ الطابور اليهودي الخامس على كلّ ما عُرف من نوعه حيثما كان. وإذًا يشتدّ على البلدان العربيّة ضغط مرهق، يكتسي فنون الأشكال، فيستدعي السهو الدائم والذودَ عن النفس. أما عقباه، وعقباه أبدًا مفجعة، فبوسعنا أن نقدّرها من خلال ما نعلم، وما نرى. إلاّ أنّه يتهيّأ لنا أن دول الغرب الكبرى قد قطعت على نفسها بأن تعيش كفافَ يومها، وأضحت سياستها سياسة احتيال، ومن جعل الحيَل دأبه، كان انقياده للظلم أيسر.

وبذا تمسي خطيئة الشرق الأدنى، وقد مَناهُ الخلل، في عُنق الأمم. إذ إن جُلّ ما أدّته هيئة الأمم، وهي المنظمة العالميّة المعدّة لخدمة السلام، أنها، كلّما ألفتت إلى قضيّة فلسطين، عكّرت، بأخطر الفنون، صفوَ شعوب مسالمة، كانت تعيش غيرَ مستقرّة.

وحسبنا الآن أن ننتظر ريثما تنعقد اللجنة وتأتي عملاً، وفيها وُكِل إلى الولايات المتّحدة وفرنسا وتركيا أن يضعنَ حدًّا موقّتًا لبلايا الأرض المقدّسة. وليس من أدنى مستغربات هذا الزمان أن يُحتكم في حسم النزاع القائم بين العرب واليهود إلى الأميركيّين والفرنسيّين والأتراك، هذي المرّة لأن الهوى الدولي قد يفضي إلى كل عجيب.

فلربما رأينا الوجدانَ السياسيَّ يستفيق في الذين أوقعوا بنا في ما نحن عليه. ولو أنّ بارقًا من الحكمة لاح، وفاؤوا إليه، فأين هي القوّة التي يعالجون بها الحقّ وقد تُرك تعسّفًا، وهو على الرمَق الأخير.

ومهما يكن فلنثق، في هذه النكبة، بالذين تمسّكوا، رغم تنكّب الأمم، بتقاليدهم، فظلّوا أشدّ تحسّسًا لمصير الأراضي المقدّسة. إذ بهم يستطيع الغرب أن يثبت بعد، أنه لم يَمُت.

على هامش مناقشة جرت بمجلس العموم

٢٨ كانون الثاني ١٩٤٩

يبتغي الإنكليز، على مختلف أحزابهم، أن يستقرّ اليهود في فلسطين. ولكنهم لا يبتغون منهم توسّعًا يفوق الحد.

يبتغون أن يكونوا واليهود على تفاهم، وألاّ يسوء الأمر ما بينهم وبين العرب.

فهم منذ ثلاثين عامًا يبذلون المساعي لإسكانهم، ويتوخّون أن يكون العرب راضين.

مواقف شتى يعسر فيها الثبات، أو قل إنّه يستحيل. وتعليلات كبوات ومواقف متعدّدة غامضة.

لا يريد الإنكليز أن يُقيم اليهود في غزّة، ولا في العقبة، غير أنّهم لا يرون ضَيرًا في أن يخلعوا الجليل عليهم، إذا اقتضى الأمر. ولا ترى حكومة جلالته في كل تدبيرها الأردني غيرَ وجودها الفعّال، بوجه من الوجوه، في ديار الناس. ومردّ الأمر كلّه الآن، في اعتبار انكلترا، أن لا يُلحق الوجود اليهودي في الشرق الأدنى ضرًّا خطيرًا بالوجود الإنكليزي فيه.

مئة مرّة نوّهنا بما يجول في بالنا عن دور انكلترا الأساسي في العالم. ولا نرى لِم لا نردّد قائلين: إنما الإنكليز سياج حضارة، وما برحوا، على ما مُنوا به من عديد الرزايا، أساسًا لنظام عالمي، وتوازن كافٍ في المعمور. اللغة

التي بها ينطقون بات يدركها النصف من سكان البسيطة، والأنظمة التي يمارسون تخوّلهم حقوق السلطان والعظمة. وأكيد أن أرومتهم أرومة متعالية الجانب، ولهم من صلابة الروح والطبع شيء وفير. وهم، في الأمبراطوريّات الجبّارة المستحدثة، عنصر رئيسٌ من أمبراطوريّة الغرب القديمة التي صاغت شكل الحضارة الأوروبيّة وما تحدّر منها.

هؤلاء هم الإنكليز، ولا ريب، (أو هذا هو الذي صنعوه). وليس في وسع العالم العربي أن يتجاهل (ولا في وسع أوروبا) بأنّه يتعرّض للاستعباد أو للضياع إذا مُنيَت انكلترا بمزيد من الوهَن. هذه زبدة قول وموضوعيّة وصدق. وهذا قول حق لا جَمْجمَة فيه. وإن شئنا الظهور بمظهر الأنانية (إذ يُرغَب عن رحابة الصدر، مهما بلغت، إلى الاعتصام بضرب من الأنانيّة المقدّسة) وجب الإقرار بأن الإنكليز قلّما يحفلون بالوسائل التي يستخدمون، عندما يستخدمونها لأغراضهم، فيتصدّون لمحق الحقوق.

لقد وجّه السيّد تشرشل إلى السيّد بيڤن قولاً قارصًا يلومه فيه على «أنه زجّ إنكلترا في سوء تفاهم مع الولايات المتّحدة وروسيا، ومع جوالي اليهود المستعمرة في فلسطين، وأصدقائهن في المعمور». وأنّه، فوق ذلك لم يأت ما يرضى به العرب.

فنحن نرى، على كل ما يستحق السيّد تشرشل من إعجاب واحترام، أن المحافظين لو كانوا في الحكم لتمادوا في هوى إسرائيل فوق ما تمادى «العمّال».

إنّما إسرائيل قوّة تُوقع أعظم العظماء في ارتباك. وخلصاء «المستعمرين الفلسطينيّين»، على حدّ تعبير السيّد تشرشل الملطّف، تبلغ عدّتهم في العالم خمسة عشر مليون يهودي، من جميع الجنسيّات. ونستغرب كيف لم يعجب السيّد تشرشل هنيهة أن يرى الشعب المختار يستبسل في دعمه السيّد ترومن والسيّد ستالين، معًا.

لا ريب في أنّهم سيتحدثون عن أراضي الجنوب من فلسطين، وشرقيها، والشمال، حينما يتمركز مليونا يهودي في دولة إسرائيل.

لن ينقضي زمان طويل، حتى تضحي انكلترا، في الشرق الأدنى، هدفًا لضغط متزايد من قبل روسيا، والولايات المتّحدة، (معًا أو مُداولةً). وذلك عن طريق إسرائيل. وسيؤاتي الريح السيّد ويَزْمن والسيّد بن غوريون والسيّد شرتوك إذ يستخدمون هذي الصداقة المزدوجة المتناقضة لنيل أسبقيّات جديدة على حساب انكلترا.

وفيما تحسب انكلترا بأنّها، في هذي القضيّة الخطيرة، تدافع عن توازنها «الامبراطوري»، فإنّها جعلت توازن بلدان عديدة صديقة لها قيدَ الريب، فالزوال. فلنترجّ لها الخلاص، على ألاّ تكون علّةً لبَوارنا.

إن الجار الهائل الذي زفّته إنكلترا إلى البلدان العربيّة، وزفّته إلى نفسها معهنَّ، على العتبة الغربيّة من آسيا، لكفيل وحده بتحريك الثورة والحرب.

«من الأغراض المعيَّنة التي تستهدفها السياسة الإنكليزيّة في المشرق، هي المحافظة على الأمن والاستقرار في هذي المنطقة من العالم، ولن تحيد البتة عن هذا الهدف».

وهاك الواقع يُظهر أنّه لا يكفي «أن يُراد»، بل ينبغي «أن يُستطاع».

مَواعِظ الأحَد

٦ آذار ١٩٤٩

لقد أوصى مجلس الأمن، في شبه إجماع، بأن يقبل انتساب إسرائيل إلى منظمة الأمم المتّحدة، قبل أن يعيّن مصير القدس والناصرة، وأن يعرض، مثلاً، لإيطاليا واسبانيا. فليبرّح الانتظار ببلدَي «دانتي» وشارل الخامس. أما إسرائيل فلا تطيق انتظارًا. وما إن يُتصدّى لإسرائيل، حتى نرى الأمم وقد أخذتها غيرة محمومة.

أمّا اللاجئون العرب فقلّما يُحفل بهم أيضًا. وأكثر ما يرونه في أمرهم هو المال، مال، تعود الأمم فتُعطيه عارةً لإسرائيل. فعجيب حقًّا أن يدّعي أسياد الرّبا في الكون بأن يسوّوا، أخيرًا، قضية اللاجئين العرب المفجعة بمال مُعار.

إنّما تبدو حكومات العالم الرئيسيّة أشدّ اهتمامًا بخدمة إسرائيل منها بخدمة العدالة. أيكون غيرُ هذا، وقد تمثّلت في قلب الحكومات، والمجالس البرلمانية. وكيف يراود الخاطر أن اليهود في الولايات المتّحدة وإنكلترا وفرنسا قد يتّخذون قرارًا ضد إسرائيل بصدور مثلجة؟ لقد أضحى بين وضع اليهود في العالم، ووضع الشيوعيّة، شبَه غريب. وقريبًا يتساءلون، أينما كان، إن لم يكن اليهود لدولة إسرائيل (ومطامع إسرائيل) كالشيوعيّين للاتّحاد السوفياتي. زد أن فيه خطرًا من أوجس المخاطر المحيقة بالدولة اليهوديّة العرقيّة الجديدة. فلطالما سطرت يراعتُنا أن العالم سينظر وشيكًا

إليها بعين المرتاب غير أنّه ينبغي أن نعتبر بأن لهذا الشعب فطنةً بلغت مواردها من الدقّة حدّ العبقريّة، ولو أن للسياسة اليهوديّة، على الصعيد النفسي، نقائص.

ومع هذا فلا بدّ من أداء الاحترام لافتنان السيّد شرتوك وصحبه، إذ إنّهم ناوروا فتفوّقوا، في قلب الجماعة اليهوديّة التي بدت شامخة الثبات والتنظيم، على كونها دوليّة. أما نحن، فلطالما جهدنا مميّزين بين حقوق إسرائيل المشروعة وبين سياسة إسرائيل (قصدنا بإسرائيل ههنا اليهود، و لم نقصد الدولة المتلقفة التي خلقوها). وبدا لنا، على الدوام، أن مستقبلهم في الشرق، وحيثما كان، يقوم على غير صنع دولة دينية عرقية هي من أشدّ الدول انقفالاً، وتزمّتًا، و«مراعاة للطقوس» على هذا الكوكب، ويختلط فيها القانون المدني بالقانون الديني اختلاطًا يكاد لا ينفصم.

وفيمَ لا نُلفت ههنا إلى مغزى الموعظة على الجبل: «علمتم أنّه قيل: أحب قريبك وابغض عدوّك... وعلمتم أنّه قيل: عين بعين، وسنّ بسنّ... أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم، وصلّوا لمضطهديكم...». ما برحت شريعة موسى، لدى جيراننا الإسرائيليّين، على حالها. وما انفكت، كما في عهد موسى، متزمّتة صعبة المراس. بديهي أننا لا نجادل بشأن الشريعة، على الصعيد الديني، بل من حيث هي عامل سياسي واجتماعي.

ومهما يكن فإسرائيل، والكونُ عم عنها، صاعدة بخط مستقيم. فعسى أن لا يتسوّغ بغدَوات المغامرة، ما أَوجسنا منه وما ندمنا عليه، لصالح الإنسانيّة بما فيها اليهود أنفسهم.

مُستقبل إسرائيل

٢٥ آذار ١٩٤٩

قرن جديد بدأ بمولد إسرائيل السياسي.

ولسوف يكون لهذا الحدث في التاريخ من الأهميّة ما يُربي على تكوين أوروبا الغربيّة، وتوقيع الحلف الأطلسي. إنّها دولة عالميّة أبصرت النور، لم يكن يعوزها غير الرأس والسيادة الوطنيّة.

فإسرائيل أضحت ذات سيادة، أي إن ستة عشر مليون يهودي نُثِروا في المعمور، على تفاوت في الحال، يلقونَ، فجأة، لارتباطهم محطًّا. وغدًا يتمتّع ربابنة الأعمال والبورصة بجواز سفر وحقيبة ديبلوماسيّة. ستة عشر مليون يهودي يُضحون عن جديد شعب التوراة المستمسك بمدَّعاه من أنّه «الشعب المختار»، المدفوع بمطامحه، الراغب في أن يسوس البسيطة قاطبةً.

نقولها عالمين بأنّا في قولنا نكرّم إسرائيل. فنحن نولي الفضل ذويه. وليس في الكلمة التي جعلناها بين يدي القارئ سخطٌ أو نقمة، ولكنّها خطرات متتابعة في الحقيقة واليقين. ليس من يُنكر على اليهود ما لهم من ذكاء ودقّة. فإن لهم على العلوم طوقًا معروفًا. حتى السلاح الذرّي ليس عنهم بغريب. حَذقوا فنَّ الاثراء، فبلغوا أعلى درجاته. وتجلّى تعاضدهم في جميع العواصم، حتى لا يطيقوا العيش خارج العواصم. ترفّعوا عن الوظائف المرؤوسة، فاجتاحوا المهن الحرّة، والسياسة، واندفعوا إلى الطليعة. وإذا أصابت المناطقُ الزراعيّة بفلسطين تقدّمًا على أيديهم، فما عنايتهم بها إلاّ لحين، لأن الزراعة، وإن أوسعوها، علمًا ومرانًا، ليست دأبهم. ولا من دأب إسرائيل إنتاج الحبوب والشمندر فهي رائد أشدّ الخلق تخلّفًا وسذاجة. إنّما جُعلت إسرائيل للسلطان، ولمداولة المال وشاراته، ثم جعلته للثورة التي بها يُستتبّ الملك لها. نقول الثورة إذ بالثورة، بل بأكثر من واحدة، تدمَّر حضارة وترى إسرائيل النصرَ معقودًا لها.

أيُعوزنا الإلفات بعد إلى أنّنا، ههنا، من إسرائيل هذي الفريدة الغريبة، في أمتّ الجوار. على تخومنا نمَت نموّ زهرة مَسيخة. وعلى قاب قوسين منا، سوف يزدهرُ حقل اختبارها، في الظل أو في مسطع الشمس.

فإن نحن حاولنا التبصّر عن قوم لا يبصرون، وأقضّنا الآتي، فإن لنا على ذلك كلَّ ما في الأرض من بواعث.

فلنتتبّع أثرَ هذي الغارة التاريخيّة بحرص لا يعرف الكلل، ولنعملْ جاهدين حتى لا يطموَ الغمر بنا.

أشكال السياسة الخارجيّة في إسرائيل

٦ آب ١٩٤٩

لا تريد إسرائيل أن يتسلّح جيرانها، وهي مدجّجة بالسلاح.

وتحتجّ إسرائيل على الوسيط رالف بونش إذ خوّل العرب في ما أوصى، أن يشروا السلاح، بموجب الحق العام، وهو حق علّقته بشأنهم هيئة الأمم منذ عام أو ينيف.

فيرغب الغرب، من جهة، في أن تشتدَّ شوكة الأقطار العربيّة عسكريًّا، تفاديًا لمخاطر حرب عالميّة، ويكيدُ اليهود، من جهة أخرى، كما تظل هذي الأقطار مهيضةَ الجانب، خشاة أن تقوم لمحاربة إسرائيل.

ففي هذه النقطة الدقيقة الساطعة الأهميّة، ينجلي التناقض ما بين مصالح العالم الغربي ومصالح إسرائيل. وكلّما اكتست إسرائيل وجه العامل المناضل في الحياة الدوليّة، ستنجلي، ولا مراء، متناقضات عديدة أخر، هذا أصل منشإها. وبعد تسليم ساذج طال أمده، ستتساءل أميركا: ايَّ مسخ سياسي حملت في دفء أحشائها.

أما الآن، فأمن العالم يقضي بأن تنعم البلدانُ العربيّة بقوّة كافية، ليكون ذودُها عن نفسها فعّالاً. ويقضي أمن إسرائيل (في ما ترى حكومة تل أبيب) بأن تظلّ البلدان العربيّة خلوًا من السلاح. فلا بدّ أن تنجم عن هذا النزاع المزمن مصاعب لا تُحصى.

ويقينًا أن أقصى مقاصد إسرائيل السياسيّة تجاوز الغرب وروسيا. إذ إن العالم اليهودي يخدم القوّتين العالميّتين، في وقت واحد، ليُدرك أهدافه، أو هو يقف منهما موقف المتقلّب في تحالفه.

وشبيه تجاوز إسرائيل لحدّ الحلف الأطلسي والكمنفورم على صعيد السياسة اليهوديّة، بخروج لـ «نيتشه» «إلى ما وراء الخير والشر».

هذا ما لا يريد الغرب أن يراه حتى الآن. وهذا ما تراه بوضوح روسيا المرنة. وليس ما يوضح دعم أميركا وروسيا معًا لإسرائيل، من بادئ الأمر، إلاّ موقف إسرائيل النغيل. وكان سرور إسرائيل واحدًا إذ تمركزت في المعسكرين.

واذًا، فهاك اليهود يناورون حتى لا يتسلّح العرب. وكيف يُدرك اليهود الفرات يومًا إذا ما اشتدّت عليهم وطأة العرب؟ وعليه انبغى أن نستنتج، على الحدّ الأدق، أن مصلحة إسرائيل تقضي بأن تداوم على إحياء عوامل الضعف الداخلي في الحيّز العربيّ وأعمال الخلل السياسي والاجتماعي. فضلاً عن الوهن العسكري، إذ يتسلّح القوم خُلقيًّا وسياسيًّا كما يتسلّحون عسكريًّا.

لسنا على يقين من أن الحكومات العربيّة تدرك ذلك، ونودّ لو كنا مخطئين في زعمنا. وحكومتنا هي أولى الحكومات التي نتمنى أن نراها متيقّظة؛ وبالقدر نفسه، ولا شك، حكومة دمشق، وقد لاح أنّها، على الصعيد العسكري، شديدة الحذر.

فنحن، الساعين إلى العيش في ألفة المنطق والأحداث نُدرك جيدًا أن البلدان العربيّة لا يسعها أن تستسلم جزافًا لسياسة نفوذ باطلة، وأن تدّعي التسلّح ادعاءَ دولة كبيرة. إن في ذلك ما يشقّ منها الإهاب. وبالرغم من ذلك، فإنّنا نرى أنّه لا ندحةَ عن امتلاك حدّ من القوّة أدنى، يكفيها لدرء التطاول عنها.

وغنّي عن البيان أن قوّة الأمم لا تتأتى مما في حوزتها من آلات الحرب فحسب، وإنّما نلقاها أيضًا، وفوق ذلك، في ما تنتهج من سياسة ومحالفات.

من له أذنان ناصتتان، فليسمع: فكما أن إسرائيل لا تريدنا مسلّحين، فإسرائيل تريدنا وقد عرانا الوهن في كل شيء. أي أن ترانا وقد أعوزنا الحلفاء، وساء تدبير ساستنا.

فلو لم يكن الأمر وقفًا إلاّ على إسرائيل، لما مشت البلدان العربيّة جمعاء إلاّ على أرض ملغومة.

لم يبقَ ثمّةَ أرض مُقدّسَة

٦ كانون الأول ١٩٤٩

ها قد أضحى النظام الدولي المبدئي المتعلّق بالقدس عرضةً لخطر شديد.

وأوجسوا الاّ يُظفَر بأكثريّة الثلثين في الأمم المتّحدة، كما هو متعيّن شرعًا، فكانت هولندا وأسوج في طليعة من سلّم بتدويل الأماكن المقدّسة عينها، أي بجعل الوجود الدولي في الأرض المقدّسة معدومًا أو يكاد.

فقديمًا كانوا يتحدّثون عن أرض مقدّسة، أما الآن فهم لا يتحدثون إلاّ عن أماكن مقدّسة. والأماكن المقدّسة نفسها تتضاءل يومًا فيومًا، بعد أن صَدَف عنها حُماتُها الطبيعيّون وتلهّت بقضمها إسرائيل.

«لا صهيونيّة بلا صهيون»، هذا ما يزداد اتّضاحًا كلّما توضّح الحق المبين. والضغط اليهودي على الحكومات لا يلين حينًا إلاّ ليعود فيستمسك.

وعجيب أن يقتضي خلاص القدس ثلثي الأمم، وألاّ يقتضي الصدوف عنها هذي الأكثريّة المهيبة. جهاز غريب يسيّر شريعة الأمم، وفي حيّز يُرتهن فيه الإيمان أوّلاً وآخرًا. هذا هو التناقض السائد، فإذا «الغرب» ومعظم البلدان العربيّة مجتمعةً تعجز عن انتشال أورشليم من بليّتها. وثمّ أصوات لا تبالي تُحبط مساعي فرنسا وانكلترا، بل مساعي الولايات المتّحدة، وشطر صالح من أميركا اللاتينيّة. ولا بدعَ أن يكون الاتّحاد السوفياتي، ومن لفّ

لفّه في الجانب الآخر، فلو أنّه وَكَدَ أن يمحق أعزّ رمز ديني في الكون محقًا كليًّا، لما تغيّر مسعاه. فمنذ البدء وقف الاتحاد السوفياتي إلى جانب إسرائيل جامح الهوى، متهالكًا، وكأنّه أتى ذلك إحياءً لذكرى كارل ماركس، ونفرٍ سواه.

بالقوّة يجب أن يكون خلاص القدس. وكلّما كانت القوّة بجانب إسرائيل خرّوا أمامها للحال. وما عسى تصنع البلدان العديدة التي ارتهن أمرها بمصير القدس؟ وفي أي نسيان هوَت المدينة المقدّسة، ما دام بوسع صوت ملحد واحد، أو وثنيّ واحد، في الأمم، أن يقرّر مصيرها؟

ها نحن نرى هولندا وأسوج، البلدين المسيحيّين، تتراجعان سراعًا، وتقترحان تسوية سقيمة، بديل أن تشمّرا عن ساق الحرب. مع أن الواحدة تحمل مع الكونت برنادوت ذكره الدامي، وطيفه المَوتور، وتقلّ الأخرى وراءها قرونًا من اقتحام البحار، والاستبسال، تنشد في المستعمرات غلالها، وقرونًا أيضًا سلختها في الإيمان.

لقد اتّسع انهزام الأمم كاتساع المكيدة التي ظفرت بهنّ. وعرا القوى الخلُقيّة سقام لا يخطر ببال، يستوي مَرْأى حزينًا في العالم.

أضف أن السلام نفسه معرّض للخطر، فإن تولّت الأمم المتّحدة حُكمَ أورشليم، غدت لها سياجًا. أمّا مَن حكم بضعة مبانٍ فكمن آوى نفسه في ملجإ أو كاد.

فالمسيحيّة ترضى، والإسلام يرضى، بأن يعاملا في أرض المقدس معاملةَ المشرَّدين؛ إن في ذلك ما يُثير الإشفاق حقًا.

مَصير القُدس

٢١ نيسان ١٩٥٠

لَم يعُد الاتّحاد السوفياتي راضيًا عن تدويل القدس. فأعجب به من تحوّل!

إنَّ ألاعيب السياسة والحظّ لا تعرف حدًّا، ولكنّه يؤسفنا أن نشاهد السياسة تتلاعب بمسألة منوطة بالشعور الديني، أوّلاً، وبضمير المؤمنين.

وأنّى تُسلَّم القدس، هذه المدينة المثلثة التقديس وقد شطرت شطرين، أنّى تسلّم والأحوال على ما هي للطامحين إلى الاستيلاء، كل من جهته، على المدينة بكاملها.

التدويل لا يرضي العرب ولا اليهود، هذا ما تقوله موسكو. ولكنّه يرضي المسيحيّة والإسلام، فهل أصبح هذا القول إلى هذا الحدّ غريبًا عن الأرثوذكسيّة؟ الواقع أن الأمر يطرح من هذه الزاوية، وموضوع النزاع إنّما هو حريّةُ أسمى مكانٍ للحجّ في المعمور وسلامته.

يبتغي اليهود الاستئثار بالمدينة دون سواهم. والأردن، الذي لا يهدف إلاّ إلى التوسع، يودّ الاستئثار بها أيضًا، دون سواه. وإنّما التقسيم في نظر إسرائيل والأردن، حلٌّ تريّث وحسب. ولكن الأمم، دَهماء الأمم، وجماعة المؤمنين، لا تطيق تغافلاً عن مصير القدس.

ففي تدويل المدينة إرضاء لأربعين دولة، بديل إرضاء دولتين من أصغر الدول. هذا ما لا يشاء الاتحاد السوفياتي أن يراه بعد. ولا شك أن اتّجاه سياسته قد تبدّل. ويتلهى الاتحاد السوفياتي فيرمي إلى مناوأة فئة، واسترضاء أخرى، تبعًا لسياق الأحداث.

ومهما يكن فإن موضوع الرِّهان هي القدس، شامخٌ من شواهق المعمور، وعاصمة ولدت فيها الحضارة التي يحيا بها قسم عظيم من الإنسانيّة. أيتحفّز الغرب؟ أيُقدم؟ أم تراه يتنازل؟

قد يكون الاتّحاد السوفياتي عدّل موقفه كيلا يكون بجانب المغلوبين. وإن صحّ أن هذي حاله، ففي الوضع ما يثير القلق الخطير. وعندها ينبغي أن نعتبر أن إسرائيل قد ساندها حماتها المألوفون، فضمنت لنفسها مخرجَ الخلاص. ولكن يجب ألاّ نقنط. أما إذا ما تحوّلت الأمم التي تؤيّد التدويل عن مقاصدها، فلا يعود بدّ من التسليم بأن الرُّوح الغربي قد انهار، وبأنّ الغرب قد عراه الفساد، وعرا الشرق معه أيضًا.

جارُ السّوء

٢٩ تموز ١٩٥٠

تتكثّر التعدّيات الإسرائيليّة، وهي وليدة وضع ذهني، قد يُسفر عن أسوأ العواقب.

تريد إسرائيل أن تهوّل على جيرانها. وتستزيد إسرائيل في تسلّحها، حتى أضحت الأرض الإسرائيليّة معسكرًا رحيبًا منعزلاً. وأكيدٌ أن هذا لا ينبئ بالخير.

فلا غرو إن فاقتْ مخاوفُنا من إسرائيل في لبنان مخاوفَنا من كوريا. إنّما الإسرائيليّون يهاجمون السوريّين يومًا، والمصريّين يومًا. لقد لذّ لهم طعم الحرب، ولذّت أرض قديمة هي أرض الاسباط الاثني عشر، التي بها يطمعون، تقدّم لهم طُعمًا. لا نقول إنّهم غدًا يطلقون المدفع، ولكن إطلاقَ المدفع في ما يبيّتون.

منذ سنوات، ونحن نظهر إسرائيل على حقيقتها. منذ سنوات، ونحن نشتكي الخطر الوسيع الذي يتداح على تخومنا. فإن نحن لم نحترز، ولم تكن ردّتنا المبتغاة، حُملنا من جراء إسرائيل، على ارتقاب المفاجآت المستكرهة.

فمن زاوية مصالحها وحسب، أي من زاوية مصالحها اليهوديّة البحت، تنظر إسرائيل إلى الوضع الدولي. ولا ضير في عين إسرائيل، إن بار الكون

برمته، وخرجت مملكة داود منتصرة. هذا، في ما ترى إسرائيل، اعتبار وراثي عندها لكل سياسة، وإنه لاعتبار رهيب.

وأولو الخير الذين حسبوا أن إسرائيل تستطيع بذا أن تمثّل دولة أمن ونظام، قد تبدّدت أوهامهم. فثمَّ خميرة حقد ونزاع في خدمة مطامح لا تُحَدّ، وثمَّ مشاريع قائمة قد تهدّد السلام العالمي، وتهدمه، إلى أمد جدّ مديد.

ومهما يكن، فليس من لا يسلّم أن سبيلنا، نحن اللبنانيين، هو التسلّح والوقوف على حذر، مهما ملنا إلى المسالمة، وتضاءلنا مساحةً وعددًا، فقد تتجدّد الغارة المشؤومة التي شُنّت البارحة على الطائرة المدنيّة، فأوقعت بالضحايا. وقد نُرى محمولين على الذَّود عن نفسنا.

هذا هو الآن وضع بلدان الجامعة العربيّة أجمع. أوراء هذي العقبى، جدَّت الولايات المتّحدة جدَّها في الشرق الأوسط؟

كوريا وفلسطين

٢٧ كانون الأول ١٩٥٠

ها قد انقضت ستة أشهر وتزيد على مهاجمة كوريا.

والدواعي التي حدت الأمم المتّحدة على إرسال جيوش إلى ذلك الصقع، ما برحت كلّها قائمة.

لولا الولايات المتّحدة لما يمّم كوريا أحد، لا ريب في ذلك. ولكن لم يعد مفرّ لهيئة الأمم من تلبية الواجب، بعد أن تورّطت الولايات المتّحدة.

فلا الخطوبُ بدّلت أمرًا من جوهر الأشياء، ولا النكبات. ولو لم يعقب العداء على كوريا الشماليّة تدخّل من قبل الأمم المتّحدة، لحلّت بالمنظمة الدوليّة بليّة خُلقيّة عظمى، والولايات المتّحدة معها، ولسفح الغرب بأسره ماء وجهه، في آسيا والعالم.

وعندها انقلبت الأمم المتّحدة إلى كوريا، ودارت عليهن فيها الدوائر، غبّ انتصارات لم تَدُر في بال. وها قد انسحبنَ إلى جنوبي خط العرض الثامن والثلاثين، ريثما تُدبَّر الأمور. إنما ناضلنَ في سبيل الحق، وإن لم يبلغنَ به الظفر. بيّن هو الأمر، إلاّ أنه لا بدّ من العودة عليه، كلّما عنَّت السانحة... وفيهن تصدق حقًّا، كما تصدق في الأفراد، أبرّ قواعد الأخلاق وأعمّها: «إفعل ما ينبغي، وليكن ما يكون».

لئن كان موقف الأمم المتّحدة في كوريا عرضةً للجدل نظرًا لضعفها المادي بإزاء الصين، فلا سبيل إلى الجدل في أمر خللها الخلقي. أما في حرب فلسطين فقد كان الأمر على نقيض ذلك بالتمام: إذ كانت القوّة في حوزتهنّ، وما أتينَ شيئًا من أجل الحق.

على عتبة العام الجديد تنام في حضن اللجان أخطر القضايا الفلسطينيّة. وتعالج الأماكن المقدّسة كأنها ممتلكاتٌ لا وريثَ لها. لقد كان من الممكن أن يدور الكلام على إفلاس الأمم المتّحدة في فلسطين، أما بشأن كوريا فلا سبيل إليه. وإذا شئنا الإنصاف، نوّهنا بهذي الملاحظة المُرّة قائلين: كانت المصلحة والحق، في كوريا، من جانب واحد. أما في فلسطين، فقد لعبت المصلحة ضد الحق. لم يعد بدّ من قول هذي الأمور، ما دام قول الحقيقة لا بدّ منه.

فمغزاه، أن الغلبة لم تكن للحق على القوّة، وهيهات! لقد أعرب رئيس الولايات المتّحدة في تمنياته للعام الطالع بأن يكون عام عدل وسلام. أفلا يقع على عاتق الولايات المتّحدة أن تخدم العدالة على وجه أفضل، في أقدس منازل العدالة؟

لسوف تُفرض الموازنة ما بين فلسطين وكوريا نفسها على تفكير البشر أمدًا طويلاً. وهي خليقة حقًا أن تدخل في التاريخ، لأنها تكرّس، وا أسفا، مبدأ الحق للقوّة.

ويسيرٌ أن نُشيد بمبادئ الحق عندما نتكلّم على كوريا ولكن ما عسى يُقال في فلسطين؟ ما عسى يُقال في هذا الغياب، والصدود، وهذا الختل، وهذا السكوت، إذ نُجمع من جهة، على ان خلاص البشر رهنُ القوى الروحيّة. ومن جهة أخرى، نربط هذي القوى الروحيّة بأتفه الاعتبارات الماديّة. يفنى الكوريّون بالألوف، ليستردّ الحق امتيازاته، ويلقى لاجئو فلسطين حتفهم، لأن أرض الوطن دونهم موصدة. فما تُرانا نصنع بالمبادئ، وما ترانا نصنع بالعدالة؟

ونختم القول بفقرة نستمدّها من أروع فقرات الرسالة التي وجّهها قداسة بيوس الثاني عشر، بمناسبة الميلاد. جاء في كلام قداسته: «نقول ذلك إذ نرى جبهة الخَلَص من أصدقاء السلم، وقد داخلهم ريبٌ حيال المخاطر المتفاقمة، وتضاءل منهم الحزم. ولما كان صالحُ الأمم جمعاء على قلبنا غاليًا، رأينا أن اتّحاد جميع الشعوب التي تُقرّر مصير نفسها اتّحادًا وثيقًا، وترابطها بعواطف الثقة المتبادلة والعون المشترك، هو السبيل الوحيد لصيانة السلام، أو هو أفضل ضمانة لاستتبابه».

هذا هو الحق، ولا ريب. شريطة أن تقوم كبار الشعوب «المقرّرة لمصير نفسها» فتستخدم سلطانَها استخدامًا يتضاءل فيه التعسّف، ويزداد المعنى الإنساني.

١٩٥١ - ١٩٥٤

النكبة زاحفة

على مزله أذناز سلام

١٧ آذار ١٩٥١

يتحدّث السيّد «ج. ميرون»، مدير القسم الاقتصادي في وزارة خارجيّة إسرائيل، عن «الخلل الاقتصادي» بالشرق الأوسط، في مقال أصدرته مؤخّرًا (في عدد شهر شباط) الجمعيّة البلجيكيّة للدراسات والتوسّع، بعنوان «السياسة ضد الاقتصاد»، وبه يحاول أن يقنع جيران إسرائيل بضرورة إحلال الاقتصاد في المركز الأوّل. فنردّ على السيّد ميرون بأنه هو أيضًا، كالسيّد جوسيه، يحترف الصياغة وله في الأمر مصلحة...

إنما نحن ندرك أهميّة الاقتصاد، ولا ريب، ولكننا نجعل الروحي أيضًا في مصفّه، ونضع السياسي الذي به يكون الاستقلال وضدّه، تلو الروحي.

ثمّ يجهد السيّد ميرون مظهرًا، أن مقاطعة البلدان المجاورة لإسرائيل، لم تلحق إلاّ بهذي البلدان أذيّة، أمّا إسرائيل فاستغلّت الظرف لتستعين بغيرهنّ لتتموّن المنتجات الزراعيّة. لربما صحّ ما يقول. أما نحن فنقدّر قدر المصاعب الهائلة التي تلقاها إسرائيل في توفير المؤونة.

فجيران إسرائيل لا يحاولون البتّة تجويع إسرائيل في ما يهدفون إليه. إلاّ أن دفقًا من الهجرة، تشجّعه الدولة ولا يني يزداد، حتى تتعرّض جميع التدابير الاقتصاديّة للبطلان وإنما بغيتهم انتشال القدس والأماكن المقدّسة

من وضع مؤلم هي فيه، وإنصاف الفلسطينيّين غير اليهود، ممن أزعجوا عن منازلهم، وحُتّم عليهم أن يعيشوا أمرَّ العيش مُبعدين.

إلا أن الذي دفعنا إلى التعليق الوجيز في هذا الصباح على مقال السيّد ميرون لأمرٌ غير هذا. فقد أورد، ما قبل الختام، فقرةً جاء فيها ما يلي: «إن المشاريع الرامية إلى تحسين أوضاع الريّ على حدود دولة إسرائيل وسوريا وشرقي الأردن، وتنفيذ التصاميم الكهربائيّة التي عليها جميعًا تشرف الدول الكبرى وتدعمها، ويُستهدف بها إفادة إسرائيل وجيرانها معًا، فإنما قضي عليها بالتوقّف، رغمًا عن عروض ملحّة، عرضتها دولة إسرائيل، من أجل التعاون الفعّال».

أما نرى حقًّا نهرنا، الليطاني، يتراءى في الأفق؟ فهذا المَسيل، وهذا «النهر الصغير» لا يُضاعف هواجسنا إلاّ بداعي مشاريع إسرائيل ومطامعها. وهذا «التعاون الفعّال، تسديه إسرائيل»، إنما يبدو من أشدّ المخاطر علينا. فإن ضاعَ الليطاني من يدنا، أو تقسّم، أفنلقى في الأردن، بفضل مروءة إسرائيل، أعواضًا له وكفوءًا؟

انما فاقتُنا إلى الريّ والطاقة الكهربائيّة مقدار فاقة إسرائيل، فحق لنا إن نحن خشينا «تنفيذ التصاميم الكهربائيّة التي عليها جميعًا تشرف الدولة الكبرى (وكلنا يعلم أيها) وتدعمها والتي يُستهدف منها إفادة إسرائيل وجيرانها».

لقد بدا لنا مهمًّا أن نضمّ هذي الشهادة الإسرائيليّة المرموقة إلى ملفّ محاذيرنا الحقّ. فنحن في لبنان، نميل إلى الاستخفاف بهذي الشؤون الخطيرة، ولطالما تخلّينا أو كدنا، عن حقوق مقدّسة لنا، بما يقلّ عن صحن عدس. ولا يجوز أن نتخلّى الآن، مقابل مبلغ زهيد، مقداره ٦٦,٠٠٠ دولار، أسبغت علينا، تساخيًا لدراسات الليطاني الأوّليّة.

فلا يغبْ عن كلّ لبناني أن البنك الدولي، لسنتين خلتا، قد أبي علينا قرضًا ضئيلاً مبلغه خمسة أو ستة ملايين دولار (للتجهيز الزراعي)، بينما كان يستجيز راضيًا أن يمنح إسرائيل عشرين ضعفًا.

وما نحن عن قوانين الاقتصاد بغرباء. ونحسب أنّا، كالسيّد ميرون، ندرك ما للجوار الصالح والتبادل من أسبقيات. ولكن لا ندحةَ عن تناول النقاش من فوق. وأيًّا كانت حيويّة القضايا الاقتصاديّة، فلا بدّ لها من أن تكون مرتهنة بنطاق الروح السامي، وبصيانة الأرض، والحريّة.

الصّلح الذي تسعى إليه إسرائيل

١٤ آب ١٩٥٠

أنّى نتصوّر مع إسرائيل صلحًا، وللأمّة اليهوديّة استعداداتها الحاضرة: فازدياد في السّكان لا يحدّ، واستغلال السانحة الملائمة لتوسيع رقعة الأرض؟ هذي هي، بالواقع، مرامي إسرائيل المنظورة.

وباطلاً تحاول حكومة تل أبيب أن تتنصّل من أن هذي الأمور بغيتها، فكل تصاميمها تتّجه نحو العداء، وكل أعمالها تفضي إليه. وآيته ازدياد هائل في سكان إسرائيل، ازدياد تسارعَ وتضخّم بحيث يحدث في الاقتصاد زَيغًا، ويضيف إلى التهديد الدولي والسياسي، تهديدًا اجتماعيًا.

مذ ولدت دولة إسرائيل، برز للعيان حدثان اثنان كلاهما يثير القلق. إن الوطن القومي المزعوم لا، ولن يكون إلا مدخلاً لجسر، ومعسكرًا منعزلاً، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى، فإن اليهود في المعمور، قد عملوا على تشجيع هذه الغزوة العنيفة بنزوة عسوف عرفناها لهم، فأعلنوا بها ضمنًا حرب الغد. وهكذا يستخدمون نفوذهم في العواصم الكبرى، والصلح غايتهم. ثم هم، بخلافه، يعملون على تهيئة الحرب. إنما التناقض هو أصل هذي المأساة. والمكفوف وحده لا يرى.

وإذا ما استمرّ فساد الأمم المتّحدة، سيظهر شبح الموت، فوق حائط المبكى، وفوق صهيون، عاجلاً أم آجلاً. فليؤخذ بما نقول، فما في قولنا كلام منمّق ولا رومنطيقيّة.

سيجيء يوم يُداخل الغربَ فيه ندم مُرّ لتشاغله عمّا يُتَجَنّى، وهو في تغافل عنه آثم. أو يرتفع بنيان إسرائيل كأنه ويل على أبواب الشرق، يحمل بين جنبيه توعّدات رهيبة. هي أيّام قاتمة تستجمع للآتي القريب والبعيد. وليس من يُجازف اليوم فينكر أن صدى المأساة اليهوديّة سيمتدّ إلى البسيطة قاطبةً.

وقد يبين لهم أن الدعاوة الشعريّة التي تلتفح بها إسرائيل لهي أخطر الأوهام. فثمّ جماعة إنسانيّة كبيرة تصارع الوهم، وشعب، ولا ريب كبير، لما فيه من تسام في الحجى، وسلطان في الإرادات، خطأهُ أنَّ جُنّتَهُ نحتَتْ به عكسَ متّجه العصر؛ فانبرى يحيي سياسيًّا أشد العرقيّات تزمّتًا وجشعًا، في حين أن الطبيعة تقاومها.

قد نرى مسوّغًا لاعتماد لهجة الأنبياء كلما قُصدت إسرائيل. غير أننا نتحاشى الانزلاق في الرؤى، بعد هذا التبصّر الطويل. وإنه لمن قبَيل التبصّر أيضًا أن نحاول فنُظهر لليهود أن إسرافهم في اللطائف نفسه يضلّلهم، وأن ما يذودون عنه بهذا المقدار من الحقد والهوى، قد يكون أصل بلاء.

وفيما نحن نتأمّل تطور إسرائيل، نفرك أعيننا متسائلين: أحلمًا نرى؟ إنما انبعاث سلطة الكنيس الزمنيّة لتحملُ أعقلَ الناس على التفكّر بنهاية العالم.

مطارحات

١٢ أيلول ١٩٥١

أيمكن الوصول إلى مصالحة مع إسرائيل إذا ما تفكّرنا في المستقبل؟ أتنسينا شدائدُ الحاضر، لمحةً، شدائد الغد؟

ولو أن قضيّة اللاجئين العرب الخطرة صادفت حلاً، فما عسى نصنع بالمسألة الجلّى، مسألة الهجرة اليهوديّة إلى إسرائيل؟

ما جدوى الكلام على المصالحة اليوم، إن لم يكن مفرّ من ازدياد سكان إسرائيل، على نحو ما نرى، هجرة يتنكّب عنها العقل، وتغدو على البلدان المجاورة خطرًا دائمًا، وعبئًا على تُخومها لا يُطاق؟

وفيما نقول الآن إن المصالحة تفتح أبواب النصر لإسرائيل أما ينبغي أن نُلفت إلى أن الهدنة مع إسرائيل هي التي وفّرت النصر لها؟

وغنيّ عن البيان أن إسرائيل تعتبر حدودَها الحالية موقتةً، وأنها لا ترقب غير السانحة لتبعُدَ بها، على مراحل، حتى تبلغَ المدى الذي به تتحقق أحلامُ الشعب المختار.

كلّما ازددنا في الأمر تفكّرًا بانَ لنا أن قضية إسرائيل لا تتجزّأ، فكلُّ تلهُّج بالمهادنة لا يمكن أن يعني غير تمهيد السبيل لنكبة آتية. وكلّ صيغة للتهدئة اليوم، إنما تكتسي معنى من الختل والوهم: «قم عني لأقوم عليك»، هذا ما تُتيح إسرائيل مجالاً لافتراضه.

أما الوضع، فهذا هو تعليله الأوحد البريء من السذاجة والسخف.

لقد ترامى إلينا أن في إسرائيل خرائط تباع أو تُتداول، تُظهر ما يبيَّت من تطاول على الأراضي اللبنانيّة والسوريّة والأردنيّة.

ففي مراد إسرائيل أن تستعيد رقعةً كانت في حوزة الأسباط الاثني عشر؛ وفيه ما يُنذر بالعداء والحرب، في أمد وجيز، بل في الأمد الأوجز.

ما وَكدنا أن نُثبّط عزيمة أحد. وبملء الخاطر نقول مع راسين: «ليس النهار بأصفى من قرارة قلبي». غير أنّا لا نودّ أن نرى أنفسنا، من جديد، في الشرك ساقطين. لسنا نُخفي ما نتمنّى، من أن نرى قضيّة اللاجئين المؤسفة القاسية قد تصفّت، ونحسب أن حسمها يجب ألاّ يستلزم مضاعفة الخلَل في ما تبقّى.

وإذا كانت البلدان المتاخمة لإسرائيل قد دعيت إلى باريس لتناقش دفع فاتورة، فالأجدر أن يقال لنا ذاك للحال، عندها تكون لنا مرارة جديدة تلَت مرارات.

إن ما يرغب فيه جيران إسرائيل ويسعون إليه، هو حلّ عدل وأمن معًا. وإذًا يكون الدور الجماعي الذي تقوم به بعض الأمم الكبرى والصغرى، في هذي الكرة، دورًا مُبينًا. فلا سبيل إلى أمل بالمصالحة ولا بالسلام، ما لم تتدخّل هذه الأمم تدخّلاً فعّالاً، بل نهائيًا.

ها قد شرعوا يدركون حقًّا أن الحكم على مصر سخف وجنون، ما لم يستبقه الحكم على إسرائيل بضعفيه أو ثلاثة أضعافه.

أحاديث حول خطاب السيّد ايلي پالمر

١٥ أيلول ١٩٥١

إنما الخطاب الافتتاحي الذي ألقاه رئيس لجنة المصالحة لفلسطين في مؤتمر باريس عمل خليق بالتقدير. فهو يشفّ عن نيّات صافية، وقصد حسن إلى حدّ بعيد. غير أنّ النفاذ إلى صميمه يُظهر ما فيه من شديد الاضطراب.

فإن معظم القضايا قد عرضت فيه أو لمست، غير مسألة قلَّ بها احتفاله، وهي أهمّ المسائل، عنينا قضيّة الأمن في المستقبل، والهجرة العادية إلى إسرائيل، فإنه لم يُلمع إليها في مكان.

موزونة هي خطبته، مُحكمة العيار. أمّا إذا أنعمنا فيها النظر لاح، في ما يُستشفّ، أنه لا يلقي على إسرائيل غير تعويضات ماليّة (أقل التعويضات ولا ريب)، بيد أنه يوصي للبلدان العربيّة بانصياع واسع النطاق.

فطويلاً ما وزن زملاء السيّد ايلي پالمر هذا النثر الملطّف الذي اجتمعت فيه الطلاوة اللاتينيّة إلى المرونة التركيّة. «فما آنس الألفاظ التي تقال بها هذي الأمور»! لو انه كان أميركيًّا، لخفف، بطبيعته، من تلطيف فكره.

ولو صُفّي بالراووق هذا البيان الذي لا تفخيم فيه، لجاء الجوهر المستشف ضئيلاً. انه ليوجز في لفظتين: ما الذي يتوجّب على إسرائيل نحوكم، أنتم العرب، لتسلّموا بالأمر الواقع على حاله؟ ولسنا نرى أن الوجه الإنساني من القضيّة قد اتّخذ، في هذا كله، بعين الاعتبار.

فمؤداه أن اللاجئين قد اطّرحوا في حضن العرب، بشكل وحشيّ؛ وهذا ما يتكرّم الخطاب الافتتاحي فيعلّله بالجملة التالية: «يتوقّف حلّ قضيّة اللاجئين على تحقيق برنامج النموّ الاقتصادي في البلدان العربيّة». أمفهوم هذا الذي يقال؟

ومهما كان للجنة المصالحة من العطف، فلربما فتَّ في شعورها احتكاكها اليومي بالنكبة.

وإذًا فكل شيء، بالنسبة إلى اللاجئين، مرهون بنموّ البرنامج الاقتصادي، (وقد يكون يهوديًّا أميركيًّا) وليس مرهونًا بالعدالة فقط.

إنما الغاية القصوى، في كلّ شيء، هي «تمهيد السبيل لسلم يدوم في بلد تعتبره الأديان العالميّة الكبرى الثلاثة أرضًا مقدّسة». حسن جدًّا هو هذا! ولكن أما ينبغي والحالة هذه، أن نشرع بتدويل القدس؟

ثمّ، أما ينبغي، بادئ بدء، ان تركز العلاقات الاقتصاديّة التي تصبو إليها إسرائيل في نطاق الشؤون الماديّة، والاّ يهدد الاقتصاديُّ السياسيّ بالدمار؟

ثم جاء في الخطبة: «لن يكون تقدّم إيجابي نحو حلّ مشاكلكم، ما لم يُعلن جميع الفرقاء، في مستهلّ مفاوضاتنا الحاليّة، عزمَهم على احترام حقّ الغير بالأمن، وعلى الإمساك عن كلّ هجوم، وكلّ عمل عدائيّ، أو حرب سجال، وعلى تيسير العودة إلى السلم الدائم في فلسطين». جميل جدًّا هو هذا، غير أنّه وهميّ وخياليّ أيضًا.

فما عسى تصنع لجنة المصالحة بسياسة إسرائيل الداخليّة المتفجّرة؟ وما عساها تصنع بالنار الملتهمة، وقد نقول المحتومة، التي تفضي إليها هجرةٌ لا تُحدّ؟

إنما قضيّة إسرائيل سياسيّة قبل أن تكون اقتصاديّة. سياسيّة عشرة أضعاف ما هي اقتصاديّة. وتكاد تكون لجنة المصالحة، على هذا الصعيد، صفرًا (من كلّ ذريعة) تسيطر عليها مؤثّرات، ظاهرة أو خفيّة، من المرتبة الأولى. وأعمالها، مهما كرمت، فهذه المؤثّرات بالذات هي عورتها.

أصل المأساة الفلسطينيّة وهدفها روحيان، سياسيان، والحلّ الاقتصادي الخالص عاجز عن دفع البليّة. فما ثمّة أمل يُرتجى غير وجود الدول الكبرى والصغرى، وإرادتها الجماعيّة، الرامية معًا إلى الأمن والعدالة.

ذكرى الكونت برنادوت

٧ شباط ١٩٥٢

إنما الأسوجيّون أمراء صالحون.

فشهادةً منهم على الصفح عن مصرع الكونت برنادوت قد انضمّوا إلى ممثّلي إسرائيل ليغرسوا (فسائل) السرو الأولى في «غابة برنادوت» التي ستنبت في المنحدرات الصخريّة من تلال يهوذا.

وفي الرقعة التذكاريّة الموجّهة إلى الكونتس برنادوت، ما يُعرب عن رغبة دولة إسرائيل في تكريم «الأسوجي الكبير الذي وقف نفسه على خدمة الإنسانيّة، خلال حقبة من تاريخ العالم مظلمة، وترأس الصليب الأحمر الأسوجي، وساعد على إنقاذ عديد اليهود من سجناء النازيّة من الهلاك، وناضل مستبسلاً في العام الأخير من سنيه ليُعيد السلام إلى أرض المقدس، ثم قضى وهو على طريق الواجب».

لا ريب في أن النص مؤثّر. ولكن كيف لا نذكر أن الذي اتّخذ من ميتة الكونت برنادوت مدعاةً للمفاخرة، بالرغم من كونه نجّى من مخالب الفناء مقدارًا من اليهود، إنما هي منظمة يهوديّة؟ وكيف لا نعجب لهذا التكريم، وإسرائيل لا ترى، في أمر إعادة السلم إلى الأرض المقدّسة، رأي الكونت برنادوت نفسه، الذي قضى على طريق الواجب؟

وفيما يراودنا أن قاتلي الكونت برنادوت لم يَلقوا عقابًا قط، يتّضح مقدار ما في هذي الشهادة من سخريّة كؤود. فلكان أحرى أن تغرس الغابة، لتخليد اسم الضحيّة البريئة، في أسوج لا في إسرائيل. أمّا في إسرائيل فلا بدّ أن تنتفض روحه بوجه مظهر فريسيٍّ خلو من الندم.

ثلاثة أيّام مضت على موت الكونت برنادوت، فاكتنفت مؤامرة الصمت اسمه. وقليل الزمان يكفي ليلقي على الأجرام نسيانًا. والآن تذكر إسرائيل أنها مدينة للكونت برنادوت بمهادنة الأسابيع الأربعة، وبها انتهى الطور الأوّل من حرب فلسطين؛ وبها كان، بالفعل، خلاص إسرائيل.

إن أنباءً كمثل هذي الذكرى لتثير أكثر مما تُعزّي. وربَّ معتقد بأنه لو أتيح للكونت برنادوت خروج من القبر، وهو يحمل الآراء نفسها بشأن فلسطين، والتصميم نفسه، لصُرع مرّة ثانية. جاء في المثل «قتله ثمّ مشى في جنازته».

ويقينًا أن تكريمنا لذكرى الكونت برنادوت لأصفى من تكريم إسرائيل.

في صلصلة السلاح

٢١ آب ١٩٥٢

أزمعتْ حكومة إسرائيل على تمديد الخدمة العسكريّة الإجباريّة ستة أشهر.

فعلى الشبان المراوحة بين ١٨ و٢٦ أعمارهم، أن يقوموا بالخدمة مدة ٣٠ شهرًا، بديل أربعة وعشرين، وعلى هذا الغرار مَن تبقّى. ويجوز تجنيد الأطباء الذين ما بين ٣٠ و٣٤ لمدة سنتين. أما من كان منهم بين ٣٥ و٣٨ فعليه بخدمة سنة واحدة. ولا ريب بأن أركان الجيوش في البلدان العربيّة قد أحيطوا علمًا بذلك.

أمّا الحكومة الإسرائيليّة فتسوّغ هذي الزيادة في مدّة الخدمة العسكريّة بتدنّي الهجرة إلى إسرائيل موقتًا، وبعدد المتجندين الجدد، على الأثر، ثمّ عدد سكان إسرائيل الذي لا يناهز المليونين، وخصومُها كثُر.

وكذا ترتفع الحُمّى، ويزداد التسلّح فيبلغ أقصاه. ونلفت إلى أن النساء في إسرائيل هنّ أيضًا مجنّدات بشتّى الأساليب. وعلى الزند سلاح يخفر الجسور والأعمال الفنيّة، ريثما تتجدّد مأثرة يهوديت ونشيد ديبورا.

ثم إن المناورات الحديثة جازت في إسرائيل شأوًا حتى اكتست شكلاً يماثل الحرب الحقيقة. بيد أن الوضع الاقتصادي يُرثى له، وهو في ذاك على

ازدياد. فجميع الدولارات الآيلة إلى إسرائيل إنما هي آيلة إلى حرب آتية.

ترى الولايات المتّحدة أن هذا حسن، كما رأى اللّه عندما خلق العالم. وعليه فالولايات المتّحدة تمهّد لوقوع المأساة بديل أن تمهّد للصلح. وإذًا فلنعلنها جهارًا، ولنطالب باسم الشرق الأدنى، كما فعل الكولونيل وليم ادي، صاحب الافتتاحيّات في مجلة «لايف» الأسبوعيّة الأميركيّة الكبرى، بعددها الصادر ١٤ تموز، بتبدلٍ جذريّ في سياسة الولايات المتّحدة بالشرق الأدنى.

لن يغيب عنّا أن الشيوعيّة، منذ كارل ماركس، ليست غريبة عن إسرائيل، وأن الجماعيّة تمارس منذ أمد في هذا البلد، على نطاق واسع، وأن الاتّحاد السوفياتي سند أمين للدولة اليهوديّة، وأن فيه مليوني يهودي على الأقل. فلا بدّ أن يحمل هذا الأمر أشدّ الناس تشكّكًا، وتصلّبًا، على التفكّر.

هذا ما يحدونا على القول تكرارًا: إن سياسة إسرائيل الخاصّة تجاوز سياسة الشرق والغرب، وهي أبعد من سياسة الغرب، وأبعد من سياسة الشرق. «فللشعب المختار سياسة خصّت به، حدود العالم حدودها. إنها لسياسة مبنية على «الأنانيّة المقدّسة»، وما لها غاية تنشدها، كيفما تعاقبت الغِيَرُ على الشرق والغرب، إلاّ عظمة «الشعب المختار».

منذ أيّام قلائل دار في البرلمان الإسرائيلي (كنست) جدلٌ حول القانون الأساسي «للمنظمة الصهيونيّة العالميّة». وكان بين الحكومة والمعارضة خلاف في تحديد هذي المنظمة. ففي اعتبار الحكومة أنها «وكالة مرخّص بها» من قبل الشعب اليهودي. بينا أرادتها المعارضة «منظمةً تمثّل الشعب اليهودي بأسره». فكأن تقول: القبعة بيضاء، أو بيضاء هي القبعة. كلا. وإنما هي ظاهرة أخرى في طبع إسرائيل الدولي وفوق الدولي، بل العالمي.

إنما الدولة العرقيّة المتلقّفة التي شادتها على تخومنا الجنوبيّة الولايات

المتّحدة في ما صنعت، وانكلترا في ما تخلّفت عن صنعه، تلوح، يومًا فوق يوم، وكأنها أشدّ آلات الحرب هولاً في المعمور. يقولون: لقد أضحى الأمر حلقةً مفرغة. ولكن كيف لا يتغون أن يتسلّح العالم العربي أيضًا، وألا تنتهي المغامرة الجنونيّة إلى ليل من القنابل، وإلى مجزرة؟ وحسبنا أن نستمع إلى الزعيم الشيشكلي، واللواء نجيب، لندرك ماهيّة الجوّ الذي نعيش فيه.

حتَّام يا تُرى يسير تعامي الغرب؟ ومتى يجري الكلام جديًّا على تدويل القدس؟

خلوة مُستبكرة

٢٨ تشرين الثاني ١٩٥٢

يدعون في الأمم المتّحدة إلى محادثات ما بين العرب وإسرائيل مباشرة. تدبير خطر هو هذا التدبير، فلربما كانت له أسبقيات ظاهرة، غير أنه جمّ المخاطر. وقد عظمت مخاطرهُ حتى بات اجتنابها أَولى.

فلشدّ ما يفوتهم مصير الأماكن المقدّسة، ويفوتهم أنها قضية دوليّة.

ليس في وسع العرب واليهود أن يدَّعوا بأنهم قادرون، وحدهم، على حلّ مشكلة الأماكن المقدّسة؛ وليس في وسعهم أن يدعوا بأنهم قادرون وحدهم على التصدّي لقرار الأمم المتّحدة بالتدويل. فالمسيحيّة كافةً، والإسلام خاصّةً، معنيّان بها، بحيث لا نلقى في القضايا الدوليّة قضيّةً أخطر منها. فهم يبتغون تفادي المشقّة، فيرتدّون إليها كما يُرتدّ إلى الحقيقة.

وهذي هي العقبة الكبرى التي تحول دون الصلح ما بين العرب وإسرائيل. أمّا تدويل القدس، فمن شأنه أن ييسّر كلّ أمر؛ وعلى أربعين من الأمم، على الأقل، أن تجعلنَ منه شاغلهنّ. أما أن يخلّى العرب والاسرائيليّون يتباحثون، على حدة، بأمرٍ مثل هذا، ففي ذلك غفلة من شأنها أن تفرط عقد المباحثة.

وثمّ ضمانة الحدود التي تفترض الوجود الدولي.

باطلةٌ هي جميع ضمانات إسرائيل، وباطلٌ كلّ تأكيد يصدر عنها وحدها، وكلّ قسم. فسياق التقدّم الذي سلكته إسرائيل يدلّ على أن ساعة التوسّع، أو الانفجار، لا مَحيص عنها. ولو فرضنا أن العرب اليوم يرضون بالتوقيع، فلن تنقضي خمس سنوات أو عشر حتى يتحدَّث إليهم عن مدى حيويّ؛ فمن الجنون أن نهيِّئ بأيدينا اغتصابات الغد بصلح اليوم.

ستبقى معضلة فائض السكان بإسرائيل ما بقيت دولة إسرائيل. ستة عشر مليونًا عُدَّةُ اليهود في العالم. وما تنقضي عشر سنوات، أو خمس عشرة، حتى يبلغوا عشرين مليونًا أو خمسة وعشرين. ولو جُعلت دولة إسرائيل لاستقدام ربعهم ليس غير، لانفجرت. فكيف والهجرة الأبديّة مسوّغ وجودها.

ومحتمَل أن يجري تفاهم حول اللاجئين العرب. ولكنّ هؤلاء اللاجئين تحرّكهم روح العودة فينتفث السمُّ من جرائه في كلّ محادثة. ناهيك أن إسرائيل لا تريد الاستماع إلى شيء من هذا، ما خلا نوافل تتنازل عنها، بالقول، لا بالحقيقة. وتتضاءل التعويضات، في ناظرها، حتى تغدو التعويضات أمرًا موهومًا. ولو أنهم تعرّضوا للتعويضات المستوجبة على المانيا، لكان ثمّة للكلام مجال.

ليس في العالم موضوع نزاع، يُحلّ بلا وسيط، أعسر من هذا الموضوع. وإذًا فلنواجه الأمور. لقد صنعت الأمم المتّحدة دولة إسرائيل، فعلى عاتقها يقع واجب عظيم. وليس لها أن تتنصّل منه.

الشركُ الإسرائيليّ

٢ كانون الأول ١٩٥٢

ان اقتراح مباحثات مباشرة ما بين العرب والإسرائيليّين، ابتداءً من لا شيء، ليفترض وجود بعض القحة في مقترحه (أو هو يفترض صفاء طويّة، وهذا ما يعسر التسليم بوجوده لديه). إلاّ أن السيّد أوبري أيبان، ممثل إسرائيل في هيئة الأمم، يرى الظروف ملائمة لمثل هذي المباحثات؛ وقد نوّه بالأمر أمام اللجنة السياسيّة في هيئة الأمم.

منذ أيّام عدّة، وقفنا بوجه هذا التدبير، ولاح لنا أن ملاحظاتنا لاقت صدًى بين اللبنانيّين. و لم ينحصر التجاوب في لبنان، وإنما ظهرت الدهشة الآن في كلّ صوب وظهر تنكّر البلدان العربيّة له.

ثم إن الأمم المتّحدة قد اتّخذت بشأن إسرائيل مقرّرات، وإسرائيل تأبى أن تُقيم وزنًا لهذي المقرّرات التي تفرض في المناقشات وجودًا دوليًّا. فما عسى نتداول ما بيننا، نحن والاسرائيليين، ما دامت قضايا خطيرة بمقدار ما هي قضيّة تدويل القدس وضمانة الحدود دوليًّا، وما دامت قضيّة الحدّ من الهجرة اليهوديّة إلى إسرائيل، كلُّها بمعزل عن هذا الجدل؟

يعتبر السيّد أوبري أيبان وحكومته أن هذا الأمر ثانوي، أو لغوٌ، أو أنه بلا طائل. بيدَ أن الصلح بين العرب وإسرائيل، وعلاقات العرب الاقتصاديّة باسرائيل، والحدّ من تسليح العرب وإسرائيل جميعًا، تقع في رأس وساوسهم. ونحن نسلّم، استنادًا إلى ما ترامى إلينا، من أن للسيّد أوبري

ذكاءً وقادًا. ونودّ أن نسلّم بنيّته الحسنة. ولكن، من تراه خال محادثيه في الأمم المتّحدة، من تراه يحسبهم؟

انما الصلح مع إسرائيل، ضمن الشروط التي يقترحها السيّد أيبان، يعني تشجيعًا معمودًا لاغتصابات إسرائيل الآتية. الصلح الذي يبتغيه أيبان إنما به يسعى إلى إعداد الحرب. إن صلحًا كهذا لأنكر من الهدنة الغريبة التي نعيش في كنفها.

فلربما كان للعلاقات الاقتصاديّة مع إسرائيل مغزًى مباشر، ألا وهو انفراج إسرائيل؛ أو هي المحاولات المختلفة ليتمكّن جيراننا في الجنوب من وضع يدهم على اقتصادنا الخاص، وعلى مصادر طاقتنا.

أمّا الحدّ من التسلّح، بمعزل عن وجود دولي، وعن ضمانة دوليّة، فيترك إسرائيل صاحبة السيادة في استيراد أرهب الأسلحة من بعيد، وفي الحين المناسب.

ونحن نرى، أن المحادثات المباشرة مع إسرائيل أمر يتنكّب عنه العقل، ما دام الوضع على ما هو. وأكيدٌ أنه ينبغي التعهّد أوّلاً، باحترام المقرّرات السابقة التي اتّخذتها هيئة الأمم. ولسنا أقلّ تأكّدًا من أنه يتعيّن على الأمم المتّحدة أن تضع ممهّدات لهذا الصلح الذي قد يحاول العرب معهنّ بلوغه.

ليس لقضيّة ما لهذه من الصِّفة الدوليّة. هذا هو الحق المبين. ألِى هذا الحدّ يستصغر السيّد أوبري أيبان وحكومته حصافة العرب، فيدعوانهم إلى الانتحار، على نحو ما يفعلون؟

وأيًّا كانت المفاوضة مع إسرائيل، فما لها نقطة انطلاق غير وجود دوليّ بالقدس، وضمانة دوليّة وتعاقديّة للحدود.

فإذا ما شرعوا من ههنا، بات التقارب من الجوار الصالح ممكنًا، ومثله ارتقاب عيش يحتمل، بشريطة أن تُحلّ مشكلة اللاجئين المفجعة.

لن ترتضي بلدان الجامعة العربيّة غير هذا، إنها لن تقترف هذا الجنون.

حول المفاوضات مع إسرائيل

١٠ كانون الأول ١٩٥٢

انما دعائم السلم مع إسرائيل هي، إلى تصفية إنسانيّة لقضيّة اللاجئين، تدويل القدس، وضمانة للحدود؛ وفي ما خلا ذلك، فليس من مخرج معقول.

نعتبر وجود إسرائيل أمرًا واقعًا، وليس في النيّة أن يُطرح الإسرائيليّون في البحر. منذ أمد بعيد ونحن نقول: إنما مسألة إسرائيل مسألة دولة، قبل أن تكون مسألة وجود.

إن دولةً يهوديّة رائدها التوسّع في كلّ عقد من السنين أو عقدين، ويعيش جيرانها في هذا الهاجس الدائم، لدولة لا تُطاق.

وشرّ البليّة أن الدولة اليهوديّة خلقت لتكون دائمة التوسّع. وفي خلد مبدعيها انها لجميع يهود العالم وطن أمّ، وأن غاية وجودها غاية مسكونيّة. والمقصود دولة عالميّة يتفاوت منها ظهور وخفاء.

فإن قضيّة «براغ» الرهيبة شاهد على ما لليهود من تأثير سياسيّ. ونحن لا نزعم أنها كانت قضيّة حق، وانما نذهب إلى أنها تُظهر ما لاسرائيل من نشاط عارم في الأمصار جمعاء، يبرز فيها هنا وثمَّ. وإذ نقول ههنا اسرائيل، فإننا لم نقصد الدولة بل الأمّة قصدنا، إذ رأينا اليهود، هذا العام، في براغ، وفي بودابست، على عهد بلاكون، وفي عديد البلدان، يحاولون الاستيلاء على السلطة، أو هم يستولون عليها، يُخفقون تارة، أو يُفلحون.

ولا يسع امرأً أن يكون سيّدًا في تل أبيب وأن يكون، في الوقت نفسه، سيّدًا في براغ، وبودابست، تفاديًا للقول، وفي لندن أيضًا وفي واشنطن.

فدعوة اليهود إلى تولّي السياسة تعادل دعوتهم إلى تولّي المال. إنها في بعض التفوّقات والأوهان تفوّق. وبغية اليهود أجمع أن يكونوا «لدسرايلّي» أصناء (على كون ديسرايلّي اغتسل بالمعموديّة) أو لتروتسكي أو ليون بلوم. أمّا وقد وُجدت دولة إسرائيل، فلم يعد الارتياح إلى مثل هذا يسيرًا.

إن كلّ ما في الأمر، بالنسبة إلى البلدان العربيّة، ألاّ تستبقهنّ الأحداث. فإذا ما سقطنَ في الشرك الذي نُصب لهنّ، أدركهنَّ ذلك، ولا ريب. إنما ينبغي ألاّ ينظر في أيّ تفاوض مع إسرائيل ما لم تستوف الشروط التمهيديّة التي نوّهنا بها، ولن يذوق العرب طعم الراحة ما لم يكن في الأماكن المقدّسة وجود دوليّ، ثم ضمانة تعاقديّة دوليّة للحدود.

وبديهيّ، فوق ذلك، أن يثير تدويل القدس اهتمام النصف من البشريّة.

فعلى ممثلي إسرائيل بالأمم المتّحدة، ممن تلقّوا إيحاءات جديدة بشأن المحادثة المباشرة مع العرب، أن يرتدّوا عن هذا الالتباس. إنما يعنينا ما يبيّتون أكثر مما تعنينا أفكارهم. وتُقلقنا مطامع إسرائيل الآتية، بقدر ما تقلقنا مطامعها الحاضرة.

فالخروج من هذه المخاطر التي تكتنفنا يقتضينا جبالاً من المثابرة والحكمة.

شكايات السيّد موسى شاريت

٢١ كانون الأول ١٩٥٢

يُقلق إسرائيل أن ترى الأقطار العربيّة تستزيد تسلّحًا، على كونها هي مدجّجة بالسلاح.

ويُنحي السيّد موسى شاريت باللائمة على الولايات المتّحدة وعلى انكلترا، وتُسمع له ملامات قاسية. ونعجب ممن كان على جانب من الفطنة والدقّة نظيره، أن يعتبر أنه لا محيص لاسرائيل، بمفردها، عن أن تعادل قوّتها أبدًا قوةَ البلدان العربيّة مجتمعةً. فإن تعذّر على إسرائيل بقاء إلاّ بهذا الثمن، انبغى أن يُقطع الرجاء من مستقبل إسرائيل.

مليونا رجل على الأكثر يجابهون ثلاثين مليونًا أو أربعين: هذا هو وضع السكان ما بين إسرائيل والعرب؛ وثمَّ شاسعات من الأرض تبلغ من جانب مئة ضعف ما تبلغه من الجانب الآخر.

أعلى القوّة وحدها تعتمد إسرائيل لتدع العرب في خيبتهم حتى نهاية الدهر؟ لئن كانت السلم تبتغي، فبغير هذه الوسائل تحظى به.

ويترتّب على السيّد بن غوريون، الذي أعاد تشكيل حكومته وسط فلول الأحزاب السياسيّة، والذي راوده البقاء في الحكم حتى نهاية مدّته

الشرعيّة لعام ١٩٥٥، أن يعود ووزير خارجيّته إلى الرويّة. فكلّما سارعا إلى التفكير بالحدّ من مطامحها نهائيًّا، وعلى رؤوس الأشهاد، كان استتباب السلم أسرع.

غير أن البلدان العربيّة لن تأتلي تتسلّح، ولن يُؤلى جهدٌ في تسليحها. وسيؤلف التفكير بأن مصالح الموقف الغربي برمّته تتقدّم على مصالح إسرائيل، وأن إقحام العرب إقحامًا معقولاً في حلول يائسة، أمر لا يُستطاع.

فمغامرة إسرائيل ما برحت بالرغم من جميع الأوهام والدعاوات أشدَّ مغامرات العالم تناقضًا. إذ لا يُزيل تناقض الأمر أنه بات مألوفًا. إنما يطمع السيّد بن غوريون والسيّد شاريت جاهدين في أن يجعلا القدس عاصمة لهما، ليُضيفا بالهجرة، ومن ثمَّ، على البلدان المجاورة. وهما، على ذلك، يريدان ألاّ يتسلّح العرب. ولا هما يخفيان رغبتهما في توسيع رقعة أرضهما عندما يستشعران أن لهما على الأمر طوقًا كافيًا، ويريدان، على ذلك، ألاّ يبدي جيرانهما حراكًا.

لن يبلغ هذه الحال إلاّ من أُصيب حقًّا بالعمى.

إن لإيقاف التسابق إلى السلاح، وتدارك السلم في المشرق، شرطين أساسيين لا بدّ منهما: أوّلهما تدويل القدس بوجود دولي فعليّ فيها، وثانيهما إحاطة الحدود العربيّة الإسرائيليّة بضمانة تعاقديّة دوليّة. وجليّ أن التصريح الثلاثي الموحّد المنحى والصادر عام ١٩٥٠، لا يفي بالمطلوب.

لا نرى ما خلاه مخرجًا، والأمر يفترض، فوق ذلك، حلاً إنسانيًّا لقضيّة اللاجئين المؤلمة، وإلاّ استمرّ التسلّح، وتعذّر الشفاء في حال الجنون القائمة.

صَرخَة القلب

١٦ كانون الثاني ١٩٥٢

منذُ أعلن بن غوريون أن القدس عاصمة إسرائيل، «على نحو ما هي واشنطن عاصمة الولايات المتّحدة»، وأن الهجرة سوف تزيد في سكان إسرائيل حتى يبلغ عددهم خمسة ملايين أو ستة، والشرق الأوسط يزداد امتعاضًا. وقد اشتد الامتعاض أيضًا في جميع البلدان التي لا تقف من فلسطين الشقية موقف اللامبالي: عنينا الكون بأسره، على التقريب.

فحتّام تحتمل الأمم المتحدة (أو قل المتفكّكة) هذا التحدّي للحقائق والعقل؟ ومتى تنفتح العيون على أجسَر الغارات عرقية، وأكثرها تناقضًا، وأشدّها هولاً، في هذا القرن؟

لا يتمّ نموّ إسرائيل، ولا يسعه أن يتمّ، إلاّ على حساب جيرانها، وإذا كانت إسرائيل تعتبر حدودها الحالية (التي تفصل مصر عن الأردن، وأفريقيا عن آسيا) نهائية، فذلك أمر نفقه مغزاه. منذ أعوام ونحن نلفت إلى أن إسرائيل تسعى إلى تحقيق حلمها بالأمبراطوريّة، مرحلةً، إثر مرحلة، وفيه الويل لإسرائيل، وجيران إسرائيل.

لقد شرع يتحقّق ما رأيناه آتيًا من أمدٍ بعيد، وطفقت النعرة المناوئة للسامية تتزايد في العالم. ويتساءل الناس في جميع الأمصار: فيمَ لا يفيء اليهود إلى ديارهم، إلى بلدهم المستقل الذي صنعوا، يصيبون فيه ازدهارًا، بديل أن ينهمكوا بحكم الغير؟ وينظر العرب بوجَل إلى هذا الوعيد الدائم، إلى هذا السيل المستمر من البشر، يأتي من جنَبات الأفق جمعاء.

من يصدّق لحظةً أنّ الأوضاع التي نحن فيها، هي قوام السلام؟ ومن يعزو إلى العرب سرعة التصديق والغفلة، بحيث يرتضون أن تُشنّ عليهم غارة اتخذَت حدودها المضمرة المستقبلة، أعالي ما بين النهرين، حتى كلدو القديمة؟

فلا يكفي أن يكون إبراهيم قد أتى من «أور» ليضحي هذا كله أمرًا ممكنًا. إنما اليهود، يعدّون لأنفسهم في الغرب وفي الشرق، عيشًا لا يُطاق، وفيهم قوم ذوو حجى يفقهون، وفيهم قوم حكماء بالأمر عالمون.

فلسنا ننكر شيئًا من فطنتهم، ولا من قوّة كدّهم. وليس من يُنصفهم أكثر منا. وما إن نتحقّق من هذا الجنون حتى نقول: ذكاء يضلّ، وجهد يفضي إلى الدمار. ولا يسعُ إسرائيل أن تنعزل جزافًا، في أقصى ما لا يستساغ ولا يتحوّل، ونحن في عصر جمعَت فيه أهلَ الوحدانيّة أواصر قربى عميقة. ولأنّ النكبة مصلتةٌ فوق إسرائيل، وفوق جيرانها، نحاول نحن أن ندرأ النكبة.

ولسنا نكتب ما نكتب لنقص في التفاؤل، ولكنّنا نكتب بمحض العقل، عقل يرتكز على الأحداث، على الخبرة، على سريان الدم، على أبين الملموس، على أكثر ما هو مادّي في الحياة.

أمّا على صعيد الدوام، فالذي تقوم به إسرائيل يُفضي إلى الحرب حتمًا، حربٍ يعجز الغرب أن يظلّ عنها بمعزل.

وأمّا على الصعيد الأوسع، على الصعيد الكوني، فلطالما أشرنا إلى أن إسرائيل تؤثر وقوع حرب عالمية، على وقوعها هي في البَوار.

فماذا عسى نصنع لندرأ النكبة؟ نقولها ونردّد حتى يملّ القارئ: «يجب أن تدوَّل القدس. وألاّ يكون تدويلها اسميًا، بل بوجود دوليّ فعليّ. ويجب أن يعطى جيران إسرائيل ضمانات دوليّة تعاقديّة لا تستطيع نقضها إرادة، أو مكيدة، أو اغتصاب.

إنما البيان الثلاثي الموحّد منحاه، والساري مفعوله، لا يفي بالغاية، على ما فيه من حماية، وينبغي ألاّ يظل اللاجئون، كما غدوا في مأساتهم، «ذريعة» لعمل خيريّ إنسانيّ، وأن تستعيد هذي الجمهرةُ الحية الموجعة، ديارها.

عهد السخط

١٢ شباط ١٩٥٢

لئن ظلّت الصهيونيّة، في ناظرنا، خطرًا جسيمًا وإحدى الضلالات الكبرى في العالم المعاصر، فما في وسعنا، كيفما دارت الحال، أن نرتضي أيَّ مسوّغ خلُقي أو سياسي من شأنه أن يبعث مقاومة السامية حيّة من جديد.

إنما الدين دينٌ وحسب. أي إنه قضيّة شخصيّة وفعل إيمان. فمن اضطهد امرأً من أجل إيمانه، خالف الحق الطبيعي، والحق الإنساني. وإذا كان الاتّحاد السوفياتي يضطهد اليهود اليوم لأنهم يهود، فإن فيه لمدعاة أخرى إلى النفور من النظام الشيوعي، وما يتمثّل فيه من قسر وضغائن. بيد أنه غريب أيضًا أن نجد، خلف الستار الحديدي، وما دونه، هذا المقدار من اليهود في السياسة والمجالس النيابيّة.

إنما نزوع اليهود إلى السياسة يفوق، إلى حدّ بعيد، نزوع الناس أجمعين. لم يُنظر في هذا الأمر مليًا، وبه تعليل رغبة اليهود إلى ما هو ثورويّ، وما هو دوليّ.

فمن زهاء قرن تجاوزت نسبة اليهود في حياة الغرب السياسيّة أهميّتهم العدديّة تجاوزًا مفرطًا، في جميع العهود التحرريّة. وإذا لم تُقلق اليهود الردّات الخارجيّة عن إسرائيل، فإنهم، وقد خلقوا الآن دولة إسرائيل، يتعرّضون للأسوأ. يتعرّضون للنكبة في غير بلد من بلدان الغرب. وها قد انقضى أمد طويل ونحن نرى الأمر ونكتب فيه، ولسنا أوحد من يراه ويكتب فيه. ويتفق

أن يكون الشرق الأدنى هو الذي يتحمّل ما استجرّه الغرب في أحكام النفي من تبعات مفجعة على هذا الشرق وفيه أكثر ما يتفتح التسامح الديني.

فلا يسلّم بأن تكون إسرائيل دولة طائفيّة وعرقيّة، على ما هي، وأن يعتبر وضع اليهود في سائر المعمور، لا عرقيًّا ولا طائفيًّا. إن فيه لتناقضًا يتجافى عنه العقل ويتنكّب عنه أبسط البريّة.

وإن في اضطهاد البلدان السوفياتيّة اليهود الآن استمالةً منهم للعرب، لمدعاة لحذر اللبنانيين، لاسيّما وقد دعمت هذي البلدان عينُها إسرائيل على التوالي. فليس ثمّة انتهازيّة وراء هذي الانتهازيّة.

ولكن يُخطئ الغرب أن يتّخذ من موقف السوفيات حيال اليهود ذريعةً لدعم مركز إسرائيل ومطامحها.

فكلّ ما يستطيعه الاتّحاد السوفياتي ظلمًا وعنوة، لا يبدّل شيئًا في وجوب تدويل القدس، وإعطاء العرب ضمانات حاسمة، بعد أن حاق بديارهم كلُّ وعيد.

لا يجوز وقوعٌ في التباس.

أمّا أن تهاجم سفارة الاتّحاد السوفياتي في تل أبيب؛ ويجرح من أعضائها ثلاثة، فيهم زوجة ممثل الاتّحاد السوفياتي الديبلوماسي، فهذا ما يؤسف له عميق الأسف. إذ لا يجوز، مهما كلّف الأمر، أن يتأزم الوضع، ويتفتّق السخط الإسرائيلي على ضلالات أخر. فإن عواقب هذه البوادر قد لا يحصرها حسبان.

وأيًّا كان لومنا الصهيونيّة وسياسة إسرائيل، فيلوح معقولاً لدينا أن نشير إلى المخاطر التي تنشأ عن الانفعال، والميول الإرهابيّة، بحجة الثأر.

فعلى الصهيونيّة أن تأخذ بالحكمة، وعلى اليهود أن يترصّنوا إن هم أرادوا أن تذوقَ اليهوديّة العالميّة السلام الذي من حقها.

الشقاق ما بين مُعسكر كارل ماركس ونسله

١٢ شباط ١٩٥٢

قطع الاتّحاد السوفياتي علاقاته الدبلوماسيّة مع إسرائيل. ما هذا بالنبأ اليسير. بيد أنه لا بدّ من تعليله بما يقتضي التعليل.

إنما وقعت القطيعة فور الاعتداء في تل أبيب. وكأنما لم يرتقب الاتّحاد السوفياتي غير هذي السانحة. إلاّ أن ذلك يزيد قليلاً في استجلاء سياسة يناوئ بها اليهوديّة عن عمد.

فالشكل المسرحي الذي أسبغوه على هذه السياسة يُثبت أنهم يبتغون التأثير على العالم، ولا سيّما البلدان العربيّة التي تكتنف إسرائيل، إذ هي أشدّ تحسّسًا لكل دعامة، إيجابيّة أو سلبيّة، ضد إسرائيل، أنّى كان مصدرها.

فمنذ أمد والاتّحاد السوفياتي يظاهر اليهود تباع الحذر. وإن كان جرى اتفاقًا أن تدخَّل اليهود إلى هذا المقدار بمؤامرات حقيقيّة أو مزعومة، في البلدان الدائرة في فلك الاتّحاد السوفياتي، ففيه، على أي حال، ما يظهر مدى الوجود اليهودي في سياسة هذي البلدان، وفي سياسة الغرب المضادّة.

ويراودنا أن مكاره أتباع كارل ماركس انما تصوَّب نحو أبناء جلدته. ويُستشفّ منه أيضًا أنَّ في موقف اليهود من الفلسفات والسياسات المعاصرة جملةً، احتدامًا سلاليًّا كثيرًا، وأنَّ في البناء نقائض. والذي لا شك

فيه هو أن في دولة اسرائيل من الشيوعيين فوق ما في أي واحد من البلدان العربيّة.

فلقد رأينا أوّل أمس، مظاهرات مضادة يهوديّة شيوعيّة في تل أبيب، لم تخلُ من العنف. والبرقيات تقول إن عدد الجرحى بلغ التسعة عشر.

أتُسفر ردّة العرب عن شعبيّةٍ فيهم، لصالح روسيا، بعد أن قطع السوفيات العلاقات الديبلوماسيّة مع إسرائيل؟ لئن تمّ هذا، فلن يكون الأمر إلاّ ظاهرًا. لا شك في أن العرب سوف يوازنون ما بين الروس والأميركيين. ولا شك في أنهم سيوازنون ما بين السياستين حيال إسرائيل، ولا ريب في أنهم سيقيمون ثبتًا بما نزل بهم من خيبة وبلايا.

غير أنهم لن يسلّموا بأن ما يتمّ إنما يتمّ حبًّا بهم. فهم لا يرون فيه إلاّ مناورةً لبقةً تظهر أن للشرق الأدنى، ولآسيا الجنوبيّة، مزيدَ الأهميّة، بل أهميّة قصوى.

لربما كان موقف الروس إيذانًا بوقوع غارة طغيان وشيكة، على غرار حرب كوريا. ويكون وقوعها هنا. أو ثمَّ، في الشرق الأوسط، بدل الشرق الأدنى؛ ولربما كان التمهيد الذي تقوم به السياسة الروسيّة المناوئة لليهود، متنفّسًا يتحقق في موضع لا يذهب فيه تأثير الإسلام سُدًى.

أترى تعيض الولايات المتّحدة على إسرائيل، فتضاعفَ عنايتَها بها، بغضًا بالاتّحاد السوفياتي؟ يؤسفنا أن نحسب الأمر كذلك. وبيّن أن في المعسكرين يهودًا مقاتلة، هذا ما تكشفُ عنه بنوع خاص قضايا التجسّس لصالح الاتّحاد السوفياتي التي اتّسع نطاقها في الغرب، ولا سيّما في حقل الطاقة الذريّة.

وبشكل جدّ موضوعيّ، ومهما كان الرأي (على حدّ ما كنا نقول أمس) في دولة إسرائيل، فهي لا بدّ لها من أن تحدَّ من نفسها، وتعتدل، ولا تتحدّى من الناس أحدًا. فتعيَّن عليها ألاّ تحمل الإدارة الجمهوريّة في الولايات المتّحدة على التعريض بنفسها في سبيلها، وأن تثير في العالم العربي مزيدًا من النقمات. وعلى إسرائيل، أخيرًا، أن تكفّ عن دغدغة حلمها بضمّ القدس جمعاء إليها، وتوسّع ما يعرف الكلال.

فآخر ما تبقّى لسياسة إسرائيل أن ترضى بتدويل الأماكن المقدّسة فعليًّا، وأن ترتضي مفاوضة تهدف إلى إعطاء العرب ضمانات إقليميّة، دوليّة، تعاقديّة حاسمة (وليس بين هذه النعوت نافل، لاسيّما الأخير منها).

وإذا ما ظلّت إسرائيل متماديةً في تعنُّتها، ماضية في الطريق الملتوي الذي هي فيه، أضحت في نظر الولايات المتّحدة، وفي نظر الغرب، لا تُطاق.

وإذًا ترى الولايات المتّحدة نفسُها، أن صداقة إسرائيل صداقة وهميّة، وأنها، بالمقدار نفسه، مجلبةٌ للمتاعب.

عرض وجيز موجّه إلى السيّد جون فوستر دالس

٥ آذار ١٩٥٢

ترتسم بالنسبة إلى الشرق الأدنى (أو الشرق الأوسط وحسب، إذ يختلط الأمر دائمًا، على تجاوز، ما بين الشرق الأدنى والأوسط) سياسةٌ أميركيّة جديدة. لسوف يزور السيّد فوستر دالس الشرق الأوسط بنفسه (أي أنه سوف يشرع بزيارة الشرق الأدنى).

وبذا لا تعود دولة اسرائيل عماد سياسة الولايات المتّحدة، بالمتوسّط الشرقي، ولا تنعم بعدها بقسط المحبة التي تعهّدها بها الأميركيّون مذ وُلِدَت، ولا تظلّ السياسة الأميركيّة بعدها، على الدوام، تحدِّيًا للأمم العربيّة، كما هي منذ عهد بعيد.

يقع مجموع هذي الأنباء في النفس موقعًا حسنًا، ونتلقّاه بابتهاج. فإن في رأس ما يثير اهتمامنا أن تجعل أقوى دولة في المعمور سياستها بالشرق الأدنى أرجح عدلاً. إذ إن فاجعة اسرائيل لم تنمُ، ولم تتفاقم، إلا بنظرة عطف من قبل أميركا. فههنا كان مصدر التشجيع والعتاد. وبينما كانت الولايات المتّحدة تجادل، في ضنّ كثير، مساعدة العرب الماديّة، كان وابلٌ من الدولارات ينهمر على الوطن اليهودي. وبعون فعّال من الولايات المتّحدة، كان تحدّي إسرائيل يتّسع.

يؤكّدون لنا أن الوضع سيصادف تبديلاً. هذا ما نرتجيه، وبشَقِّ النفس ما نصدِّقه. الحق أنه لم يكن للظلم صَنْوٌ غير الضلال. فلقد كان لزامًا أن تُقطع العلاقات ما بين الاتّحاد السوفياتي وإسرائيل، لتَرُدّ الولايات المتّحدة عن تعنُّتها. على أنه لا بدّ من التسليم ههنا بأن حكومة الرئيس ايزنهاور غير حكومة السيّد ترومن.

إن أميركا تستفيق من خبَال جعلتها فيه إسرائيل، وناخبو ولاية نيويورك خاصّة. فنعمَ التدبير للعرب، ونعماه لليهود، لأننا كنا سائرين معًا نحو النكبة. ولشدّ ما غفلوا عن أن حياة دولة اسرائيل كما هي، ليست غير خدعة وسيعة النطاق.

ليس بوسع إسرائيل أن تظلّ معسكرًا منعزلاً ومدخلاً لمعبر، إلى نهاية الدهر. وفيما كانت أميركا ماضية في تحيّزها. كان الانفجار الهائل على أهبة الانطلاق. غير أنهم يؤكّدون لنا أن وجهة نظر أميركا في تغيّر، وأن السيّد فوستر دالس آتٍ لينوّه بها لنا من طرف خفيّ. فعسى ألاّ يجيء كلام السيّد فوستر دالس شديد الخفاء، إذ آن أوان التعبير بالقول الصريح المبين. وإذا استمرّ اللَّبس كان الشك أسوأ من ذي قبل، والحَذَر.

إلاّ أن التفاهم لا بدّ منه. إن مشكلة إسرائيل مشكلة سياسيّة. وقبل كونها سلسلةً من مسائل ماديّة، فإلى السياسة مآلُها. وبعد فإن كانت معالجة وضع اللاجئين بروح إنسانيّ أرحب، تقتضي العجل، فيجب أن نتذكّر أنّ الأعمال السياسيّة الكبيرة، وحدها، قمينةٌ بحلّ الأزمة. وتبرز من هذا الجدل حقيقتان، كأنهما جملتان، تسودان النقاش برمّته.

إنما الضمانة الدوليّة التعاقديّة للحدود الواقعة ما بين إسرائيل وجيرانها أجمع، أمر لا محيصَ عنه. وتدويل القدس ضرورة مطلقة. والوجود الدولي الفعليّ في القدس، وحده، يستطيع أن يمهر المشيئة الدوليّة بأنها تحول دون كلّ تعدٍّ جديد تأتيه إسرائيل، وكلّ توسّع في رقعة أرضها.

يعيش العرب وشاغلُهم مطامح إسرائيل في توسيع أرضها ويقينهم أن إسرائيل تبتغي الاستيلاء على ما تبقّى من المدينة المقدّسة.

منذ أعوام ونحن نكتبها قائلين: لا صهيونيّة بلا صهيون. وهذا عينه ما تخرج عليه المسيحيّة والإسلام. فلا تأمين يكفي ولا تسامح، ولا تسوية. يجب أن تدوّل القدس. ولا يجوز ان تضحي القدس عاصمة إسرائيل، مهما كلّف الأمر. وإن كانوا لا يريدون أن تنتهي مغامرة إسرائيل بحقد لا يزول، ودم يُسفك، فالذي نقوله سيظلّ حقيقة بديهيّة إلى أن تقوم القيامة.

لا يجهل السيّد فوستر دالس ذلك لقربه الشديد من القيم الروحيّة الأساسيّة. فالشعور الديني يسودُ بيئته كما أنه يسود تفكيره. ويكون النبأ الجديد عظيمًا آن نسمعه يعلن، أن القدس ستدوّل فعليًّا (لا اسميًّا)، وأن أهم الموقّعين على الحلف الأطلسي، بما فيه المتوسطيّون، يضمنون الحدود العربيّة الإسرائيليّة؛ وأنه سيفعل المستحيل، فوق ذلك، ليعطَى اللاجئون ما لهم من حقوق.

حتى إذا أضحت هذي الأمور الثلاثة التعبير الرسمي عن المشيئة الأميركيّة، طفق العرب يفكّرون بعقد الصلح مع إسرائيل. وما لم يتحقّق هذا، ضاع كل رجاء، على نحو ما يكون الوضع عند عتبة الجحيم.

تمهيدٌ لزيارة السيّد فوستر دالس

٦ أيار ١٩٥٢

سيعلّق على الزيارة التي يقوم بها وشيكًا أمين دولة الولايات المتّحدة إلى الشرق الأدنى بما تستحق من كبير اهتمام.

ويُرجى، بادئ بدء، أن لا يخلط السيّد جون فوستر دالس، في ذهنه على الأقل، ما بين الشرق الأدنى والأوسط فلا يحملنّه داءُ الإقليميّة على ثَلْم المنطق والتاريخ. فما من ريب بأنه سوف يميّز ما بين الحياة الروحيّة في المتوسّط، والحياة الروحيّة في المحيط الهندي.

ثم أن السيّد جون فوستر دالس سوف يتعمّق في القضايا التي تسترعي اهتمام العالم:

- علاقات الغرب، ولا سيّما الولايات المتّحدة، بالعالم العربي؛
- الدفاع المشترك عن المتوسّط باعتباره أيضًا دفاعًا عن الشرق الأدنى من آسيا، وعن أفريقيا وأوروبا، لا ينقسم؛
- ثمّ علاقات العالم العربي بإسرائيل.

فالذي بدت تجهله أمّة السيّد فوستر دالس إلى الآن، سيَراه هو، ويضحي في ناظريه حقًّا بديهيًّا: ألا وهو تقدّم السياسي على الاقتصادي في النقاط الرئيسيّة جمعاء.

فلو أن مصر، مثلاً، كانت تسعى أوّلاً إلى الأسبقيّات الاقتصاديّة، لما كانت تتورّط فتختار أن تضطلع، في عزلة نسبيّة، بعبءٍ مُرهق هو حماية منطقة السويس. وعلى مثاله فإن البلدان العربيّة، تنظر، في موقفها من إسرائيل، إلى شرفها وأمانها، قبل أن تلتفت إلى ازدهارها.

فمن شأن زيارة السيّد فوستر دالس أن تبلور الدور الرئيسي الذي للشرقين الأدنى والأوسط في عالم اليوم. وهي تظهر، مع عناية الولايات المتّحدة المتولّدة المتحددة، بأن حكومة واشنطن تنوي اعتماد سياسة غير ماديّة أو تشيُّعيّة أو شهويّة، في مناطقنا، بل تريد سياسةً ذات طابع عالمي، سياسةً إنسانيّة ترتقي إلى مستوى القلب والدماغ، ولا تقف عند مستوى البطن وحسب.

والذي لم يدركه العرب حتى الآن، من جهتهم، إدراكًا كافيًا هو أن لأراضيهم التي يملكون (إذا قيست بضعف وسائلهم) أهميّة فائقة، وأنها عرضة للمعاطب. ومهما تحركت الحمية لهذا الوضع الجغرافي، فهو يشكّل بالمقدار نفسه خطرًا، ويفترض قيام علاقات مع أعظم الدول، لا محيصَ عنها.

يقضي السيّد فوستر دالس ثلاثة أيّام في القاهرة، وثلاثة أسابيع في الشرقين الأدنى والأوسط، فيتضح له هذا كلّه، وينجلي هذا كلّه.

والذي يُستبعد بعد الآن إنما هو حياد العالم العربي. إنّ الطريق الرئيسي بحرًا وجوًّا في كوكبنا، لا يخلّى على الحياد، ولا يترك على الحياد مركز الثقل في العالم القديم. فإن ما للاسكندر وملكه ـ لو كان ملكه باقيًا ـ من جبروت وجلال، لا يفيان بذلك.

فعسى أن تتحسّن العلاقات العربيّة الأميركيّة، وعلاقات أوروبا مع العرب أيضًا. وبإزاء الامبرياليّات المستحدثة تُضحي أمبرياليّات الماضي (كالكومنولث البريطاني) الأحلاف الطبيعيّة للآتي وضمانته. هذا هو تطوّر العالم، لم يعد في الأرض من عزلة سياسيّة إلاّ وهي مسٌّ من جنون.

ونرى أن موضع الشأن في زيارة السيّد دالس ليس الدفاع المشترك (أنّه سيتحقّق حتمًا بوجه ما) وإنما هو وضع العرب حيال إسرائيل.

لقد عمد الأميركيّون ـ حتى مجيء الإدارة الجمهوريّة ـ إلى اكراه العرب لصالح إسرائيل، وبغوا على المسيحيّة والإسلام معًا، وارتضوا غزو القدس ضمنًا، وهو مستحيل، وشجّعوا عليه. واعتبروا أن العالم العربي من آسيا مدى حيوي لإسرائيل النامية؛ هذي هي البلبلة الفكريّة والسياسيّة التي يجب أن يفرَغ منها.

ونتمنى أيضًا أن يقتنع السيّد فوستر دالس بأن المأساة الإسرائيليّة لن يكون لها حلّ أخر، غير تدويل القدس الفعلي، وضمانة دوليّة تعاقديّة للحدود العربيّة الإسرائيليّة.

إن الكلمات التي تبادلها الرئيس ايزنهاور وسفيرنا في واشنطن بمناسبة تقديم السيّد شارل مالك أوراق اعتماده الجديدة، لتبعث على الارتياح. فهي، بحق، تفترض الحلول التي نادينا بها منذ أمد بعيد. ومنيَّتنا أن يكون صداها عميقًا، وأن تخرج الحقيقة، بعد لأي، من البئر التي أُلقيت فيها، كما ألقي بأخيهم أبناءُ يعقوب، فعراها الضنى، ومناها الفشل.

فعلى زيارة السيّد جون فوستر دالس، إلى حدّ بعيد، يتوقّف النظام والسلام، بالنسبة إلى الولايات المتّحدة وإلى الشرق الأدنى بأسره.

المَنفذ الوحيد

١٤ أيار ١٩٥٢

للمرّة الأولى، في ما نعلم، توصي جريدة بريطانيّة كبيرة مصارحةً بتدويل القدس.

إذ إن جريدة الايكونومست (بعددها الصادر بتاريخ ٩ أيّار، في خاتمة مقال عنوانه: السيّد دالس والعرب) تعدّد الشرائط في حلّ النزاع الفلسطيني، وتقترح في ما تقترح من وسائل سياسيّة واقتصاديّة، إصرارًا نبيلاً على ان يطبّق قرار الأمم المتّحدة القاضي بجعل القدس «كائنًا مستقلاً بذاته».

أما ضرورة الضمانة للحدود العربيّة الإسرائيليّة دوليًّا، فتراها جريدة الايكونومست في شدّ أزْر الضمانة الانكليزيّة ـ الفرنسيّة ـ الأميركيّة الموحّدة الاتجاه. على أن يفرض حدٌّ دائم يكون أقل غرابة من الوجهة الاقتصاديّة.

وتقول الايكونومست إن هذا النمط قد يفترض اللجوء إلى القوّة.

لقد اعترفت الايكونومست، في فقرةٍ سابقة، بضعف إسرائيل والأردن ضعفًا اقتصاديًّا يبعثُ على اليأس، وبأنهما يعيشان بفضل مساعدات الغرب.

وتختتم الايكونومست بإبداء هذي الملاحظة اللاذعة التي تلتقي مباشرة وما ابديناه أوّل أمس من ملاحظات ههنا بالذات (تحت عنوان: السيّد فوستر دالس في الشرق الأدنى): «لئن كان حبل الأمن في الشرق الأوسط هو الذي يثير اهتمام السيّد دالس قبل كل شيء، فسيتضح له آنئذٍ أن خطر الحرب، بالنسبة إلى العرب، لا يكمن في روسيا، بل في إسرائيل». أما الذي كتبناه فكان نصُّه كما يلي: «إنما خطر النزاع العربي الإسرائيلي هو، بالنسبة إلى العرب، بمثابة خطر يَنشأ عن نزاع عالمي، وهذا ما لم يُدرك بعد في واشنطن».

ولنا العزاء في أن نلقى، بعد هذا المقدار من الأدلة والجهود، صدًى حاسمًا كالذي نقلته جريدة الايكونومست إلينا. ففيه عزاء وفيه ارتياح. وبعد فإنها الحقيقة تنتصر والحق المبين يسطع. وما قليل، في ما نرى، أن تنتهي الايكونومست، إلى النتيجة التي إليها انتهينا.

وانما نُبقي في مقال الصحيفة الانكليزيّة الكبيرة، على سطرين بنوع خاص، لما فيهما من تتويج لوجهة نظرنا إذ تقول: «لن تتكسّر الدائرة، إلاّ في الإقلاع عن التوهّم، بأن المقاومة السياسيّة لن تُقهر، إلاّ بوسائل اقتصاديّة، دونما استعانة بتصميم سياسي تمّ تحديده».

وانما هذا التصميم السياسي هو الضمانة الدوليّة التعاقديّة لحدود عُدّلت ضمن المعقول، وتدويل القدس. هذا هو التصميم وليس ثمّة تصميم إلاّه.

فليسمح لنا أن نجدّد هذين النداءين الملحّين: نداء وقورٌ أوّل، نرفعه إلى الكرسي الرسولي المقدّس، فتُعرب مشيئة الأب الأقدس مجدّدًا، وهي المشيئة الواقية، عن أنها تريد أن ترى القدس مدوَّلةً وإذًا تتذكّر ذلك الأرض بأسرها. ونداء آخر نوجّهه إلى البلدان العربيّة، وبلاد الغرب، فيزداد وعيُهنّ بعضَ ازدياد، لمدى واجباتهنّ، وقداسة قضيّتهنّ.

وفيما ينقلب السيّد موسى شاريت، وزير خارجيّة إسرائيل، في أميركا اللاتينيّة، من بلد إلى آخر، ومن حاضرة في أميركا اللاتينيّة إلى حاضرة (وقد زار ريو دي جانيرو، وبوانوسايرس، وسانتياغو الشيلي، ومنتيفيدايو) داعمًا سياسة إسرائيل، تهتمّ الحكومات العربيّة في أحلامها، وتغرق في النزعات الأهليّة، كأنها جاهلة لكل ما في سياق العالم.

للعالم العربي قضيتان كبيرتان، تسودان ما تبقى من قضايا: إسرائيل، والدفاع المشترك، هذا هو بيت القصيد.

من السويس إلى القدس

٢٨ أيار ١٩٥٢

سُدًى ذهبت المفاوضات الانكليزيّة ـ المصريّة، ذهابًا موقتًا، على الأقل، إذ إنهم سيرجعون إليها آجلاً أو عاجلاً. غير أن الوقت الذي أضاعوه بها، والتذمّر الذي منها اجتنوا، لمن أشدّ الأمور سلبيّة وألحقها مضرّة بالعرب.

فلا بدّ من تفاهم ما بيننا: أمشكلة القنال هي مشكلة العالم العربي الرئيسيّة، أم مشكلة إسرائيل؟ لنقل لمصر، مهما بلغ شعورنا الأخوي نحوها: إنما التوغّث في القنال يضلّل، لا محالة.

إن لقضيّة إسرائيل طابعًا من الدوام والشأن ليس لتلك. فهي تهدّد العالم العربي بغير ما يهدّده وجود في القنال. ومهما بدا هذا الوجود مثيرًا، فإنه يظلّ، على صعيد المطلق، ولمصر نفسها، ضمانة في وجه أعظم المخاطر.

لا سبيل إلى التوهّم: إنما الوجود البريطاني في موضع الوصل ما بين افريقيا وآسيا، وليدُ معاهدة مشروعيّتها عرضة للجدل، فإذا ما استعيض عنه بوجود عربي غربي، بموجب معاهدة أخرى، أُتيح لمصر التي لم تعش خلال الحروب الكبرى على سرير من ورد، أن تذوق مزيدًا من طعم الكرى، غير أن حماية مصر تقتضي، مسبقًا، حمايةَ العالم العربي، في آسيا، وبالتالي حمايتنا.

فمن الشرق والشمال يداهمنا الآن الخطر. وكان، خلال الحرب الأخيرة، زمان واقعة العلمين، من الغرب يأتينا. ولكن الألمان والترك، منذ خمس وعشرين سنة، كانوا، من الشرق يهدّدون الطريق العالمي. وسواء داهمنا الخطر من الشرق أم من الغرب فسيبقى القنال هدفًا. ومذ بدأ العهد الشيوعي أضحى بديهيًّا أن يكون الشرق موضع المقاومة.

أما يرون في القاهرة أن الزمان يعدو، وأن إسرائيل تسترسخ، وأسهمَها تتصاعد؟ أما يرون أن روح الثورة سيستثمر التماهل في الجدل القائم ما بين مصر وبين الغرب الذي يلتمسه؟

وبعد، فأيُّ ضير في البحث عن حلّ يُحسم به النزاع الانكليزي المصري في شبه جزيرة سينا، على مثل ما هو أمر الأميركيين في أوروبا؟ أما يخالجهم أن شبه الجزيرة هذه، إنما جعلت لهذي الغاية؟ ثمّ ينداح الدفاع من بَعدُ إلى أفريقيا والشرق الأدنى معًا.

فلزامٌ علينا، والعالم على ما هو، أن نذكّر بأن قضيّة السويس تستطيع الانتظار. أما الذي لا يطيق انتظارًا فالضمانة التعاقديّة العربيّة الغربيّة بوجهِ توسّع إسرائيل، وتدويلُ القدس.

فلو شاءت مصر، ولو ارتضت، كان في وسعها أن تُسدي خدمة عظيمة لنفسها، ولبلدان الجامعة العربيّة كافةً، من ناحية إسرائيل. ثم تعود، من بعد، فتتدبّر أمر الدفاع، في جوار السويس.

في سبيل سياسة أقل هزالاً

٢٠ أيار ١٩٥٢

أينبغي أن نقول تكرارًا، إن بلدان الجامعة العربيّة لا تُعير فلسطين ربع ما تقتضيه من سياستها وشواغلها؟

ولو أنها فعلت لتضاءل شأن القضايا التي غدت في ناظرها ضربًا من الوسواس.

إنّما الوضع الحالي يفرض أن يكون العرب، حيال إسرائيل على تأهُّب دائم، شاكي السلاح. كمثل ما هو الغرب في موقفه من الشيوعيّة عينًا.

الحق أن الأمرين قد يتساويان، إذ نعتبر، على الرغم من خطر حرب كونيّة، أن الخطر الصادر عن إسرائيل، ليس، بالنسبة إلى العرب، بأقلّ من خوف الغرب من غزوات موسكو. وهذا ما لا يراه الأميركيّون.

يقابله أن الوضع يفترض ازديادًا دائمًا في قوى إسرائيل، على اضطراب لا مفرّ منه: قوى عسكريّة، وقوى اقتصاديّة، قوى عاديّة، وقوى فوضويّة، تزيد جميعًا في التخوّف من الانفجار، إلى ما شاء اللّه.

ولو أن إسرائيل قيّدت مطامحها نهائيًا في نطاق ملكها، لما عاد لوجودها مسوّغ: فسيظلّ عدد اليهود في العالم عشرة أضعاف عددهم في إسرائيل.

ثم إن النظر في دولة إسرائيل، من الوجهة الإنسانيّة وحسب، كما هي،

لا يحلُّ شيئًا من المعضلة اليهوديّة، ولن يحلّ شيئًا من هذه المعضلة الكونيّة، ما لم تتوسّع دولة إسرائيل على وتيرة عاجلة أو ماهلة.

فلم يبنْ للذين ابتدعوا «الوطن القومي اليهودي»، أن وراء هذا الوطن الوادع ظلَّ امبراطوريّة يتّسع. و لم يبنْ لهم أن الصهاينة يبتغون وطنًا نَجمُنا الأرضي مستواه.

فإذا لم يكن من نيّة إسرائيل أن تزيد سكانه حتى تنشقَّ الحدود، لما أعوزها توسّع في أرضها. يغيب عنهم، في تل أبيب، أن دولة الفاتيكان تكتفي بأربعين هكتارًا، في حين يبلغ الكاثوليك أربعماية مليون، واليهود ستة عشر مليونًا. هذا هو الدليل القاطع.

إلاّ أن دولة إسرائيل مفتوحة ليهود المسكونة، على حدِّ ما يبين دستورها، وما أعلنه ولاةُ أمرها مئات المرّات.

وعليه فبلدان الجامعة العربيّة لن تذوقَ طعم الراحة، فقد كتب لها السهاد، ولسوف تتعدّد حوادث الحدود حتى ينفجر الأمر.

وكما أن البلدان التي تغلب بها الكثلكة، أو الأرثوذكسيّة أو البروتستنتيّة أو الإسلام، عديدة في الأرض لكلّ واحدة من هذه الطوائف، كذا ينبغي أن يتصوّر لليهود أكثر من موضع واحد، يتيسّر لهم فيه نموّ وازدياد، دون أن يَسُمّوا العرب الأبرياء بما ينذرون.

هذا ما تتجاهله السياسة الأميركيّة، مع أن ولاية نيويورك وحدها تضمّ أربعة ملايين يهودي. فهل تقترح على الرئيس ايزنهاور، بسذاجة، أن يقيم ولاية نيويورك دولة يهوديّة، على نحو ما فعل سلفه في فلسطين؟

إنما المسألة اليهوديّة من أشدّ مسائل العالم تعقيدًا وأوعرها. ونحسب أنها تؤول إلى أمر إلهيّ. غير أن ذلك لا يبرّر ما يفعل الغرب، عندما يلقي عبئها على كاهل العرب، لقاء فاتورة بالدولارات مبهمة. فثمّة طائفة من

اليهود، هي من أشدّهم بصيرة وأقلّهم جموحًا، طفقت، هي نفسها، تخشى أن تُحَلّ القضيّة اليهوديّة كما أرادوا حلّها في فلسطين جاهدين.

وفي أثنائه تنصرف بلدان الجامعة العربيّة إلى رصف الأحاديث، حولَ بعض الاعتبارات الاقتصاديّة الموهومة، وتُصلي الرأي العام بنزوة الخصومات الأهليّة، وتصليه بقضايا الكرامة الشخصيّة بينا لم تعد أوروبا الأبيّة نفسها مستمسكةً بها.

إنما إسرائيل رأس مشاكل البلدان العربيّة، سواء في السياسة الخارجيّة أو في السياسة الداخليّة. وإذا جاءت قضيّة الدفاع المشترك في المرتبة نفسها، فإنها تبقى دونها؛ وهي في المرتبة نفسها لأنها شرط من شرائط حلّها. وبها يُتفادى حقًا خطر المشكلتين معًا.

لقد انقضى زمن الصبوات. فلنظفر بالضمانة التعاقديّة الدوليّة لحدودنا، وبتدويل القدس.

ولننظم في الوقت نفسه الدفاع الجماعي يصحبه دفاع الدول الذائدة عن حريّات النفس، وعن حريّة البحار.

حتى إذا ما انتهجنا هذي السياسة الكبرى انصرفنا إلى الاقتصاد بارتياح.

دبلوماسيّة إسرائيل

٢٢ تموز ١٩٥٢

هي ذي العلاقات الديبلوماسيّة ما بين الاتّحاد السوفياتي وإسرائيل تعود إلى مجراها. فنتساءل: أحيلةُ السوفيات أغمض وأحذق، أم حيلة إسرائيل؟

لقد أنجبتْ إسرائيل منشىء الماركسيّة وأنجبت للشيوعيّة قادةً. وقد تناقضت آراؤها ومواقفها، فإسرائيل تنتحي اليسار، وإسرائيل، في الوقت نفسه، تنتحي اليمين. وهي تدري كيف تميل إلى أقصى اليسار وإلى أقصى اليمين معًا.

الحق أن سياسة إسرائيل الطبيعيّة تذهب إلى ما وراء الشيوعيّة، وإلى ما وراء الديموقراطيّة. هي سياسة مستقلّة بذاتها، مقصورة على الشعب المختار. سياسة تاج، بجوهرها ملكيّة تستوحي المُلكَ من داود؛ وتيوقراطيّة تستمدّ من الله حقّها، تستوحي من سفْر القضاة. وبعد، فإنّما هي سياسة تدري كيف تضحي فوضويّة إذ تقصد زعزعة العالم. تقرُب الاتّحاد السوفياتي أو تبعد عنه؛ تستعطف الغرب أو تتحدّاه، حسبما تدور الأحوال ومقتضيات الساعة.

فهذا الشعب العجَب الذي يدّعي أنه يخدم الحريّة، من ناحية، حتى أقبح التطرّفات الثوروية، هو نفسه الشعب الذي كان يدّعي، منذ ثلاثة أشهر، بأنّه أحرق يدي عازف على الكمان شهير، ليردعه عن عزف مقطوعة لـ ريتشارد شتراوس.

الواقع أنّه لا بدّ للغرب والاتّحاد السوفياتي من أن يظلاّ من اسرائيل في حذر دائم. يخدمان أغراضها ولا يلقيان منها حليفًا أمينًا. وهكذا يعيش الحزب الديني، والحزب الشيوعي والحزب الإرهابي اليميني جنبًا إلى جنب، في إسرائيل، على تعاون ضمنيّ.

وفيما تنتقل وزارة خارجيّة إسرائيل إلى القدس، تتوثّق العلاقات الدّيبلوماسيّة مجدّدًا ما بين الاتّحاد السوفياتي وإسرائيل وهو أمر جدير بالنظر. أما التعليل القانوني الذي تراه بعض الدول لهذا الانتقال، فنحن لا نُوليه إلاّ قيمة واهية. إنما المقصود أن نعلم إن كان الوزراء المفوّضون للولايات المتّحدة، وفرنسا، والمملكة المتّحدة، سيتخذون القدس مقرًّا رسميًّا لهم. ولشد ما نخشى أن ينتصر الأمر الواقع أيضًا، على الرغم من التحفّظات التي لم تكتب لها الحياة.

تُظهر إسرائيل قوّتها بنشاط ديبلوماسي ومبادرات جسورة؛ فيما العرب، وقد غلّلهم ضعفهم المألوف، يتشاورون ما بينهم.

فلو أن الأردن شاء مراعاة منطقه لنقل إلى القدس أيضًا وزارة خارجيّته وحكومته برمّتها. عندها (وعندها فقط) تخرج الأمم المتّحدة من سُباتها.

خلاص القدس

٦ آب ١٩٥٢

للمرّة الأولى نرتاح إلى ردّة بلدان الجامعة العربيّة، إذ نُقلتْ إلى القدس وزارة الخارجيّة الإسرائيليّة.

فثمّة يقظة ندّعي بعضها، على غير ما تظاهر بتواضع. لقد تغلّب هذا النضال الطويل، وهذا الصمود الذي اتخذناه واجبًا ومبدأ، على غفلة الجامعة العربيّة، وإجراءاتها العقيمة.

وكنّا، منذ العام المنصرم، نناشد حكومة الأردن أن تنقل إلى القدس وزارة خارجيّتها، إذا ما أقدمت إسرائيل عليه فتحدّت. أما وقد وقع التحدّي، هذا العام، كما كان ينبغي أن يُتوقّع، فإننا رحنا ندعو حكومة عمّان أن تنتقل إلى القدس برمّتها. وكان هذا التدبير، في ما حسبنا، الطريقة الوحيدة التي تُحبط مساعي اسرائيل، وتردّ الأمم المتّحدة إلى تحسّس واجبها الأقدس.

فهذا هو مجلس الجامعة العربيّة يتّخذ قرارًا بعقد دورته المقبلة في القدس. وهاك مجلس الوزراء الأردني يُدرك أن في وسعه الانعقاد في المدينة المقدّسة، كما ينعقد مجلس إسرائيل. وهاك ممثّلي بلدان الجامعة الديبلوماسيّين، يقومون بمسعى جماعي شديد لدى حكومة واشنطن. كل ذلك لم يكن منه بدّ. فمن امتناع إلى امتناع، ومن كبوة إلى كبوة، كان العرب يضيعون أنفسهم بالصراخ والهذر الباطل.

يجب أن نخلي الاحتجاج الشفهي إلى العمل الدفاعي، وأن نردّ على الواقع بالواقع حتى إذا أثبتت الجامعة العربيّة والأردن وجودهما في القدس إثباتًا، غدا تدويل المدينة المقدّسة ضرورة راهنة، وأضحى مثله احترام قرار الأمم المتّحدة الرسميّ.

لم يكن عقد السلم مع إسرائيل يومًا أبعد احتمالاً مما هو الآن، وأكثر وهمًا. ولا حرصنا حرصَنا اليوم على مجانبة الشرك الذي يُنصَب لنا تعويضًا مرذولاً من الدولارات والليرات الإسرائيليّة العابثة. إن حكاية الثلاثين فلسًا لن تتكرّر. وأوّل من يسفّههم فيه هم اللاجئون الفلسطينيّون، وإن ساء طالعُهم.

لقد حان لدول الجامعة العربيّة أن تنهض لأمرها، فيما إسرائيل تسعى إلى إكراه الدول جمعاء. إنما القدس وطن روحي أمّ للنصف من سكان البسيطة، ولن تضحي حاضرة سياسيّة لإسرائيل ونقطة انطلاق لمطامح استيلاء على أراض جديدة، ولدسيسة ليس لها منتهى.

إنما المخرج واحد، لا اثنان: تدويل القدس تدويلاً فعليًّا، وضمانة تعاقديّة للحدود.

وفي ما خلا ذاك، فليُقطع كلّ رجاء.

سياسة عمياز

١ تشرين الأول ١٩٥٢

وبعد، فأي إنذار رسمي، وأيّة حجّة، وأي صراخ، يفتح عيون الأمم المتّحدة، وأسياد العالم؟ إنما إسرائيل تُصلي خطر الموت ما حولها.

إسرائيل لا تأتلي تتسلّح، والعرب لا يأتلون. ولها الآن من القوّة ما يكفي لتتوعّد وتهاجم. فلا تحريضاتها تقع في حصر ولا اعتداءاتها. لقد استغلّت حكومتها اصطبار الولايات المتّحدة، وفسادَ الأمم المتّحدة، ما استطاعت سبيلاً، وغلَت.

ففي المناحي جمعاء تتسع المحاولة التلمسيّة؛ ومن أنكر أن اسرائيل تبيّت التوسّع في الملك، آجلاً أو عاجلاً، كان خلوًا من صفاء الطويّة كاذبًا. وسواء أكانت القدس هي الهدف، أم كان مجرى الأردن أم مرفأ بجوار العقبة، أم حدود مصر، أم حدود أُخر، فإنّما الخطر محيق بكل موضع.

تتدبّر الأمم المتّحدة الأمور كأنما إسرائيل دولة قانعة، ودولة ليس لها مطمح، ومطامح إسرائيل بادية للعيان. وبديل أن تضع الأمم المتّحدة حدًّا لهذي المطامع، وان تنجّي سلمًا يزداد بطلانًا، يومًا فيومًا، فهي تكتفي بإبداء بعض العلام «المحافظة» التي لم تعد تحافظ على شيء. بحيث بتنا نرى الهدنة العربيّة الإسرائيليّة، بعدَ دورة أعوام، تقرّب الشرق الأدنى من الحرب، أكثر منها إلى السلم.

ولطالما ألمعنا إلى أن إسرائيل تؤثر الحرب دومًا على خسران نفسها، وتؤثرها حربًا عالميّة إن اقتضى الأمر. وهذا ما يَلقى اليوم مصداقه أكثر من أمس.

أي عمى مفجع هو في أصل هذا التدبير المخدّر الذي اتّخذته الأمم المتّحدة؟

إنّما كلُّ هدنة لا تزكّي نصيب السلام باطلة؛ ونرى بخلافه أن قضايا إسرائيل تزداد صعوبة، في كلّ يوم، ويغدو الحلّ السلمي، في كلّ يوم، أشدّ بطلانًا.

ليس في ودّ الأمم المتّحدة أن تلجأ إلى العلاجات الناجعة والوسائل الحاسمة. فكأنّما هي ترقب وقوع أعجوبة لصالح إسرائيل. فإذا الوضع يشتدّ خطورة، والغد تجهّمًا، وكما يصعد مدّ المياه، كذلك يصعد روح الفتح والثأر والضغينة.

أفبعد كلّ هذي الإيضاحات، والأدلّة، والأدعية يتصوّر الذهن المتزن مخرجًا غير الضمانة الدوليّة التعاقديّة للحدود العربيّة الإسرائيليّة، وتدويل فعلي للقدس وافٍ؟ إنّ من سوَّف ذاك سَفَّهَ العقل، ووقعت عليه مسؤوليّة النكبة الآتية، فوق مسؤوليّة النكبة الحاضرة.

فماذا ترتقب الولايات المتّحدة؟ والأمم المتّحدة، ماذا ترتقب؟ وما الذي ترتجيه الولايات المتّحدة من هذا التسويف الآثم؟ وما تُرى الأمم المتّحدة ترتقب إذ تفرّ من وجه العقل؟ ومَن الذي من رجال الدولة العداد يقف نقيّ الضمير أمام الكارثة التي تتمخّض؟

أيقولون في هذا كلّه إنه صوت صارخ باطلاً في البريّة؟

من عدوان إلى عدوان

١٧ تشرين الأول ١٩٥٣

جاء العدوان الإسرائيلي على القرية الأردنيّة الصغيرة الواقعة بخراج فلسطين العربيّة نسيجَ وحده في القبح.

واحد وأربعون قتيلاً بينهم أطفال ونساء وجرحى، وبيوت مدمّرة، وخسائر أخر.

وجاء في البرقيّات أن لجنة الهدنة المشتركة قد اعترفت جازمة بأن المسؤوليّة تقع على عاتق السريَّة الإسرائيليّة التي أتت هذه المأثرة. لقد ترأس غلوب باشا بنفسه، في الأردن، المجلس العسكري الذي تداول بشأن هذا العدوان. وأحيطت الأمم المعنيّة علمًا بذلك، العربي منها والغربي.

إنما تشتدّ نزوات إسرائيل يومًا فيومًا، وتشتدّ مبادراتها قسوةً وفتكًا، ويشتدّ تحدِّي إسرائيل للأمم المتّحدة قِحةً أيضًا.

فإلى أين ترانا نسير هكذا؟ وأنى يكون اتّساع المأساة؟ ومهما بدت إسرائيل شاكية للسلاح فقد تكون قواها ادّعاء منها. والحق أن ثمّة غير السلاح الذي تعتمده، وأسوأه اشتداد وطأة الأحقاد والضغائن. وستظلّ الأمور على ما هي سحابةَ قرن كامل، في المهادنة وفي الحرب، سواء كان للجنة الهدنة وجود أو لم يكن.

لن يحجب ذنبُ إسرائيل عن نواظرنا ذنوبًا أخر تتيح لإسرائيل أن تبلغ هذا المدى من الإجرام.

ولقد شجّع تقاعس الأمم المتّحدة ضمنًا على أشأم المظالم. فعلى الولايات المتّحدة، التي تستطيع وحدها أن تحول دون كل شيء، والتي تتغافل عمّا يُصنَع، أن ترتدَّ إلى التوبة. ولا بدّ أن يحرّكها أخيرًا حصاد الشقاء والكراهيّة الذي تقف حياله غير حافلة.

ألم يتبدّد وهم الولايات المتّحدة من أن كلّ أمر في فلسطين بالمال يدبّر؟ أما برحت المسائل الاقتصاديّة هي التي تطارح في حكومة واشنطن؟ وحتّام يدوم هذا التجاهل المعمود لأخطر القضايا السياسيّة في زماننا؟

فأي خطوب، وأي كوارث جديدة ينبغي أن تقع، ليضع رئيس الولايات المتّحدة في الميزان عَلَمَهُ المكوكب بالنجوم؟

ومن كان لديه حلّ غير الذي نشير إليه منذ أمد، فيبده، شريطةَ ألاّ يكون حلّه طيفَ خيال.

لن تعود الأمور إلى نصابها في فلسطين، إلاّ بضمانة تعاقديّة دوليّة للحدود، وبتدويل فعليّ للقدس وافٍ.

وقد يتعذّر المخرج إن هم تمادوا وفات الأوان.

الانذار الأميركي ومهمّة السيّد أريك جونستون

٢١ تشرين الأول ١٩٥٢

وأخيرًا، انفعلت الولايات المتّحدة. أترى عرضًا منها كان وعبثًا؟ إنها تتوعّد إسرائيل بأن تحبس عنها المساعدات إن هي استمرّت في عنفها.

فالذي تأتيه حكومة واشنطن لتوقف تحويل مجرى الأردن فيمَ لم تأته منذ خمس سنوات لدواع جديّة أيضًا، بل أخطر من هذا؟

ما نحن بواهمين. ومن حقّنا أن نبقى مشكّكين حيال عقوبات قد تنزلها الولايات المتّحدة بإسرائيل. فلقد أظهر الماضي مرارًا ما بلغ إليه التعامي الأميركي، والعطف الأميركي على الصهيونيّة الزاحفة. وأخيرًا يدرك الأميركيّون، على الرغم من هذا، أنهم يخدمون الحرب ولا يخدمون السلم البتّة، سواء أقدموا (أو لم يقدموا) كما هم صانعون.

لقد بات وشيكًا قدوم ممثّل رئيس الولايات المتّحدة الخاص، إلى لبنان، ووُكل إلى السيّد أريك جونستون، بعد كُثر سواه، أن يتحرّى الغِيَر التي انتابت الشرق الأدنى والأوسط. ونوّه بأن ما يعنيه خاصّة هي قضيّة اللاجئين (هذه المسألة الأبديّة، هذي المسألة التي لا جواب عليها)، وقضيّة الأردن. وهو مكلّف، فوق كل شيء، بالعناية في الشؤون الاقتصاديّة.

وإذا لم يبدّل السيّد أريك جونستون وجهة نظره، في غضون رحلته، فلشدّ ما نخشى ألاّ يكون مُتَّجه سعيه إلا الإخفاق، كمثل ما كان من أمر أسلافه.

إنما المشكلة العربيّة الإسرائيليّة مشكلة سياسيّة أوّلاً. مشكلة سياسيّة قبل كل شيء. ولئن كان قطّ من مشكلة سياسيّة، فهذي هي حقًا. ومن زعم أنَّ مشكلة كهذه تحلّ بحل اقتصاديّ، وحسب، فقد أتى ضلالاً مبينًا.

لا بدّ من وضع حدّ لمطامع إسرائيل وقلق العرب، معًا. أليس هو اللباب؟ لا بد أن يهدأ روعُ العرب، بأن حدودهم لا تمَسّ، وأن نطمئن العالم عن مستقبل القدس. أليس الأمر كذلك؟ هذي هي المشاكل الأولى، المشاكل التي لا يفرغ منها في حياة إنسانيّة واحدة.

حيال هذي الوساوس، وهذي الجراح، لا يكون للاقتصاد والمال غير قيمة عارضة. هذا ما يقوله الحجى.

ولا شك بأن قوّة الاستمرار لم تخمد شعورنا بمأساة اللاجئين ولا هي تنسينا نكبتهم. وحسب التشريد البائس الذي هم فيه، حكمًا على الولايات المتّحدة والأمم المتّحدة، والانسانيّة جمعاء. ويقين أننا لا ننسى اللاجئين. وأن السيّد اريكْ جونستون سيسلك مسلك الديبلوماسي العليم إذ يُعنى بهم دائبًا. ولسوف يبذل جلّ العناية باعتباره رجلاً كريم الخلق. إلاّ أن مشكلة اللاجئين، مهما بدت جارحة، فبحلّها لن يستتبّ السلام. ويغدو من المراءاة أن يقال بأن حلَّ الصعوبة على صعيد خارج عن فلسطين يفتّ في توتّر النزوات، حينما لا يكون القصد أن يردَّ العدد الأكبر من أولاد اللاجئين إلى منازلهم. ولن يكون الأذى من جرائه إلاّ أحرَّ من الجمر.

لسوف تلقى قضيّة اللاجئين حلًّها يوم تُحلّ القضايا السياسيّة، ويوم تُضمن الحدود العربيّة الاسرائيليّة بضمانة تعاقديّة دوليّة، ويفرض على إسرائيل تدويل فعليّ للقدس وافٍ.

فكلّ ما يفعله السيّد اريك جونستون خلا هذا، لن يكون له فعل غير هياج الجرح، وإذكاء اليأس، وجعل المستقبل أشدّ لغدًا وتجهّمًا.

إنهم لن يأتوا كبيرَ شيء، ما لم تُصفَّ المشكلة السياسيّة.

على المستوى الأعلى

٢٤ تشرين الأول ١٩٥٢

سُئل رئيس لجنة الهدنة التابعة لهيئة الأمم المتّحدة لدى قدومه إلى نيويورك سؤالاً بريئًا عن نصيب السلم العربي الإسرائيلي حاليًا، فأجاب، على البداهة، أنّه لا يؤمن به. وأضاف أن مسألة كهذي المسألة ينبغي أن تدرس «على مستوى أعلى».

ومن النافل، ولا شك، أن يجري الكلام الآن على سلْم عربيّ اسرائيليّ. نحن لا نبقي على جواب سلبي قاله اللواء «فان بنيك»، وإنما نحتفظ بملاحظته التالية: «من أن المسألة يجب أن تدرس على مستوى أعلى». أعلى، ولا ريب. بل على أعلى مستوى في العالم. ففي الأمر ما يحدو على الارتقاء إلى هذا المستوى.

وملاحظة اللواء في مدلولها العميق، تعني أن الجدل سياسيّ (وليس اقتصاديًّا فقط أو إداريًّا) وهذا ما لا نأتلي نردّده منذ أمد بعيد.

ولئن نحن رجعنا إلى الأمر بمثل هذا الإلحاح فلأن الوقت يزحمنا، ولأن الشرق الأدنى لن يمنحَ السلام بريّ صحراء سينا، واعتدال مجرى الأردن. إنما المخاوف غير هذي المخاوف، والجراح غير هذي، والمأساة غير هذي المأساة.

فإذا ما قُصرَ النقاش الفلسطيني على اللاجئين كان ذاك تجنّيًا على العقل عظيمًا. إنّ الذي يهزّ شواعر العرب والعالم في مغامرة إسرائيل لا يقتصر على مصير جيل واحد وحسب.

فأي سلم يعنّ ببال، ما دامت إسرائيل تنوي، مذ تتمكّن، أن توسّع الهجرة وتستحثها اندفاعًا؟

قد يُلام العرب على عدم تبصّرهم، وعلى الضعف المزمن الذي مناهم، إلاّ أنهم لن يكونوا كمن به غفلة. فإلى أين يفضي إعداد فلسطين إذا ما مضت إسرائيل في توسيع ملكها هذا الإعداد؟

وإذا ما استمرّت الأمور على ما هي، كان عقد السلم مع إسرائيل تمهيدًا لِفعالٍ جديدة تأتيها.

فحتّام نردّد ذاك ونناديٍ به؟ إنما إسرائيل تبتني امبراطوريّة، والامبراطوريّة قائمة حقًّا على شكل شتيت، غير انه يبتغى أن تُجعَلَ للوطن الأم، فلسطين، أبعادٌ امبراطوريّة.

وإذًا فكيف السبيل إلى عقد سلمٍ مع إسرائيل، ونحن على يقين من أن إسرائيل لن تترك سانحة، ولن تتخلّى عن اغتصاب، حتى تستعيد ملك الأسباط الاثني عشر، فأرضَ الملوك؟

وإذا ما كان ارتقاءٌ إلى المستوى الأعلى، مستوى المسيحيّة والإسلام جميعًا، مستوى العالم العربي، والكرسي البابوي الأقدس، وايزنهاور، وكان تطلّع في صفاء، من هناك، إلى مستقبل اليهود في العالم، اتّخذت عندها المقرّرات التي لا محيصَ عنها، ولا شك: ضمانة دوليّة تعاقديّة للحدود العربيّة، وتدويل القدس.

شهادة

٢٠ تشرين الأول ١٩٥٢

نشرت جريدة الايكونومست اللندنيّة في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ تشرين الأوّل مقالاً فذًّا عنوانه: «على حدود إسرائيل».

وبديهي أن يُعرض في المقال لتحويل مياه الأردن وللجرم الجماعي الذي وقع في «القبيّة». وفيما يلي خاتمة هذا المقال:

«فهذه الوقائع كافية لتظهر إلى أي حدّ جاءت صيغة المسالمة الممكنة في فلسطين صيغة ثابتة. لن يستتبّ السلام إلاّ بقوّة آتية من خارج. هذا هو السبيل الأوحد الذي تمكن به قيام عيش قرير طيلة عهد الانتداب البريطاني، وهو هو السبيل المتبقّي اليوم، مهما أنكره الذين يعود إليهم تطبيقه.

إنما الشعور الذي يفصل العرب عن اليهود لأمرّ منه الآن في أي زمن آخر. والمرتجى الأوحد الذي قد يلطفه أن تعزّز الدول الغربيّة بيانها الثلاثي: الانكليزي، الفرنسي، الأميركيّ، لشهر أيّار ١٩٥٠، (وهو يؤكّد أن تبديل الحدود بالقوّة أمر لن يسلّم به، ليس إلاّ) وتفرض وضع حدود دائمة إن دعت الضرورة.

فإن تقاعست الدول عن هذا التدبير غدت التبعات خطيرة، إذ إن القوى العربيّة والإسرائيليّة ستطّرد ازديادًا، كما هي حالها في هذا الأسبوع، من جانبي تخوم الهدنة. فينقطع من السلم كلّ رجاء، وينقطع الرجاء من جعل

إسرائيل والأردن دولتين قادرتين على الحياة. وإذا لم يستتبّ السلام تحتّم أن تعيش الدولتان كلتاهما عالةً على صدقات الغرب، وظلّ، على جداول الإعانات الغربيّة، اسم مليون من اللاجئين العرب، أو ما يقاربه، إلى ما شاء اللّه، وإلاّ قضوا جوعًا. وما تُرى يحلّ بالجيل الطالع من الإسرائيليّين إن حضّ رؤساؤهم على الإكراه في إسرائيل وتعيّن على هذا الجيل انتباذ الإكراه خارج إسرائيل؟

بعيدًا كان تراجع الايكونومست، وها نحن ننحني، ههنا، أمام اهتمامها بالحقيقة. فالمقال الذي ترجمنا منها مقتطفًا صالحًا، كان في الوسع أن نسطّر نحن خاتمته، لأنها في روحها موافقة لما طفقنا نردّده منذ سنوات عديدة، ولا نأتلي جهدًا.

فإنه لمن دواعي الارتياح أن نقع في جريدة لها من الشأن ما للايكونومست، على صدى بريطاني، بمثل هذه السعة.

الحقيقة تمشي وتجرف كلّ شيء. فباطلاً يتفلسفون: إنما السلم في فلسطين لن يُنال إلاّ بتدويل القدس وضمانة تعاقديّة للحدود. ونعني بتدويل القدس وجود الأمم المتّحدة بوجود فعليّ يخفق فوقها علم الأمم المتّحدة اللازورديّ. هذا هو التعليل القيّم الأوحد للرأي الذي أعربتْ عنه جريدة الايكونومست بقولها:

«لن يستتبّ السلام إلاّ بقوّة آتية من خارج».

لم يبقَ غير الفرار العاجلِ من حيّز الأوهام، والعود إلى الواقع. أمّا المحاولات التي أريد بها حلاً عن طريق الاقتصاد والمصالح الماديّة، فقد تقضّى عليها الزمان، فالمشكلة السياسيّة يجب أن تجابه مجابهة. ويجب أن يُخرج منها بتهدئة روحيّة وسياسيّة معًا. وهذا لن يتمّ إلاّ بوجود دولي في القدس، وضمانةٍ دوليّة للحدود العربيّة الإسرائيليّة.

أمشاكل إسرائيليّة أم مشاكل يهوديّة؟

١٤ تشرين الثاني ١٩٥٢

وقفت جريدة «له موند» افتتاحيّتها أمس على اعتزال بن غوريون العمل. فلا الرجل غفْل، طبعًا، ولا الموضوع. وللذي يدور في إسرائيل أبدًا مركز الصدارة من الجريدة الكبيرة القائمة في شارع الايطاليين.

لقد ألفتت جريدة «له موند»، في هذي المناسبة إلى أمرين اثنين يُبقى عليهما. أوّلهما قولها:

«ساد استياء اليهوديّة الأميركيّة المعركة الانتخابيّة (الأخيرة) بأسرها، وفي ولاية نيويورك. واضطرت إدارة الحكومة إلى التسليم العاجل، وفيه انتصار جديد يحرزه التعاون اليهودي».

وإنما المقصود عقوبة عارضة فُرضت عقب أعمال تحويل مياه الأردن.

أما الأمر الآخر فقولها:

«غير أن مسألة الجنسيّة المزدوجة ما انفكّت على بساط البحث. إذ طفق البارون غي دي روتشلد ــ وهو من أشدّ الدعامات حماسة للمحاولة الصهيونيّة ــ يدعو، في محادثة طنانة، إلى حلّ المنظّمة الصهيونيّة العالميّة، وإلى استبدالها، في كل قطر، بجمعيّات أصدقاء إسرائيل، على غير ما تمييز في المعتقد الديني».

بذا يبقى «التعاون اليهودي»، من جهة، غالبًا على السلطان الأميركي، وتبقى، من جهة أخرى، مسألة «الولاء المزدوج» أي مسألة الجنسيّة المزدوجة (ضمنًا على الأقل) وجواز السفر المزدوج، عند اقتضاء الحاجة، بحوزة كلّ يهودي في المعمور، مثارًا للقلق، في المنحيين كليهما. إذ ليس البارون غي دي روتشيلد أوحد المتسائلين، ولا ريب، عن مزيد الشبهة التي تحيق بأهل مذهبه، في المعمور، من جرّاء الجنسيّة المزدوجة. أيناصر بلادَه اليهودي غير الإسرائيلي - اليهودي الانكليزي، والفرنسي، والأميركي -، على إسرائيل، عند اقتضاء الأمر؟ وإن فعل، فإلى أي حدّ؟ ومهما يكن، فإن «المنظمة الصهيونيّة العالميّة»، هيئة سياسيّة، تشهد على وحدة بني إسرائيل، وحدة سياسيّة عالميّة، لا على وحدة الإسرائيليّين وحسب.

ها قد دارت الأعوام، ونحن نُبصر هذي الأمور طالعة. ودارت الأعوام ونحن ننبئ بها. وبها يشغل الآن أولياءَ الأمر في إسرائيل لأنها توطئة لمصير غامض.

وحسبنا أن ننبّه الحكومات، عَبْر قرائنا، إلى هذي الشؤون الخطيرة المستدقة.

فبادرة البارون غير دي روتشيلد تبلغ شأو ما بلغت الغارة الإسرائيليّة نفسها.

إنما الرجل العليم برجلين يُعدَل.

صوت الڤاتيكان

٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٢

فيما تزعم إسرائيل أنها، بمفاوضات مع الأردن مباشرة مسوّفة تسوّي التعدّي الدامي على «القبيّة»، وتضيف إلى التحدّي تحدّيًا (كأنما الذي وقع على الحدود حدث عادي)، يرفعُ الكرسي الرسولي الأقدس صوته من جديد، يطالب مجدّدًا بتدويل القدس. هذا ما أعربت عنه الاوسرفاتوري رومانو صراحة، في مقال افتتاحي نقلت البرقيّات صداه على الأثر.

أما نحن، فقد وقفنا على فلسطين افتتاحيّتنا يومين متتاليين. والموضوع يستدعي المضي في الكلام عليها ويسوّغه. إذ لن تعرض سانحة أمسّ من مسألة «القبيّة» تحمل الأمم المتّحدة على وضع حدّ للمأساة الإسرائيليّة العربيّة.

لئن كانت أميركا قد قطعت من السلم الرجاء، وكانت تريد الاكتفاء بهدنة لا تنتهي، وبتصليت سلاح تتولّد منه النكبات كلّ يوم، فلتجاهر!

وليس أبعد عن المعنى الإنساني من مصير أرض هي أجلّ أرض في المعمور، يقرّره الذائدون عن حياض العالم. وليس أضنى، ولا آلم من تغيُّب الأمم المتّحدة عن مناقشة انخرطت فيها كبريات الحضارات، وارتهن مستقبل العالم. ومهما قيل في مجلس الأمن، وفي الأمم المتّحدة، ومهما كانت المظاهر الوهميّة، فإنّما الأمر أمر تغيُّب. إذ لا سبيل إلى الإقرار بوجود دولي في موقف سلبي على الدوام، تقفه الهيئات الدوليّة الكبرى في آخر ما تنتهي إليه.

غير أن الكرسي الرسولي الأقدس، وهو ما انفكّ، منذ عام ١٩٤٨، يداعي بالانفصال، يقف اليوم مثبّتًا مطاليبه الواجبة الحق، مؤكّدًا مشيئته في وجه المطامح الأنانيّة والزمنيّة الضيّقة، ويدعو إلى الارعواء أولاءِ الذين ضلّلتهم انتهازيّة لا تبصّر فيها ولا شجاعة.

وكيف لا نرى خير السلم وضماناته (وخلاص إسرائيل نفسها) في تدويل الأماكن المقدّسة، على الرغم من كلّ المقاومة الإسرائيليّة واليهوديّة، هذه المقاومة الجامحة، الساخطة، مقاومة الطموح الأعمى، والعنجهيّة الجارفة؟ وكيف لا نرى أن وجود الأمم المتّحدة في القدس، بوجود فعلي، ولائي، هو إقامة حدّ لهذه الفوضى الروحيّة والخلقيّة والسياسيّة معًا، معدوم النظير؟

يجب أن تقتنع حكومة إسرائيل أن الراحة لن تحفّ بها، ولا الهوادة، ما لم يتمّ التدويل، وأن أجيالاً من البشر ستتوالى عليها وهي في هذا القلق، وأن أمّة ترتقب الهجرة لتكتظّ بفائض السكان ليس لها سبيل عيش ممكن، في مثل هذا المُناخ، (ولا لجيرانها وهم أبدًا مهدّدون). هكذا يقول العقل.

ونحن نرحّب، على منّة، بما أعرب عنه الكرسي الرسولي مجدّدًا صادرًا عن مشيئته الثابتة. لا ريب في أن مشاعر البلدان العربيّة ستنفعل لهذا الحدث. ولا ريب في أنها، بلدان المسيحيّة والإسلام جميعًا، ستلقى فيه عزاءً متينًا.

فعلى الأمم المتّحدة أن توفي قسطها الآن؛ عليها أن تحدّ من الضّير، وتردّ إلى الشرق الأدنى السلام الذي أفسده قيامُ دولة في الأرض المقدّسة، هي أشدّ الدول عرقيّة، وأغلفها سرًّا، وأرحبها توسّعًا في العالم.

فليس ثمّة إلاّ مخرج واحد للخلاص من الظلمة: تدويل القدس وضمانة الحدود دوليًّا وتعاقديًّا. وما لم يتمّ هذا فمعناه القبول ضمنًا بقيام حرب ليس لها منتهى.

«العام المقبل في القدس»

٢٠ كانون الأول ١٩٥٢

في نهاية هذا العام يعنّ في الخاطر مصير القدس، ومستقبل السلام.

وكلّما أوغلنا في التفكير، تفكرنا، على ضوء المنطق اللّطيف، زدنا اقتناعًا بأن تدويل الأماكن المقدّسة شرط للسلام لا بدّ منه.

فالسبيل الأوحد الذي به يستتبّ النظام والوئام إنما هو الوجود الدولي، ما بين العرب وإسرائيل. وينبغي أن يكون هذا الوجود فعليًّا، مسلّحًا، دائمًا، بحيث يشتدّ به نفوذ الأمم المتّحدة. وهو لا يتصوّر منطقيًّا في أرض إسرائيل أو الأردن، إنما نفعه في القدس وحدها. وينبغي أن يتّسع مداه لعدد من السكان يبلغ ضعفي ما هو اليوم عليه، أو ثلاثة أضعافه.

حتى إذا سلّمت البلدان العربيّة بهذه الضرورة الملحاح، بدت مقاومة الأردن نافلةً باطلة، وجاءت مقاومة إسرائيل، كما نعلم، يائسة. إلاّ أننا ندرك أن خلاص إسرائيل نفسها موقوف على هذا الوجود، بل خلاص السلام أيضًا.

فما لم يكن وجود دوليّ، لن يذوق العرب طعم الكرى، ولن يقومَ رادع يحدُّ من دسيسة إسرائيل الوراثيّة، ومن مطامحها. هذي هي مآسي الغد التي ندرأها بحكمة اليوم.

إن رابية صهيون، تبرّر الصهيونيّة، في عين إسرائيل (والقدس هاجسها الدائم). إلا أن القدس، في عين المسيحيّة والإسلام جميعًا، موضع مقدّس لن يجعل تحت سلطان إسرائيل السياسي، مهما غلّظوا القسم.

إن الدواعي الدينيّة والإنسانيّة والشعوريّة لتدويل القدس عديدة وفيرة، ولكنّ في الداعي السياسي ما فيها من مساس وإلحاف. لن يكون سلمٌ يدوم ما بين العرب وإسرائيل إلاّ بوجود دوليّ، إذ يأتي هذا الوجود بمثابة حدّ لا يجاز، وأمانٍ يتيح للعرب (ولليهود) هجعة لا تهدّدهم فيها، كل يوم، قنابل الليل، والمجزرة والنار.

وسُمع من الفاتيكان، في الشهر المنصرم، صوت يرتفع ثانية، عاليًا، ثابتًا، لصالح تدويل القدس. وشاع نبأ وساطات عربيّة رسميّة لدى الكرسي الرسولي. يجب ألاّ تظلّ إسرائيل والأردن عقبة بوجه أمر جلل كهذا، بعد أن ارتهن به عدد كبير من الأمم. فوسائل الضغط المتوفّرة عظيمة الشأن (حسب الوسائل الماليّة والاقتصاديّة).

وعلى صعيد المطلق نقول إنهم قاتلوا في كوريا، ويقاتلون في الهند الصينيّة، لأقلّ من هذا.

بين نارين

١٠ نيسان ١٩٥٤

أعلى الشيوعيّة يتّكل العرب لتدرأ الصهيونيّة عنهم؟ أعجب به من تناقض، لقد وقفوا بين نارين، فما أقلّ الارتياح فيه موضعًا!

يقول العالم الغربي: الشيوعيّة أعظم الأخطار. ويرى العالم العربي، بخلافه، أن الصهيونيّة هي الخطر الأعظم.

ولقد ساند العالم الغربي الصهيونيّة حتى الآن مساندة مطّردة، فكيف تراه يساندها ولا يجنّ جنون العالم العربي، فيجابهه؟ لذا جاءت وسائل الإقناع، ولا سيّما وسائل أميركا، باطلة.

أما العلاجات المعروفة «بالاقتصاديّة» فليس من شأنها، في رأي العرب، غير أن تقوّي إسرائيل، وتزيد في تعاظمها خطرًا. ويرى العرب أن السلم مع إسرائيل ليس له معنى غير مهلة فتحتها الصهيونيّة لتُعدّ عدتها لاعتداءات أُخر.

هذا هو موطن النزاع العميق، وهم لا يبتغون له غير حلول سطحيّة، على كونه لم يتّخذ أصله في حاجات الجسد بل في النفوس.

ليس المقصود أن يلقي العرب بالإسرائيليّين في اليمّ، طبعًا. ولكان يعترف العرب بوجود إسرائيل السياسي في الشرق الأدنى، لو أنه حُدَّ من دولة إسرائيل، والغرب يرفدها، بوجود دوليّ، وضُمنت الحدود تعاقديًّا وحسب.

غير أن مطامح إسرائيل معروفة. ومقصودها أن تكتظ البلاد بفائض السكان، فتخرج إلى ما عداها. ومقصودها فتح القدس برمّتها، وتشييد ملك مجدّد يحاكي ملك داود وسليمان، على نحو ما كان منذ قرون ثلاثين. ومقصودها أخيرًا إنشاء وطن أمّ متسلّل في الشرق الأدنى، لامبراطوريّة يهوديّة عالميّة.

هذا ما لا يسلم به العرب (وان تمّ فعلى أجسادهم). وهذا ما يمدّ الغرب إليه يد المعونة، على غير ما رويَّة منه، أو مسيّرًا، تبعًا للأوساط والظروف، إذ تملَّك منه السلطان الإسرائيلي (لا سلطان إسرائيل).

وكلامنا يبلور المحادثات التي دارت في الأيّام الأخيرة ما بين ديبلوماسيي العرب، والسيّد سولود، بالقاهرة، وسفير الاتّحاد السوفياتي بدمشق، قد أجابوا نداءات مختلفة. الحق أن العرب لا يعلمون إلى أيّ قدّيس ينذرون نفوسهم (أو إلى أي شيطان).

فشبيةٌ عون الشيوعيّة للعرب بعون حبل المشنقة للمشنوق.

هذا ما تفضي إليه خلاّت العقل، وعدم الرويّة، وإفلاس العدالة، مجتمعة أو متفرّقة.

حول خطبة ألقاها نيافة الكردينال أغاجيانيان

٥ أيار ١٩٥٤

كان خطاب نيافة الكاردينال أغاجيانيان في الاستقبال الّذي عقب قدّاس الفصح لدى الأرمن الكاثوليك بلسمًا للفؤاد. ويسرّنا أن يكون فخامة رئيس الجمهورية الّذي شرّف الاحتفال بحضوره قد شهد لنيافة الكاردينال قائلاً: «إنّما شئتم أن يتجاوز هذا الاحتفال حدّ الزيارة البروتوكوليّة في تبادل التمنيات الطيبة. وشئتم، إذ تكلّمتم باسم السّلطة الموكولة إلى نيافتكم أميرًا من أمراء الكنيسة، وممثّلاً للكرسّي الرسولي الأقدس، أن تفوهوا بالحقّ، بكل الحقّ، في ما هو متعلّق بأمر فلسطين».

فهذي حقيقة تحرّك منّا الشواعر، وتهزّنا. فكلمة نيافته بَركة تحلّ علينا، وعزاء. إنّها لتلبية معتقد طالما أعربنا عنه حرصًا على الايمان الشّريف، وتبريرًا للرجاء، وحبًّا بالعدالة والسّلام.

وأضاف رئيس الدّولة قائلاً: «ولا غنية لنا عن دعامة أعظم سلطة روحية، هذه السّلطة الرّوحيّة التي لا تعمل إلاّ في سبيل خير الإنسانية، ولا تستوحي إلاّ العدالة، لتؤتى قضية فلسطين حلاً عادلاً منصفًا. وما هذه السّلطة إلاّ الكرسّي الرسولي المقدّس.

«فبمقدار ما هو يشاء التدخّل، وإنّي على يقين من أنّه فاعل، تؤتى القضية الفلسطينيّة حلّها».

لقد تدخّل الكرسّي الرسوليّ غير مرّة، وأعرب عن رأيه بأجلى التعبير، وطفق يطالب غير مرّة بمطلب فذّ. وبحق ألمع الكاردينال إلى مضيّه في مطلبه دائبًا متدخلاً عاملاً.

قال نيافته: «لا يَغرب عن أحد أن الّذي تمّ في هذا المضمار، وبشأن تدويل القدس خاصة، عن طريق ممثلي الكرسي الرسولي الديبلوماسيّين، كان بمثابة دعامة قوية للّذي أمكن فحصل، في العمق وفي المدى...».

لقد تحدّث نيافة الكاردينال أغاجيانيان عن الأرض المقدّسة في مستهلّ خطابه، بل في الكلمات الأولى. تحدّث عنها بقول أوجع، لا يبالي أن يخالط تهاليلَ قيامة المسيح نغمٌ حزين. قال:

«أسفي أن الأرض المقدّسة، حيث بشّر الملائك بالسلام ذوي النيّة السمحاء للمرّة الأولى، وبثّ المسيح رسالته في المحبّة، غدت، بؤرة للنزاع والفساد، وغدا بضع مئات الألوف من سكانها الوادعين يرزحون تحت مصير غير مستقرّ، مصير اللاّجئين.

«وأورشليم، «مدينة السّلام» التي ختم المسيح فيها بدمه على السّلام ما بين السّماء والأرض، وتجلّى لتلامذته بعد قيامته العظمى قائلاً لهم: «عليك السّلام». أضحت، للأسف، في هذا الزمّان، ساحة اصطراع متطاحن فاستحالت «مدينة الدّمار».

«أنعجب أن يكون لفلسطين في وضعها البائس صدى في لبنان العزيز، وفي البلدان العربية جمعاء، وهي قلب الشرق الأدنى بأسره، وهي، بالتالي، الموضع الحسّاس فيه؟

«ذاك أنّ هذه البلدان بأجمعها مقتنعة بأنّ السّلام سيبقى عرضة للخطر في الشرق الأدنى، بل في العالم بأسره، ما بقيت المسألة الفلسطينيّة بلا حلّ منصف عادل».

ثم ألفَتَ نيافته قائلاً: «وبعد جهود خارقة، تمكّنت البلدان العربية في ٨ كانون الأوّل ١٩٤٩، من أن ترى الجمعية العمومية في هيئة الأمم المتّحدة تعلن تدويل منطقة القدس بمراقبة من هيئة الأمم».

«هذا وكان الكرسي الرسولي هو أيضًا، يبذل في هذا المنحى نشاطًا ملحوظًا، منذ أربعة عشر شهرًا؛ وقد عرض قداسته في الرقيم أعلاه، صراحة، بأن السانحة ملائمة لإعطاء القدس وجوارها.. صفة دوليّة..

«والتاريخ الّذي لا يحابي سوف يقول يومًا ولا ريب: القرار الذي اتخّذته هيئة الأمم بتدويل القدس إنّما يؤول قسط وفير منه إلى العمل الديبلوماسي العجيب، الهادئ، الأريب المثابر الذي وفّاه الكرسي الرسولي».

فمن أقوال الكاردينال أغاجيانيان، ومن موقف الفاتيكان الدائم، يُستشفّ بشكل ساطع أن تدويل القدس ضرورة لازمة.

ويعلم قراؤنا منذ أمد بعيد أن تدويل القدس في نظرنا شرط السّلام بالذات. إذ لن يكون سلام ممكن، ولن يذوق العرب طعم الكرى إلاّ بوجود دولي نظامي في الأماكن المقدّسة. فإن كانت إسرائيل صافية النيّة تعيّن عليها أن ترضى بذلك؛ وإن لم تكن، فما من حكمة في الأرض ترى للعرب بأنّ يذعنوا للنكبة. وما لم تتوفر هذي الضمانة فسيظلّ عقد السّلم تحفّزًا لتعدٍّ قريب.

لقد أظهرت الحوادث الماضية كلّها أنّه ما من ضمانة دولية تكفي ما لم تدوّل القدس. فالمسيحيّة تعلم، ويعلم الإسلام أن تهديدًا أبديًا فوق أورشليم جاثم.

وفيما نحن نعرب عن امتناننا للكاردينال اغاجيانيان، لخطبته الرائعة، فلا نحسب أنّا نغالي إذا أكّدنا لنيافته بأنّ اللبنانيين جميعًا يعترفون بجميل فضله، والبلدان العربية قاطبة.

ففي النّضال بسبيل القدس، وفي الجهد الجماعي للحيلولة دون «فتح القدس» ستظهر ثمرة المقاومة الشّرعية التي تقوم بها المسيحيّة والإسلام معًا.

إلاّ أنّه لا ينبغي تدويل القدس لدواع دينيّة وعاطفيّة سامية فحسب، بل، حرفيًّا، للحيلولة دون الحرب وأهوالها، وانتشال اليهود من وسواس دائم رهيب.

لن يذوق العرب للنّوم القرير طعمًا، إلاّ متى طبّق على القدس النّظام الدولي الّذي أقرّته هيئة الأمم عام ١٩٤٩، وضُمنَت الحدود العربية الإسرائيليّة تعاقديًا على الصّعيد الدّولي. ولا سلام في ما خلا ذلك.

أساسٌ لسياسة

١٦ تموز ١٩٥٤

لنبدأ هذا الصّباح حيثما انتهينا أوّل أمس: بتدويل القدس، أي بوجود دوليّ، نظاميّ، دائم، مسلّح في فلسطين.

فلقد بات هذا التدويل شرطًا للدفاع المشترك مع الغرب، وللسّلام في الشّرق الأدنى. ولا غنية عن هذا الوجود ما بين العرب وإسرائيل.

كان لمقال الأوسرفاتوري رومانو الّذي يلفت إلى ضرورة تدويل القدس وجوارها صدى تناقلته البرقيّات. وكان موقف الكرسّي الأقدس في هذا المنحى معروفًا فإذا به يُثبت مرّةً بعد، ويرجى، وللرجاء مسوّغاته، أن يزداد صوت الفاتيكان إلحاحًا، في هذا الموضوع.

لن يظفر الغرب بمساهمة الشّرق الأدنى، بلا قيد، في الدّفاع عن السّلام، ما لم يساهم الغرب معه.

فمن حقّ عرب الشّرق الأدنى، ومن واجبهم، أن يجعلوا تدويل القدس، بعد الآن، أساسًا لسياستهم الخارجيّة. والدّول التي خلقت دولة إسرائيل ومخاطرها، لا يسعها أن تأباه. ولن تستطيع أن تأباه ما لم تتحمّل المسؤوليّة في اجتراح ظلم كريه.

منذ أيّام كتبنا أنّه لا بدّ لمصر من أن تتنازل في السويس بعض التنازل المقبول، لتخلّص القدس. هذا ما نراه حقًّا. إنّما الخطر الإسرائيلي لأبعد شأوًا، بالنسبة إلى العالم العربي، من الخطر الإنكليزي بالنسبة إلى مصر، في الوضع الّذي انتهينا إليه. ويتفق، فضلاً عن ذلك، أن أميركا لا يمكنها عدم الاحتفال بمستقبل منطقة السويس.

تقدّم مصر السويّس على القدس، وهذا وَهم منها. فإذا تمّ الاتفاق الإنكليزي المصريّ قريبًا، كما يرتجي جميع اللبنانيّين، غدا كل شيء على ما يُرام. وإن لم يتمّ هذا الاتفّاق. تعيَّن على مصر أن تذكّر فلسطين وإسرائيل بمزيد اذّكار.

لجنة الهدنة العاجزة

٧ أيلول ١٩٥٤

من آخر أحداث الحدود العربية الإسرائيليّة، حدث «بيت لقيا»، من أعمال الأردن: بليَّةٌ نزلت بالجيش العربي، فأردي إثنان من أفراده وجرح أربعة، ووقع ثلاثة منهم في الأسر.

عندها أقرَّت لجنة الهدنة تجريم إسرائيل، ولكن ما تراها تكون العقوبات؟ أو قل ما لجنة الهدنة هذه، وقد خلت من العقوبة مقرّراتها الاحتكاميّة اليوميّة على التقريب.

حسبها القول: هذا هو المعتدي، وتلك هي الضحية. ثمّ يُسكَت عن كل شيء كما سُكتَ بعد مصرع الكونت برنادوت.

أشفق بها عدالة لا حول لها! وحيال هذا التوزيع العاجز في العدالة يداخلنا شعور حزين. القاضي يقول: أنت المعتدي، وأنا أحكم معنويًا عليك. إلاّ أنّي لا أستطيع تجاوز ذلك. ويتكرّر هذا الأمر مايتي مرّة في العام الواحد أو ثلاثًا.

إنّما موقف الأمم المتّحدة، ولجنة هدنتها في فلسطين أبعد ما يكون عن المثالية، وأخذل ما عرف في باب الحق الدولي. فلجنة الهدنة نفسها لا تقوى على الأمر شيئًا، والحيد عن الحق إنّما يسترسخ أخيرًا على مستوى أعلى.

فحتّام تطّرد الأمور على هذي الوتيرة. أفما يرون أنّ إسرائيل تسعى إلى إخضاع العرب إكراهًا، وإن عياء؟

إلاّ أن ذلك كلّه سوف يفضي إلى سخط مكبوت، ويتكدّس الحقد جبالاً حبلى بالكارثة المقبلة. لسوف يؤدّى الثمن في غضون السّنين الآتية أو بعد انقضاء ربع قرن، ولكنّه سوف يُؤدّى. ولا مرية بأنّ السّلام الذي نبتغي لا يُدرك عن هذا السبيل.

إنما يؤتى السّلام عن قرار عزوم تتّخذه الأمم المتّحدة، والولايات المتّحدة، وحسبُ. ولن يؤتى السّلام إلاّ بوجود الأمم المتّحدة في فلسطين بوجود مسلّح دائم، بوجود أقربه إلى المعقول أن يتمثّل بتدويل القدس. إنّما يتحدّر السّلام من ضمانة تعاقدية للحدود، لا من البيان الثلاثيّ الصادر سنة ١٩٥٠، الذي لا يخفى مَعطَبُهُ على الرّغم من تأكيدات مطّردة تؤكدّها الحكومة الأميركيّة في واشنطن.

وإسرائيل الّتي تتحدّى الأمم المتّحدة، والولايات المتّحدة والمملكة المتّحدة معًا، لتظهر رويدًا رويدًا، طابعَ سلطانها، العالميّ التسلّلي بجوهره.

فما أقصانا إذن عن «الوطن القومي اليهوديّ» الشّعري الذي كانوا يطالعوننا به وعليه مَسحةٌ من الانطواء والوداعة والإنسانيّة!

صِلَة ذي رَحم: «نيويورك وتل أبيب»

١٧ أيلول ١٩٥٤

في آخر عدد من جريدة الإيكونومست اللندنية، ملاحظة بعنوان «نيويورك وتل أبيب» لا بدّ من إلفات القارئ إليها، لأنّها تُظهر مدى ارتهان السياسة الأميركيّة بإسرائيل لا سيّما في فترة الانتخابات.

جاء في المقال أن موقف إسرائيل حيال العرب والغرب لا يأتلي يتقسّى (وهذا ما يوضح تكاثر الأحداث واعتداءها على الحدود الأردنيّة). والعام هذا، عام انتخابات في ولاية نيويورك حقًّا. والأصوات الستّة والتسعون بولاية نيويورك، قد تقرّر مصير الانتخاب في الأمّة. وبالرغم من أنّ مصير الرّئيس لا يدخل هذا العام في حساب، فانتصار الديموقراطيّين في نيويورك ينبئ باندحار الجمهوريين سنة ١٩٥٦. وأنّه لواقع أساسيّ في السياسة الأميركيّة بأنّ ولاية نيويورك لا تُكسَب (انتخابيًا) ضد اليهود (ونحن نكتبه ههنا بحروف كبرى). إذ في مدينة نيويورك برأسها نحو من مليونين ومئة وخمسين ألف يهوديّ، يتألبون على أقلام الاقتراع وقد صوَّبوا جلّ همّهم وِجهةَ الأوضاع الدوليّة.

«لقد درت إسرائيل، على الدوّام، كيف تتمكّن من هزّ منطقة نفوذها الشاسعة عبرَ المحيط الأطلسي». فلأنْ يكون السكّان اليهود في أميركا بنظر الايكونومست بمثابة منطقة نفوذ لإسرائيل، فإن فيه ما يثير المخافة. لم يكن هذا خافيًا من ذي قبل، ولا شكّ، ولكن ما أقل من ارتضوا سابقًا أن يسلّموا

به. وأن يسلّموا أيضًا بأن إسرائيل ليست «وطنًا قوميًا»، أبويًا، إنسانيًا، وإنّما هي دولة عالميّة تحلم بأمبراطورية تضمّ المعمور.

ثم جاء في الايكونومست: «أمّا الإغضاء في هذا العام عن أهميّة الخدمات التي قام بها الجمهوريون والديموقراطيّون نحو إسرائيل، والعهود التي سيقطعونها على أنفسهم، في برامجَ يضعونَها لصالح إسرائيل، فهي بمثابة انتحار سياسيّ للفريقين معًا».

ثم تضيف الجريدة الإنكليزيّة أخيرًا: «فعلى العرب أن يتذكروا هذا الأمر».

ونحن نرتجي أن يتذكّره الإنكليز أيضًا. ولكن كيف يستطيع الأميركيّون والإنكليز معًا، أن يتمثلوا لحظة، حيال هذا الواقع الساطع، أن السّلم ما بين العرب واليهود قد يتحقّق دون وجود الأمم المتّحدة في فلسطين بوجود دولي، سياسيّ، وعسكريّ نظاميّ، دائم؟

فبين فينة وفينة، تعجب واشنطن، وتعجب لندن، إذ تجدَان العرب يأبون الدخول في مفاوضات مع إسرائيل؛ ناهيكَ أن لندن وواشنطن تظهران مدى مساندة السياسة الأميركيّة والبريطانيّة لسياسة إسرائيل. إن فيه لتناقضًا والتواءً، واعتوارًا في المنطق يثير القلق.

سنردّد، إلى ما شاء اللّه، أمرًا هو أوضح أمر في الكون: لئن كان في مراد الأميركيّين والإنكليز أن نعقد سلمًا مع إسرائيل، فليقفوا حائلاً ملموسًا جليًّا، ما بين إسرائيل والعرب، عن غير طريق لجنة الهدنة العاجزة، وليعتزموا ضمانة الحدود تعاقديًا.

فشرط السلام الأساسي يكون فعلاً بهذي الضمانة، وبتدويل القدس.

فتح القُدس

٤ تشرين الثاني ١٩٥٤

خطوةً إثر خطوة يطّرد فتح إسرائيل للقدس، وكأنّه تحدّ للحق العام، والأمم المتّحدة، والمسيحية والإسلام معًا.

فسفير الولايات المتّحدة الجديد في إسرائيل سيقدّم، في القدس، أوراق اعتماده. وباطلاً يذهب الأميركيّون إلى أن ذلك لا ينبغي اعتباره بادرة عدوان تجاه العرب. إنّهم يتغلغلون فيستوثقون عامًا بعد عام. فأنّى يُغمط حق الناس عن عمدٍ جزافًا، ويثبتون، في بال رخيّ، أن ليس في الأمر عدوان؟

لسوف تسير بنا أميركا القويّة إلى حيث لا ندري من جراء استسلامنا السقيم. فجليّ أنّها تجعل سياستها الخارجية قَيدَ سياستها الداخليّة، بحيثُ تجري الأمور، وكأنّ واشنطن ليست متحرّرة في مقرّراتها تجاه إسرائيل.

إنّما بدا لنا هذا الأمر، مرة أخرى، خلال إعداد الانتخابات الأميركيّة التي جرت يوم الثلاثاء.

ترى إسرائيل أن القدس عاصمة لها، كأنّما القدس مدينة لا يعبأ بها سائر المعمور. وإن كان ثمة في المعمور مدينة يجب تدويلها حقًّا، بداعي أخطر الاعتبارات الروحية والسياسية، فهي القدس.

فوجود الأمم المتّحدة في القدس بوجود قانوني دائم ضرورة مستحكمة على ما يبدو، وشرط أساسي للسلام. على أن ذلك لا يحوّل الولايات المتّحدة عن تَعسيره، على غير ما داعٍ فتزداد إسرائيل استمساكًا في ما عزمت.

تتسلّح إسرائيل حتى تتدجّج، وإذا شاء العرب تسلحًا عارضته إسرائيل، وعلا صياحها حتى بلغ أقاصي البسيطة.

وتتعاقب المناورات، ريثما يُتاح لإسرائيل يومًا، أن تفرغ من فتح القدس، وأميركا لا تأتلي تمدّ إليها يد المعونة. وتل أبيب هي عاصمة إسرائيل الرسميّة، غير أن سفير الولايات المتّحدة شاء أن يكون قدوة صالحة لجميع دبلوماسيات الأرض، فارتضى أن يقدّم في القدس أوراق اعتماده. فإذا لم يكن هذا العمل، بالنسبة إلى العرب، عمل إساءة وعداء، فما تراه يكون؟ وعلى الرغم من ذلك كلّه يُقدم الأميركيّون عليه، وإذا سلّم الأميركيّون فما الذي ينتظر من مقاومة الآخرين؟

كنّا شرعنا نؤمن بوجود تبصّر وعدالة أوفر من ذي قبل مذ جعل السيّد «بيرود» يلقي بعض خطبه. فإذا بالسيل يجرف كلّ شيء، وإذا فتح القدس يطّرد، ويساهم فيه ضمنًا أولاء الذين تعيّن عليهم أن يدرأوه بما أوتوا. وهذي هي النكبة قدّامنا.

السّلم مع إسرائيل يَتوقّف على إسرائيل

٦ تشرين الثاني ١٩٥٤

لن نظفر على إسرائيل إن نحن أكّدنا بأنّنا، مهما كلّف الأمر، لن نعقد سلمًا مع إسرائيل. ولكنّنا نظفر عليها حين نظهر الخطر الهائل الماثل في مطامح إسرائيل المسرفة.

إنّما يجب أن نسأل الأميركيين والإنجليز ضماناتٍ ضدّ إسرائيل، ولا نسألهم التضافر على حرب تُشَنّ على إسرائيل أو نسألهم ارتضاءها.

إذ إنّ الأميركيين والإنكليز حماة إسرائيل الطبيعيّون. وحسبنا تثبتًا أن نحصي اليهود في مدينة نيويورك وفي ولايتها. وأن نتصفّح، من جهة أخرى، جريدة «المانشستر غارديان» مثلاً.

فأميركا وانكلترا كلتاهما، هما، على نحو ما، سجينتا إسرائيل. ومن هذا القبيل فإن الإنكليز والأميركيّين لا يقومون بردّة إلاّ أمام الخطر المحيق، والإفراط، والقسر، لأنّهم يودّون التظاهر بأنّهم، في الوقت نفسه، أصدقاء العرب، وحاجتهم بالشرق الأدنى شديدة المساس، فيجانبوا أن يناصبهم برمّته العداء. وحيلتهم العربية الإسرائيليّة حيلة ميزان وتوازن. توازن يبلغ أحيانًا من عدم الاستقرار ما يبعث الخوف.

أمّا أن اليهود ذوو شوكة قوية في العالم فهذا أمر واقع. وأمّا أنّهم شدّوا على سية القوس أوتارًا عدادًا، فهذا دليل على مدى مواردهم المادية

والفكرية. إنّما هم يشغلون مراكز الشأن ولن يُعزلوا عنها وشيكًا؛ فلا يصحّ القول بأنّ الإسرائيليّين سيُلقون في الغمر، لأنّهم لن يُلقوا في الغمر، إذ يقتضي الأمر وقوع أحداث شبيهة بأحداث القيامة، ونحن لا نتمنى وقوع مثلها.

إنّنا ما برحنا نضع معنى الأخوة الإنسانيّة في أعلى عَلّيّين، والحمد للّه. ولا نبتغي أذًى حتى للّذين يطبّقون شريعة السنّ بالسنّ. جلّ ما نودّ ألاّ نُهدَّد، بعد الآن، في عواطفنا، ولا في منازلنا. وبعد، فليذكروا ما الّذي تمثله المسيحيّة والإسلام في وجه عرقية إسرائيل الطائفية.

تحلم إسرائيل بأن تستولي على القدس بأسرها، فتجعلها عاصمة لها. وتحلم إسرائيل بأن تستعيد أرض الأسباط الاثني عشر، وأن تُجاوزها حتى الفرات، ليستتبَّ لها، مجدّدًا، ملك داود وسليمان. وربما مالت في حلمها إلى الاستيلاء على «الأور» من أرض الكلدان، موطن إبراهيم... هذه هي الضلالات التي نناهضها. وإن هي تحقّقت في المرحلة الأولى عينها، فمعناه، بالنسبة إلى العرب، كارثة وعبودية.

لقد بلغ الخطر الإسرائيلي مبلغًا أذهبَ الكرى من معاقد أجفان العرب. ولطالما عدنا إلى هذه الصورة وهذي الألفاظ لأنّها تمثل الحق المبين.

فكيف نستسلم لنوم قرير وقد حفَّ بنا خطر إسرائيل الّذي لا يُحدّ، ومطامح إسرائيل الصريحة والمضمرة؟

أما أن إسرائيل لم تعد «وطنًا قوميًا» إنسانيًا، فهذا ما لا يغرب عن بال. وأمّا أنّها تدغدغ مرامي أمبراطوريّة واستيلاء، فهذا ما لا يغيب عن أحد. ولذا كان السّلام مع إسرائيل محالاً، إلاّ إذا...

قلنا: إلاّ إذا وضعت الأمم المتّحدة، الولايات المتّحدة وإنكلترا أولاً، حدًّا لجشع إسرائيل، وأضحى الوجود الدوليّ السياسيّ القانونيّ الدائم في الأماكن المقدّسة، وتدويل القدس معه، أمرًا واقعًا، وضُمنت الحدود العربيّة الإسرائيليّة تعاقديًا، ونهائيًا، على الصعيد الدولي، ما وراء «البيان الثلاثي». فلقد شرعنا نعلم، ونرى بالفعل، إلى أي حدّ غدا «البيان الثلاثي» متصلاً بنظريّة «النسبيّة» الشهيرة...

بذا يجمل تدبير العرب فيظهرون أنّ السّلام ممكن وليس بمحال، إذ لا يُصار إلى حرب دائمة إلاّ ضد عدوّ دائم. وإنّه لوقف على الأميركيّين والإنكليز أن يردّوا اليهوديّة العالميّة إلى معنى الأمور الواقعية في فلسطين، حبًّا بالسلام.

إنّما السلم يُضحي ممكنًا حينما تقتنع إسرائيل بضرورة التخلّي عن جُنّاتِها وأوهامها جمعاء.

شهادة شريفة شهدها ألفرد ليلينتال اليهودي الأميركي

٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٤

إن ما نوّه به السيّد ألفرد ليلينتال العائد إلى الولايات المتّحدة، لأمين الدولة فوستر دالس، حسبما جاء في البرقيّات، هو الحقيقة بعينها. فالبلدان العربية تميّز نهائيًا ما بين اليهوديّة والصّهيونيّة. وهي تكنّ لليهوديّة، من حيث هي مذهب، كلّ ما ينبغي من الاحترام. غير أن هذي البلدان تناهض الصهيونيّة من حيث هي تعبير عنيف عن سياسة اعتداء وقهر. وجميع اليهود اللبنانيين يشهدون، ولا ريب، عليه أمرًا.

ويرى مؤلّف «ما ثمن إسرائيل؟» أن وجود دولة صغيرة يهوديّة آمنة في فلسطين شيء محتمَل في نظر العرب. أما وجود دولة صهيونية، متوسعة، كما هي في مفهوم إسرائيل حاليًا، فأمر يتنافى وطبيعةَ الأشياء، وسيقاومه العرب مقاومة شرعية إلى آخر الدهور. وهكذا يوافق تشخيص السيّد ليلنتال التشخيص الذي عرضنا له، لأنّه صادر عن امرئ صَفَتْ نيّته.

فبتدويل القدس، وبضمانة دوليّة تعاقديّة للحدود، قد يسود السّلام فلسطين. لقد انقضى مديد الزمن ونحن نردّدها. وبتدويل القدس يتيسّر حكمًا حلّ مشكلة اللاجئين المفجعة.

إنّما جرأة السيد ليلينتال شرفٌ له، وشَرَفٌ له تعهّده للحق. وإذا ما أبقت حكومة واشنطن على رأي السيد ليلينتال، تبدّلت لزامًا سياسة الولايات المتّحدة الإسرائيليّة الهوى، واتّخذت وجهًا جديدًا، وتبدّلت السياسة البريطانيّة أيضًا (سياسة المانشستر غارديان). وقريبًا، عندما يعقد ديلوماسيّو الإنكليز بالشرقين الأوسط والأدنى مؤتمرًا في بيروت ويفري فريهم زملاؤهم الأميركيّون في دمشق، فلا شكّ في أنّهم سيتداولون بأجمعهم هذي الشؤون الملحَّة العظيمة الخطورة.

ولطالما ألمعنا قائلين: إن كانت حاضرة الفاتيكان، ومساحتها أربعة وأربعون هكتارًا، تكفي لحكم ما يُربي على أربعماية مليون كاثوليكي، فأحرى بأن تكون عشرة آلاف كيلومتر مربع من الأرض في فلسطين ضافية على حكم ستّة عشر مليونًا من اليهود المشتّتين في المعمور. وبما أن القصد لا يرمي إلى استقدام جميع يهود العالم ليستقرّوا في فلسطين، فالملجأ السياسي و«الوطن القومي» الّذي يبتغيه عُقلاء اليهود، يفي في مساحته البالغة عشرة آلاف كيلومتر مربّع، بالحاجات أجمع، ويكون ضمانة كافية بوجه المخاطر.

إلاّ أن الصهيونيّة تريد الاستيلاء على القدس، وتريد بناء امبراطوريّة، وتدغدغ حلمًا مضطربًا يعرّض اليهود في فلسطين، وفي كل موضع غيرها، لشَرّ النكبات. فمطامع الصهيونيّة الوقاح تمنع العرب المنام، وتقيم على اليهود، في آخر الأمر، خيرة بلدان العالم ضيافةً وسماحًا.

ترى ما الذي يقوله في السيد ليلينتال أبناء ملّته؟ مهما يكن، فنحن نرى أن هذا الرجل الجسور، يؤدّي الآن أكبر خدمة لإسرائيل، وللولايات المتّحدة معًا. فالذي يقوله، ويدعو إليه، هو الحقيقة التي تحرّر.

سيرة أنطون غطّاس كرم

لبناني، ولد في جزين في ١٢ نيسان ١٩١٩ وتوفي في بيروت في ١٢ حزيران ١٩٧٩.

الشهادات العلميّة

- شهادة البكالوريوس (الليسانس) من الجامعة الأميركيّة عام ١٩٤٥.
- شهادة الماجستير من الجامعة الأميركيّة عام ١٩٤٧.
- شهادة دكتوراه دولة في الأدب من جامعة السوربون، باريس عام ١٩٥٩.

المراكز التي تولاها

- رئيس الدائرة العربيّة في الانترناشيونال كولدج في بيروت من عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٥٧.
- أوّل عميد لكليّة الآداب في الجامعة اللبنانيّة من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٦٣.
- أستاذ زائر في كليّة كولومبيا في الولايات المتّحدة من عام ١٩٦٧ إلى عام ١٩٦٨.
- رئيس القسم العربي في الجامعة الأميركيّة في بيروت من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٧٤.
- أستاذ زائر في جامعة بركلي في الولايات المتّحدة الأميركيّة من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٧٥.
- حائز جائزة الدولة اللبنانيّة في الأدب عام ١٩٧٤.
- أستاذ مادّة الأدب والفكر في الجامعة الأميركيّة والجامعة اللبنانيّة والجامعة اللبنانيّة الأميركيّة.

ـ من مؤسّسي جمعيّة أصدقاء الكتاب وعضو فيها حتى وفاته.
ـ عضو في المجلس الثقافي للبنان الجنوبي.
ـ حامل وسام الأرز من رتبة ضابط.

المؤلّفات الموضوعة

ـ «أبعاد» مع مقدّمة عن الأدب العربي المعاصر، دار النهضة، بيروت ١٩٤٤.
ـ «الرمزيّة والأدب العربي الحديث»، دار الكشّاف، بيروت ١٩٤٩.
ـ «أعلام الفلسفة العربيّة» بالاشتراك مع الدكتور كمال اليازجي، بيروت ١٩٥٧.
ـ «حياة جبران خليل جبران وآثاره» (بالفرنسيّة)، الأطروحة التي نال بموجبها دكتوراه دولة في الآداب من جامعة السوربون في باريس عام ١٩٥٨.
ـ «صراع القدماء والمحدثين في القرن الثالث للهجرة»، الأطروحة التكميليّة لنيل دكتوراه دولة في الآداب، باريس ١٩٥٨.
ـ «جبران خليل جبران» ـ ثماني محاضرات عن جبران ألقيت في معهد الدراسات العليا، منظمة الجامعة العربيّة، القاهرة ١٩٦٤.
ـ «كتاب عبدالله»، بيروت ١٩٦٩.
ـ «التراث العربي في العلم والفلسفة»، ١٩٧٠.
ـ «المجموعة الكاملة»، دار النهار، بيروت ٢٠٠٥.
ـ La querelle des Anciens et des Modernes dans la poésie arabe au III^{e} / IX^{e} siècle, Dar an-Nahar, Beyrouth, 2006

الكتب المترجمة

ـ «اللورد بيرون عاشق نفسه»، أندريه موروى، نقله عن الفرنسيّة، دار المكشوف، بيروت ١٩٤٨.
ـ «النبي»، جبران خليل جبران، من الانكليزيّة إلى الفرنسيّة، باريس ١٩٥٥.
ـ «في السلطة»، برتران دي جوفنال، نقله عن الفرنسيّة، بيروت ١٩٥٦.
ـ «فلسطين»، ميشال شيحا، نقله عن الفرنسيّة، بيروت ١٩٦٨، وأعيد طبعه سنة ١٩٩٤.
ـ «حول الديمقراطيّة في أميركا»، ألكسي دو توكفيل، نقله عن الفرنسيّة.
ـ «المجموعة الكاملة / آثار معرّبة»، دار النهار، بيروت ٢٠٠٦.

المحتويات

١٩٤٨ ـ ١٩٥٠
التخلّي عن أرض المقدس

١٩٥١ ـ ١٩٥٤
النكبة زاحفة

أنجزت مطبعة شمالي آند شمالي
طبع هذا الكتاب
في العاشر من شهر أيلول سنة ٢٠٠٦
في بيروت (لبنان).

المجموعة الكاملة | آثار مُعرَّبة

أنطون غطّاس كرم



9 789953 741093
ISBN : 9953-74-109-3